

الثوراة جاءت من جزيرة العرب

كمال الصليبي

ترجمة:
عفيف الرزاز



كمال الدين

النوراة جاءت من جزيرة العرب

ترجمة:
عَفيفُ الرَّزَّازِ

مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.
ص ٥٧ - ١٢٠ النوراة وسورة التين



✽ الدكتور كمال سليمان الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب
✽ الطبعة العربية السادسة ١٩٩٧، الطبعة الخامسة ١٩٩٤، الطبعة الرابعة ١٩٩١، الطبعة الثالثة ١٩٨٦، الطبعة الثانية ١٩٨٦، الطبعة الأولى ١٩٨٥.

✽ جميع الحقوق محفوظة ولا يجوز إعادة النشر بأية طريقة إلا بموافقة خطية مسبقة من مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.
ص.ب: ٥٠٥٧ / ١٣ (شوران) هاتف: ٨١٠٠٥٥ / ٦

فاكس: ٨٠٤٢٥٧ (١ - ٩٦١)، بيروت - لبنان

✽ مراجعة وتنقيح: المؤلف.

✽ تصميم الغلاف: نجاح طاهر

✽ رسم الخرائط: أحمد شاه دُرّاني وميشال كاليدس

✽ أعد الكشاف: الدكتور يوسف ق. خوري

✽ حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر: Rowohlt

Verlag GmbH. Reinbek bei Hamburg بمقتضى الاتفاق الخطي

الموقع بينه وبين مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.

✽ يضم هذا الكتاب الترجمة الكاملة عن الأصل الانكليزي: The

Bible Came From Arabia الذي نشر أصلاً بالألمانية تحت عنوان:

Die Bible Kam aus dem Lande ASIR.

بِأَمْرِ دَعْوَى

المحتويات

صفحة

٧	قبل أن تقرأ الكتاب
١١	مقدمة الطبعة العربية
٢٧	١ - العالم اليهودي في العصور القديمة
٥٧	٢ - مسألة نهج
٧٣	٣ - أرض عسير
٨٥	٤ - البحث عن جرار
١٠٥	٥ - ما لم يكتشف في فلسطين
١٢٣	٦ - تهامة في التوراة
١٣٣	٧ - مسألة الأردن
١٥٥	٨ - أرض يهوذا
١٧٥	٩ - اورشليم ومدينة داود
١٩٥	١٠ - اسرائيل والسامرة
٢٠٧	١١ - مسار حملة شيشانق
٢٢١	١٢ - ملكي صادق وآلهة السراة
٢٣٥	١٣ - العبرانيون وأحراش عسير
٢٤٥	١٤ - ماذا عن الفلسطينيين
٢٥٩	١٥ - الأرض الموعودة

- ٢٧١ ١٦ - زيارة لعدن
- ٢٨١ ١٧ - نشيد من جبال جيزان
- ٢٩٥ خاتمة
- ٢٩٩ ملحق: آثار اسمية ليعقوب والأسباط في غرب شبه الجزيرة

فهرس الخرائط

- ١ شبه الجزيرة العربية ومسالك التجارة القديمة ٣٢
- ٢ عسير الجغرافية ٧٤
- ٣ مناطق بلاد السراة وجوارها ٧٧
- ٤ المسالك التقليدية في بلاد السراة وجوارها ٨٢
- ٥ موقع «جرار» المفترض في فلسطين ٩٥
- ٦ البحث عن «جرار» في بلاد عسير ١٠٢
- ٧ عبور بني اسرائيل ١٤١
- ٨ مسار حملة شيشانق ٢١٧
- ٩ «وعد» ابراهيم و«وعد» موسى ٢٦٩
- ١٠ عدن وجنة عدن ٢٧٧
- ١١ منطقة جيزان وبلاد «نشيد الأنشاد» ٢٨٢

قبل أن تقرأ الكتاب

هذا الكتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، وضعه عربي من لبنان، وهو أستاذ جامعي منذ ثلاثة عقود يدرّس مادة التاريخ وعرف بموضوعيته وجديته في دراساته التاريخية العديدة التي تناولت بعض الأقطار العربية. وناقش مضمون كتابه مع عدد من المختصين العرب في عدد من المؤسسات العلمية العربية قبل أن يضعه بصيغته النهائية. وحين أعد الدكتور كمال الصليبي كتابه عرضه على عدد من دور النشر الأجنبية، فرفضت أكثرها نشره بشكل فظ وأهمّل البعض الآخر الإجابة على عرض المؤلف للنشر. أما مؤسسة «دير شبيغل» الألمانية، فبادرت إلى طلب حقوق النشر من المؤلف، وكان شرطها أن تعرض الكتاب على مجموعة من العلماء وأساتذة التاريخ لتقويمه من الناحية العلمية قبل إقرار نشره وأن تتولى إصداره وتوزيعه على بلدان العالم إذا كان تقويم الكتاب إيجابياً. وقبل المؤلف بشروط المؤسسة الألمانية.

وجاءت توصية علماء اللغات السامية إيجابية في حين وقف علماء التوراة موقف العداء وراحوا يشنون الحملة عليه لأن الكتاب - برأي مؤلفه - يحمل في ثناياه تناقضاً كاملاً لنظرياتهم التقليدية التي افتقرت إلى التمحيص والتدقيق فيما يتعلق بأصول التوراة.

وبدأت حملة إعلامية واسعة ضد الكتاب ومؤلفه في أجهزة الاعلام والدوائر الأكاديمية الغربية والصهيونية، داخل فلسطين المحتلة وخارجها. والمؤلم في الأمر ليس قيام مثل هذه الحملة، إنما وقوف أوساط

عربية معينة موقفاً سلبياً من الكتاب . وما يزيد في غرابة الأمر أن الحملة شنت قبل أن يخرج الكتاب إلى النور ، وينشر ، أي أن الكتاب تعرض للهجوم والنقد قبل أن يعرف مضمونه وقبل أن تقرأ نصوصه بأية لغة من لغات العالم . وفي هذا شيء من الظلم . وتعاقدت المؤسسة الألمانية مع عدد كبير من مؤسسات النشر الأجنبية لينزل الكتاب الى الأسواق في ٢٧ آذار/ مارس الماضي باللغات التالية : الألمانية والانكليزية والفرنسية والهولندية والدانمركية ، إضافة إلى اللغة العربية ، على أن تدرسه قبل إقرار التعاقد .

إلا أن شدة الحملة على الكتاب أجبرت مؤسسة نشر عالمية على التراجع عن عقدها مع «دير شبيغل» مما أرغم الأخيرة ان تطلب من الدور الأخرى المتعاقدة معها تأجيل موعد النشر الموحد باللغات المختلفة إلى ٢٧ أيلول/ سبتمبر الحالي بدلاً من الموعد الأول .

ومن حق القارئ العربي أن يتساءل : لم الحملة وماذا يتضمن الكتاب ؟ إن المؤلف يطرح نظرية جديدة تقوم على وجوب إعادة النظر في «الجغرافيا التاريخية للتوراة» ، حيث يثبت أن أحداث «العهد القديم» لم تكن ساحتها في فلسطين ، بل إنها وقعت في جنوب غربي الجزيرة العربية ، ويستند في ذلك على أدلة اكتشفها في مجالي اللغة والآثار ، ويقارنها بالمألوف والسائد من «الجغرافيا التاريخية للتوراة» .

إن هذا النقد معناه برأي المؤلف «إعادة النظر بأسس الحضارة الغربية . حضارتنا العربية لها أسس أخرى . أما في الغرب فهم يعتبرون الكتاب المقدس (العهد القديم) هو أساس بناء الحضارة الغربية» - مجلة «الشراع» - بيروت - في ١٩٨٤/٩/٣ .

ويشرح المؤلف نظريته في تحديد أسماء الأماكن والمواقع المذكورة معتمداً على زيارته الشخصية لتلك المناطق في عسير وجنوب الحجاز ، وعلى «معجم لأسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية» وضعه مجموعة

من العلماء السعوديين وعلى رأسهم الشيخ حمد الجاسر، فهو بالتالي لم يستند على مصادر ومراجع أجنبية، بل اعتمد على المشاهدة وعلى مراجع عربية، من ناحية، واعتمد، من ناحية ثانية، على قراءاته المتأنية للتوراة وشروحاتها وما كتب عنها وما ورد فيها من وقائع وأحداث وأسماء لأمكنة كثيرة. وخرج بعد ذلك بنظريته التي يفصلها في هذا الكتاب.

إن أكثر ما يؤلم في الهجوم على الكتاب من جانب الأوساط العربية الزعم بأن الكتاب يحمل دعوة لاحتلال بلد عربي آخر. ويرد المؤلف «إن البعض يتهمني بأنني أدل اليهود على عسير لكي يستردوها. وأنا أجيب بأن من يقول هذا القول فإنما يعترف بحق الدعوة الصهيونية ويؤمن بصحتها من حيث المبدأ. وهكذا نكون كمن يوافق على حق شعب في أن يعود إلى الأرض التي كان موجوداً فيها منذ ألفي سنة. فالمبدأ خطأ. فأننا لا أضع الكتاب لأقول لليهود عودوا إلى عسير واتركوا فلسطين. فعسير أرض عزيزة غالية علي كأرض فلسطين أو لبنان أو سورية، أو أية أرض عربية أخرى» - المصدر نفسه.

وأخيراً فإن المؤسسة العربية الناشرة لهذا الكتاب - وهي تضم مواطنين عرباً سلاحهم الفكر والفكر وحده - تقف بما تنشره - خلافاً للموجة السائدة الآن في أوساط عربية عديدة بحكم مأساة واقعنا الراهن - موقف الرفض المطلق من الوجود الصهيوني في فلسطين، وتعتبر أن الصراع مع إسرائيل والحركة الصهيونية صراع حتمي على البقاء والوجود وليس مجرد خلاف على الحدود. وتؤمن، أيضاً، برغم قتامة الوضع الراهن، أن الفجر العربي قادم لا محالة، ويومها لن تبقى أرض عربية تحت سنايك خيول الغزاة، صهاينة كانوا أم قوى أخرى غير عربية، في فلسطين وفي بعض المناطق العربية التي اغتصبت منذ عقود وعقود من الزمن.

هذه الأراضي العربية المسلوقة عربية وستبقى إلى الأبد عربية. وهي إن غُزيت واستُبيحت فإن سقوطها لم يكن بسبب كتاب صدر أو مقال نشر،

بل كان السبب في ضياعها أن الجسد العربي مريض وممزق فكان طبيعياً أن يتعرض للغزو والهيمنة والسيطرة. وحين تسترد الأمة عافيتها وأوضاعها الطبيعية فلن يكون هناك بقاء لاسرائيل وسوف يستعاد التراب الوطني الفلسطيني كاملاً من النهر الى البحر. وتسترد كل قطعة أرض عربية اغتصبها الغزاة في مرحلة من مراحل الزمن العربي الرديء وفي ظل غياب الوعي القومي السليم.

وبعد . . . والكتاب إذ يتناوله القراء اليوم في شتى أنحاء العالم ليطلعوا عليه ويقرأوه، أليس من حقنا - كمواطنين عرب - أن نقرأ ما يُباح لغيرنا خاصة وإن الأمر يتناولنا ويتعلق بنا سواء كان ذلك من ناحية المؤلف أو من ناحية الموضوع؟

بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥ مؤسسة الأبحاث العربية

مقدمة الطبعة العربية

هذا الكتاب بحث في جغرافيا التوراة على أسس جديدة . وخلاصته أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديدًا في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن . وبالتالي، فإن بني اسرائيل من شعوب العرب البائدة، أي من شعوب الجاهلية الأولى . وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانهم، ثم انتشرت من موطنها الأصلي، ومنذ وقت مبكر، إلى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم . وقد اعتمدت في هذا الكتاب استعمال لفظة «التوراة» تبسيطاً للدلالة على كامل ما يسميه المسيحيون «العهد القديم» من الكتاب المقدس . و«العهد القديم» هذا يشمل ثلاث مجموعات من الأسفار التي يعترف بها اليهود، وهي «التوراة» و«الأنبياء» و«الكتب» (وبالعبرية سفر توره نبيءيم وكتوبيم) . أما «العهد الجديد» الذي يعترف به المسيحيون وحدهم فيشمل الأناجيل الأربعة المقدسة، وسفر «أعمال الرسل»، والرسائل (وهي التوجيهات التي وجهها الرسل، أي الحواريون، إلى أتباعهم في مختلف الأقطار) . والجدير بالملاحظة أن لفظة «التوراة» لا تطلق عُرفاً إلا على الأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم» المنسوبة لموسى، وهي سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية .

ولا بدّ، في البداية، من توضيح الفرق الأساسي الهام بين مفهوم «بني

إسرائيل ومفهوم «اليهود» و«اليهودية». فبنو إسرائيل كانوا في زمانهم شعباً دان باليهودية. وقد كان لهم، بين القرن الحادي عشر والقرن السادس قبل الميلاد، مُلكاً في بلاد السراة (أي في جنوب الحجاز وفي المنطقة المعروفة اليوم بعسير). وقد زال هذا الشعب من الوجود بزوال مُلكه، ولم يعد له أثر بعد أن انحلت عناصره وامتزجت بشعوب أخرى في شبه الجزيرة العربية وفي غير شبه الجزيرة العربية. وهذا تماماً ما حدث لغيره من الشعوب البائدة. أمّا اليهودية، فهي ديانة توحيدية وضعت أسسها أصلاً على أيدي أنبياء من بني إسرائيل، بناءً على شريعة أو «توراة» موسى (قابل العبرية توره مع العربية «ترثية»، أي «تعليم»). وقد كان بنو إسرائيل أول من دان باليهودية، لكنهم لم يكونوا وحدهم اليهود حتى في زمانهم. والديانة اليهودية التي ربما انتشرت على أيديهم أول الأمر استمرت في الانتشار بعد زوالهم وانقراضهم كشعب. وما زالت هذه الديانة منتشرة في معظم أرجاء العالم بين شعوب مختلفة لا تمت الى بني إسرائيل بصلة، لغة وعرقاً، مع العلم بأن هنالك عناصر من بني إسرائيل القدامى لا بدّ أنها انصهرت في المجتمعات اليهودية التي انتظمت في مختلف الأقطار بعد زوال مُلك إسرائيل حيث قام. ولا بدّ أن هنالك عناصر أكثر من شعب إسرائيل البائد انصهرت في مجتمعات عربية، مصرية أو عراقية أو شامية أو مصرية، وتحولت بمرور الزمن إلى المسيحية فالاسلام. ومن البديهي أن العرق بحدّ ذاته لا يموت، إنما الذي يموت هو المجتمع والانتفاء والاسم، وذلك عن طريق التحول من واقع تاريخي الى واقع آخر. والادعاء السائد بين يهود العالم بأنهم من سلالة بني إسرائيل هو ادعاء شُعري لا يقوم على أي أساس من التاريخ. وبناء على ذلك، فإن الادعاء «الصهيوني» الحديث بأن اليهود ليسوا مجتمعاً دينياً فحسب بل شعبٌ وريثٌ لبني إسرائيل، وأن له الحقوق التاريخية لبني إسرائيل، إنما هو ادعاء باطل أصلاً، لأن بني إسرائيل شعب باد منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وهو باطل حتى في

حال إقرار المبدأ بأن للشعوب حقوقاً تاريخية في أراضٍ معينة تبقى قائمة على حساب الآخرين مهما طال الزمن . وأقل ما يقال في هذا المبدأ أنه غير مقبول إلا من أصحاب الهوس العرقي .

والواقع أن هذا الكتاب يبحث في الجغرافيا التاريخية للتوراة وليس في أي أمر آخر، بما فيه قضية الصهيونية . والغرض منه هو توضيح غوامض التاريخ التوراتي عن طريق إعادة النظر في خريطة التوراة . وقد يستتج القارئ من الكتاب أن يهود اليوم لا حقوق تاريخية لهم في أرض فلسطين . والصحيح أن الحقوق التاريخية للشعوب تزول بزوالها . فيهود اليوم ليسوا استمراراً تاريخياً لبني اسرائيل ليكون لهم شيء يسمى حقوق بني اسرائيل ، وذلك سواء أكانت أرض بني اسرائيل أصلاً في فلسطين أو في غير فلسطين . وقد رأيت أن هذا التوضيح ضروري ، وإن كان بديهيّاً ، حتى لا يساء فهم القصد من مقولة هذا الكتاب ، وهو قصد علمي بحث ، ولا يمت إلى واقع العصر الحاضر بصلة إلا بقدر ما في المقولة بطبيعة حالها من دحض للمفهوم الصهيوني المغلوط للتوراة ، وهو مفهوم تتبناه اليوم فئة كبيرة من اليهود ، ويتبعهم في ذلك الكثيرون من جهلة المسيحيين في الغرب .

وأساس الكتاب هو المقابلة اللغوية بين أسماء الأماكن المضبوطة في التوراة بالحرف العبري ، وأسماء أماكن تاريخية أو حالية في جنوب الحجاز وفي بلاد عسير مأخوذة إما عن قدامى الجغرافيين العرب (ومنهم الحسن الهمداني ، صاحب «صفة جزيرة العرب» ، وياقوت الحموي ، صاحب «معجم البلدان») ، أو عن «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية» الذي بدأ في الظهور عام ١٩٧٧ م ، وقد قام بجمعه عدد من العلماء السعوديين (حمد الجاسر ، ومحمد العقيلي ، وعبدالله بن خميس ، وعلي بن صالح السلوكي الزهراني) . أضيف الى ذلك «معجم معالم الحجاز» و«معجم قبائل الحجاز» اللذين صنفهما المقدم عاتق بن غيث البلادي ،

و«معجم قبائل المملكة العربية السعودية» الذي صنفه الشيخ حمد الجاسر. ومن أسماء الأماكن في جنوب الحجاز وعسير ما أخذته أيضاً عن الخرائط المفصلة لتلك المناطق، وعن مؤلفات الرحالة في تلك الجهات. وأخص بالذكر مؤلفات الرحالة البريطاني فيليبي H. St. J. B. Philby، وكتاب «في ربوع عسير، ذكريات وتاريخ» لمحمد رفيع (القاهرة، ١٩٥٤)، وكتاب «في بلاد عسير» لفؤاد حمزة (الرياض، ١٩٥١). وقد قمت بزيارة المنطقة المعنية شخصياً للاطلاع المباشر على طبيعتها، وللتحقق من اللفظ المحلي لبعض أسماء المواقع فيها. ومن هذه الأسماء اسم وادي أضَم بمنطقة الليث، الذي يبدو أنه أضَم (كما ضبطه البلادي)، وهو غير وادي إضَم، وادي المدينة، الذي يسمّى اليوم وادي حمض. وفي الفصل الثاني من الكتاب وصف دقيق للنهج الذي اتبعته في المقابلات اللغوية وفي أمور أخرى تتعلق بالمادة غير اللغوية للبحث.

وجدير بالإشارة إلى أن المسح الأثري للمناطق الغربية من شبه الجزيرة العربية لم يتم بعد بشكل كامل. ولم يقد علماء الآثار بحفريات منتظمة في هذه المناطق. ولذلك فمقولة الكتاب لا تأخذ علم الآثار بالاعتبار. ولربما جاء هذا العلم في المستقبل بما يدعم الاستنتاجات اللغوية والنظرية الموجزة في هذا الكتاب ويزيد في توضيحها. وجل ما هو معروف عن هذا الأمر حتى الآن هو أن المناطق المشار إليها غنية جداً بالآثار والنقوش القديمة. وهذا ما يجمع عليه الجغرافيون والرحالة من عرب وأجانب. ومن الكتابات الصخرية الموجودة هناك ما كتب بأحرف أبجدية لم تحل رموزها بعد، كنقش رهو الرّاء في وادي الخَلَصَة الذي يذكره الزهراني في معجمه الجغرافي لبلاد غامد وزهران (ص ٩٣). ويبدو أن الأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد تبدو مقولة الكتاب في منتهى الغرابة للوهلة الأولى ليس فقط بالنسبة إلى اليهود والمسيحيين الذين اعتادوا على الفكرة بأن أرض التوراة

هي فلسطين، بل أيضاً بالنسبة الى المسلمين الذين أخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين. والواقع هو أن القرآن الكريم يقول بكل وضوح أن مقام ابراهيم كان ببكة (سورة آل عمران، ٩٦ - ٩٧). وليس هناك في النص القرآني ما يشير إلى أية علاقة بين بني اسرائيل وأرض فلسطين. ناهيك عن أن مفسري القرآن الكريم لم يستبعدوا وجوداً تاريخياً لبني اسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية (وهناك مثال على ذلك في الفصل ٧). والوجود اليهودي القديم في شبه الجزيرة العربية مشهود به في التواريخ العربية وفي الشعر الجاهلي. وقد كانت اليهودية ديانة آخر ملوك حمير باليمن، وربما كانت أيضاً ديانة واسعة الانتشار في مملكة حمير منذ أن قامت هذه المملكة عام ١١٥ قبل الميلاد.

ويقول القرآن الكريم ان هناك من اليهود من «يحرّفون الكلم عن مواضعه» وأنهم يفعلون ذلك «لياً بالسنتهم» (سورة النساء ٤٦). وفي هذه الآية إشارة واضحة وبالغة الدقة في الوصف الى العمل الذي كانت تقوم به فئة دون غيرها من أحبار اليهود، وهم المعروفون بالمُسَوْرِيّين (أي أهل التقليد)، ابتداءً بالقرن الميلادي السادس. وقد استمرّ المسووريون في عملهم هذا حتى القرن العاشر. وقد قام هؤلاء بتحقيق دقيق للنصوص التوراتية بالأحرف الساكنة، لكنهم أدخلوا الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة، ممّا غيّر إعراب الجمل وحوّره المعاني. ولم يرق عمل المُسوْرِيّين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين بالربّانيّين في البداية، لكن الربّانيّين هؤلاء قبلوا ما عمله المُسوْرِيّين مع الوقت، بحيث أصبح النص التوراتي المُسوْري المضبوط من التوراة هو النصّ المعتمد من اليهود. وقبل المسيحيّون أيضاً بهذا النصّ المُسوْري للتوراة، وأخذوا عنه ترجماتهم المعتمدة للـ «عهد القديم» من الكتاب المقدّس. وعلماء التوراة اليوم، بمن فيهم العلماء اليهود، يعرفون تماماً أن ضبط المُسوْرِيّين للتوراة لم يكن صحيحاً في مواقع كثيرة، وقد قامت عدّة محاولات لاعادة النظر في هذا الضبط، خصوصاً من قبل العلماء الذين

حاولوا وما زالوا يحاولون تصحيح ترجمة الأسفار التوراتية. لكن هذه المحاولات لم تف بالمطلوب حتى الآن، لأن التحريف الذي أدخله الضبط السوري على النص التوراتي هو أضخم بكثير مما يتصوره علماء التوراة.

وبناء على ذلك، فقد عمدت في معالجي للنصوص التوراتية في هذه الدراسة إلى إهمال الضبط السوري لهذه النصوص، واجتهدت قدر الامكان في فهم المقصود منها كما وردت أصلاً بالأحرف الساكنة. وقد نتج عن ذلك فهم جديد لمقاطع توراتية عديدة، وذلك زيادة عن النتائج التي توصلت إليها بشأن جغرافيا التوراة التي هي موضوع الكتاب، وهذا ما سوف يتضح للقارئ من مضمون الكتاب. ومن علماء التوراة من يفترض بأن السورين لم يكتفوا بتحريك النص التوراتي حسب ما ارتأوا، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فغيروا الأحرف الساكنة في بعض الأحيان. وربما حدث ذلك بالفعل دون أن يمس بأسماء الأماكن. والدليل على ذلك هو أن الأكثرية الساحقة من أسماء الأماكن التوراتية ما زالت موجودة الى اليوم، بشكل أو بآخر، في غرب الجزيرة العربية، وفي ذلك ما يثبت صحتها.

ويلفت نظر القارئ إلى أن هذه الدراسة لا تتطرق الى أصول أسماء الأماكن المشار إليها، ومعاني هذه الأسماء، إلا في حالات قليلة. ومن هذه الأسماء ما هو كنعاني أو آرامي في صيغته، ومنها ما هو عربي، ومنها ما هو سامي قديم يعود عهده إلى ما قبل الكنعانية والآرامية والعربية. وفي ذلك ما يفرض إعادة النظر في تاريخ اللغات السامية وانتشارها الجغرافي. فأهل الاختصاص اليوم يصنفون الكنعانية (ومنها العبرية والأوشاريتية والفينيقيّة) والآرامية (ومنها السريانية) على أنها من اللغات السامية «الشمالية». وهم يصنفون العربية على أنها من اللغات السامية «الجنوبية». ويتضح من وجود أسماء أماكن كنعانية وآرامية في شبه

الجزيرة العربية ان هذا التصنيف الجغرافي للغات السامية الثلاث ليس صحيحاً. وهناك في التوراة نفسها اسماء أماكن يقرّ العلماء بأنها عربية الصيغة وتحمل الأداة العربية للتعريف، ومنها اسم «الموداد» (بالكتابة العبرية علمودد) المذكور في سفر التكوين (١٠ : ٢٦) وفي سفر أخبار الأيام الأول (١ : ٢٠). وهناك نقش بالحرف الفينيقي وجد في جوار بلدة جبيل بلبنان، وقد احتار الباحثون في أمره لأن اللغة السامية التي كتب فيها هذا النقش ليست الفينيقية (أي الكنعانية). وأخبرني أحدهم، وهو من المختصين في الموضوع، أنه حاول قراءة النقش باعتبار أنه كتب بلغة سامية غير الكنعانية، فلم يستقم فيه التركيب والمعنى إلا عندما قرأه كنصّ عربي (وأنا لم أتمكن بعد من التحقق من هذا الأمر بنفسي). وفي كل ذلك ما يفيد بأن اللغات السامية الثلاث التي نحن بصدددها كانت لغات قائمة جنباً إلى جنب، سواء في الشام أو في غرب الجزيرة العربية، في آن واحد. وفي هذا الواقع وحده ما يقلب المفاهيم بالنسبة الى جغرافيا اللغات السامية وتاريخها رأساً على عقب. ولا عجب في أن اللغة العربية كانت معاصرة للكنعانية والآرامية في الأزمنة التوراتية. فالعربية، سواء من ناحية تصويتها (أي فونولوجيتها) أو من ناحية صرفها ونحوها (أي مورفولوجيتها)، تعتبر أقدم اللغات الثلاث من قبل أهل الاختصاص. وربما كانت في الأصل لغة الأعراب من أهل البادية، في حين أن الكنعانية والآرامية كانتا من لغات النبط (أو النبط، وهم سكان الحواضر) في مناطق التحضر المحيطة بالبادية، سواء في الشام والعراق أو في الجزيرة العربية. ولا بدّ أن انهيار حضارات النبط في هذه الأقطار، ابتداء بالقرن الثاني أو الثالث للميلاد، وامتداد نفوذ الأعراب الى الحواضر المحيطة بالبادية، كان هو السبب في انتشار لغة الأعراب وحلها مكان اللغات النبطية حيث وجدت. وكان قد سبق للآرامية أن تغلبت على الكنعانية في المناطق الحضرية التي صارت للعربية فيما بعد، ربما بالطريقة نفسها. وفي اليمن حلّت اللغة العربية محلّ اللغة اليمنية القديمة القريبة من الحبشية.

واللغويون يصنّفون هاتين اللغتين على أنّهما من اللغات الساميّة «الجنوبية الهامشية». والواضح من أسماء الأماكن في اليمن أن لهجات من الكنعانية والآرامية كانت منتشرة هناك قبل تحوّل هذه المنطقة من شبه الجزيرة العربية إلى اللغة اليمنية القديمة. وربما حدث هذا التحوّل في وقت سابق للقرن السادس قبل الميلاد، إذ هناك نقوش باللغة اليمنية تعود، حسب تقدير أهل الاختصاص، إلى ذلك القرن. ويبدو أن هذه اللغة كانت منتشرة في زمانها من اليمن شمالاً حتى مشارف الحجاز.

والمهم في ذلك أن الدراسة اللغويّة لأسماء الأماكن هي ضرب من علم الآثار، لأن أسماء الأماكن هي في الواقع آثار، وهذا ما يشرحه الفصل الثاني من هذا الكتاب بشيء من التفصيل. وقد كان قصدي في البداية أن أقوم بمثل هذه الدراسة لأسماء الأماكن في شبه الجزيرة العربية، أملاً بأن أجد من خلالها ما يلقي الضوء على المجهول من تاريخ العرب البائدة. ثم تحوّلت عن هذا القصد عندما تبين لي بما لا يقبل الشك وجود معظم الأسماء التوراتية بشكلها الأصلي، أو بشكل معرّب، في بلاد السراة وما يليها من جبال تهامة ووهاها غرباً، والمناطق الداخلية الواقعة بين وادي نجران ووادي تُرْبَة حتى وادٍ وَجّ (وهو وادي الطائف) شرقاً. وما أن تبين لي ذلك حتى تذكّرت ما جاء في القرآن الكريم عن مقام إبراهيم ببكّة. وتذكّرت أيضاً ما تناقله الجغرافيون العرب على أن موطن إبراهيم كان، في وقت ما، بـ «كوثي ربّي». وفي نظر هؤلاء الجغرافيين أن «كوثي ربّي» هذه كانت كوئي العراق. والواقع أن هناك «كوئي» (الكوثة) و«ربّي» (الرّبة) في جوار خميس مشيط بعسير، حيث هناك أيضاً «الشباعة» التي ثبت لي أنها شبعه (أي «بئر سبع») التوراتية (انظر الفصل ٤)، وفي سفر التكوين أن شبعه هذه كانت من مواطن إبراهيم. وهكذا عدت إلى الكتاب المقدّس لأقرأ سيرة إبراهيم كما وردت في سفر التكوين، متفحصاً جغرافياً هذه السيرة على ضوء خريطة الحجاز وعسير. وكانت هذه بداية البحث في موضوع هذا الكتاب.

وعندما بدأت تراودني فكرة وضع كتاب حول الموضوع ترددت كثيراً في ذلك. وكنت اتساءل إذا كان لي الحق بأن أحدث بلبلة في أفكار الناس بمثل هذا الخروج عن المألوف والمتعارف، خصوصاً وأني كنت خبرت هذه البلبلة بنفسني عندما تبين لي ما تبين عن جغرافيا التوراة للمرة الأولى. ومن ناحية أخرى، كنت اشعر بأن الواجب العلمي يفرض علي أن لا أبقى ما توصلت اليه من المعرفة بشأن التوراة سراً. فالناس ليسوا قاصرين، ولذلك لا يجوز أن تكون هناك معارف سرية يحتفظ بها الباحثون لأنفسهم كما كان يفعل الكهنة في القدم. وعلى كل حال، فليس للباحث أن يأخذ على عاتقه القرار بما يجوز نشره من المعارف أو لا يجوز. وهكذا اقتنعت أخيراً بضرورة وضع هذا الكتاب وطرح مقولته علناً حتى تثبت صحتها أو لا تثبت عن طريق الأخذ والرد. وقد شجعتني عدد من الزملاء والأصدقاء على الوصول إلى هذا الاقتناع.

ومهما كان الأمر بالنسبة إلى صحة مقولة هذا الكتاب على وجه العموم، فلا بد أني وقعت في أخطاء كثيرة في التفاصيل، خصوصاً وأنني أول من عالج هذه التفاصيل. وربما اكتشفت بعض هذه الأخطاء بنفسني في المستقبل، وربما لفتني القراء إلى غيرها. فالموضوع المطروح يكاد أن يكون واسعاً ومتشعباً إلى ما لا نهاية، وليس بقدرة أحد أن يبت وحده في جميع تفاصيله. وجل ما في الأمر أني اجتهدت قدر الامكان في دراسته، وليس بالضرورة أن يكون كل مجتهد مصيباً. وقد قيل إن الحقيقة هي وليدة الزمن، ولا يصح في النهاية إلا الصحيح.

كمال سليمان الصليبي

٢٧ آذار ١٩٨٥

ملاحظات لغوية

تتشرك الأبجدية العربية مع الأبجدية العبرية التوراتية في ٢٢ حرفاً، وتنفرد الأبجدية العربية بستة أحرف إضافية. والأحرف المشتركة بين الأبجديتين هي: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت. هذا مع العلم بأن حرف الشين بالعبرية (שׁ) ينقط على شكلين، فيلفظ سيناً (שׂ) في بعض الكلمات وشيناً (שׁ) في غيرها. أما الأحرف العربية التي لا وجود لها في العبرية، فهي: ث، خ، ذ، ض، ظ، غ.

وهناك جذور كثيرة مشتركة بين العبرية التوراتية والعربية، وذلك دون تغير في الأحرف في بعض الأحيان، ومع تحوّل في الأحرف في أحيان أخرى. والتحوّلات في الأحرف التي يقرّها علماء اللغات السامية بين اللغتين هي الآتية:

الأحرف العبرية:	الأحرف العربية:
א	و، ي
ג	غ، ق
ד	ذ، ز، وأحياناً ت، ض، ظ في اللفظ العامي
ו	ء، ي

ز	ذ، ص، ض، ظ
ح	خ
ط	ت
ي	ء، و
ك	خ، ق
م	(خصوصاً في لاحقة جمع المذكر) ن (خصوصاً في لاحقة جمع المذكر)
ن	م
ع	غ
ف	ث (والتحول هذا وارد بين اللهجات العربية)
ص	س، ض، ز، ظ
ق	ج، غ، ك
ظ (الشين)	س، ث
ظ (السين)	ش
ت	ث، ط

ويبقى هناك أربعة أحرف عبرية (ب، ه، ل، ر) لا تتحول إلى أحرف أخرى بالعربية، بل تبقى هي ذاتها دوماً في الجذور المشتركة بين اللغتين. وهناك حرف س بالعبرية غير السين يسمى «سامك» وهذا الحرف يبقى سيناً بالعربية، وقد يتحول أحياناً إلى صاد في اللفظ، وربما إلى زين. ويلاحظ أن التاء المربوطة (ة) والألف المقصورة (ى) لا وجود لهما في العبرية حيث يستعاض عنهما كلاهما بالهاء (ه). وحاء التأنيث العبرية هذه تنقلب تاءً عادية (ت) عند الإضافة. فيقال مثلاً «شه، أى «امرأة، زوجة»، و«شت هـ - ملك، أى «زوجة الملك». وقد تتحول هاء التأنيث في العبرية إلى ألف مقصورة في العربية ويبقى اللفظ هو ذاته.

وهناك ظاهرة مشهودة كثيراً في اللغات السامية، وهي الاستبدال، أي قلب الأحرف في الجذر المشترك بين لغة وأخرى، وكذلك بين لهجة

وأخرى من اللغة الواحدة. وأفضل مثل على ذلك، في اللغة العربية، هو كلمة «زوج» في الفصحى وبعض اللهجات العامية، التي تقلب أحرفها فتصبح «جوز» في لغات عامية أخرى. والأمثلة على ذلك بين اللغات السامية لا تحصى عدداً.

ويلاحظ من المقابلة بين أسماء الأماكن التوراتية وتلك الموجودة الى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية أن معظم هذه الأسماء، مهما كان الأصل لغوياً، قد تعرّب في اللفظ وليس في المعنى. ولذلك فإن التغير في معظم هذه الأسماء قد تمّ إمّا عن طريق قلب الأحرف، أو عن طريق تغير الأحرف شبه الصوتية (ء، و، ي) دون الأحرف الصحيحة. ولم يتعرّب من هذه الأحرف، في أكثر الأحيان، إلاّ الأحرف العبرية التي تقابل الأحرف العربية الإضافية (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)، وحرف الميم عندما يكون لاحقة المذكر العبرية، فينقلب نوناً في العبرية. ومن ناحية أخرى، هناك أسماء أماكن عبرية ما زالت موجودة اليوم بشكل مترجم، لا بشكل معرب. ومن هذه الأسماء جبعث هـ - عبرلوت التي هي اليوم «ذي غلف» (انظر الفصل ٧)، وشعلبيم التي هي اليوم «الشعالب» (جمع التكسير العربي بدلاً من جمع المذكر في الاسم التوراتي).

ويلاحظ أيضاً بأن حرف اللام في أسماء الأماكن التوراتية، مهما كان موضعه في التركيب، كثيراً ما ينقلب الى «أل» التعريف في الاسم المعرّب. فاسم المكان جلعد التوراتي، مثلاً، يصبح في شكله الحالي «الجعد»، واسم المكان لمعله يصبح «المعلاة». أضف أن أداة التعريف العبرية، وهي الهاء، تنقلب الى أداة التعريف العربية في معظم الأحيان. وهناك أيضاً أسماء الأماكن التوراتية على وزن «يفعل» و«تفعل». وهذه الأسماء تتحوّل إلى العربية على وزن «فعل» و«فعله». فالاسم التوراتي يقطن، مثلاً، يصبح في شكله الحالي «قطن»، والاسم تعنك يصبح «عنقة».

والمقابلة بين الألفاظ (ومنها أسماء الأماكن) في اللغات السامية تكون بمقابلة التركيب الأساسي لهذه الألفاظ بين لغة وأخرى، دون النظر إلى اللواحق وأحرف العلة عندما تكون هذه معتمدة فقط للتصويت. فاسم المكان التوراتي شمرون، مثلاً، هو في الأساس شمرون، يقابله بالعربية اسم المكان «شمران» الذي هو أيضاً في الأساس شمرون. وشبعه التوراتية هي في الأساس شبع، يقابلها بالعربية اسم «الشباعة» الذي هو أيضاً شبع. وقد اعتمدت هذه الطريقة المبسطة للمقابلة بين أسماء الأماكن التوراتية والحديثة في هذه الدراسة.

ويبدو أن الطريقة التي تعرّبت فيها الأسماء التوراتية في شبه الجزيرة العربية تختلف بين منطقة وأخرى. فالشين العبرية، مثلاً، لا تنقلب عادةً إلى ثاء عربية إلا في منطقة جيزان (حيث الاسم التوراتي بشن، مثلاً، انقلب إلى «بشنة»)، وفي منطقة الأودية الداخلية (حيث الاسم التوراتي شغم، مثلاً، انقلب إلى «ثغن»، والاسم كوش انقلب إلى «كوثة»). أما في المناطق الأخرى، فمثل هذا الانقلاب لا يحصل إلا في حال تعريب الاسم عن طريق الترجمة، مثل شعلبيم و«الثعالب»، وشديم و«الشديين» (انظر الفصل ٦)، وlish و«الليث» (انظر الملحق). والواقع هو أن شعلبيم تعني بالعربية «الثعالب»، وشديم تعني «الشديين»، وlish تعني «الليث».

ويلاحظ من لائحة تحولات الأحرف المدرجة أعلاه أن الكاف العبرية قد تنقلب خاءً في العربية، على ما يقوله علماء اللغات السامية. والمعروف أن اللفظ المفترض والمعتمد للعبرية التوراتية يقلب الكاف إلى خاء عندما تكون الكاف مسبقة بحركة صوتية. وربما كان ذلك نقلاً عن اللفظ السرياني الحالي للأرامية. والواقع هو أن مثل هذا التحول من الكاف إلى الخاء غير وارد على الإطلاق في التعريب الذي حصل لأسماء الأماكن التوراتية في شبه الجزيرة العربية، حيث الكاف التوراتية تبقى

كافاً في الاسم الحالي أو تتحوّل الى قاف، ولا تتحوّل في أيّ اسم مشهود الى خاء. وفي ذلك ما يستوجب اعادة النظر في أمر العلاقة عملياً بين الكاف العبرية والحاء العربية.

١- العالم اليهودي في العصور القديمة

لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة. كنت أبحث عن أسماء الأماكن ذات الأصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية عندما فوجئت بوجود أرض التوراة كلها هناك ، وذلك في منطقة بطول يصل إلى حوالي ٦٠٠ كيلومتر ويعرض يبلغ حوالي ٢٠٠ كيلومتر، تشمل ما هو اليوم عسير والجزء الجنوبي من الحجاز. وكان أول ما تنبّهت إليه أن في هذه المنطقة أسماء أماكن كثيرة تشبه أسماء الأماكن المذكورة في التوراة. وسرعان ما تبين لي أن جميع أسماء الأماكن التوراتية العالقة في ذهني، أو جلّها، ما زال موجوداً فيها. وقد تبين لي أيضاً أن الخريطة التي تستخلص من نصوص التوراة في أصلها العبري، سواءً من ناحية أسماء الأماكن أو من ناحية القرائن، أو الإحداثيات، تتطابق تماماً مع خريطة هذه الأرض. وهي حقيقة ذات أهمية أولية، نظراً لأنه لم يثبت بعد إطلاقاً تطابق الخريطة الموصوفة في التوراة مع خريطة الأرض بين «النيل والفرات» التي اعتبرت حتى اليوم أنها كانت بلاد التوراة.

وأكثر من ذلك، فإني لم أستطع العثور على مثل هذا التجمع لأسماء الأماكن التوراتية، وفي صيغها الأصلية عادة، في أي جزء آخر من الشرق الأدنى. وهنا قدم الاستنتاج المذهل نفسه بنفسه: فاليهودية لم تولد في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية، ومسار تاريخ بني إسرائيل، كما روي في التوراة العبرية، كان هناك، في غرب شبه الجزيرة العربية،

وليس في أي مكان آخر.

هذا لا يعني أن اليهود لم يكن لهم أي وجود في فلسطين أو في غيرها من البلدان خارج غرب شبه الجزيرة العربية في أيام التوراة، بل جل ما يعني هو أن التوراة العبرية - أو ما يفضل المسيحيون تسميته «العهد القديم» من الكتاب المقدس - هي، بالدرجة الأولى، سجل للتجربة التاريخية اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية في زمن بني إسرائيل. وفي غياب السجلات الضرورية، لا بد من اللجوء إلى التكهن بكيفية استقرار اليهودية منذ وقت مبكر في فلسطين. وهنا سأغامر بتفسير أقدمه.

بين الأديان المعروفة في قديم الشرق الأدنى، تقف اليهودية في فئة تضمها وحدها، إذ لم تجر أية محاولة ناجحة حقاً لتفسير أصولها من خلال الأديان العراقية أو الشامية أو المصرية القديمة، باستثناء ما جرى على مستوى الاستعارات الأسطورية (الميثولوجية) كما في قصة الطوفان^(١). وحتى في هذه الحالة، لا يمكن للمرء حقاً أن يقول أين ولدت أمثال هذه الأساطير ومن استعارها ممن أو أخذها عنه. وكما سيرى لاحقاً (أنظر الفصل ١٢)، فإنه يجب البحث عن الأصول الحقيقية لليهودية في ثنايا الاتجاه في منحى التوحيد في عسير القديمة، حيث تمّ الجمع في وقت ما بين عدد من آلهة الجبال (ومنهم يهوه وآلهة صبءوت وشلم و شدي وعليون، وهم في الترجمة العربية المعتمدة «الرب» و«اله الجنود» و«اله السلام» و«الله القدير» و«الله العلي»)، واعترف بهم كإله واحد أسمى. وربما حدث ذلك بالترافق مع قيام تآلف بين بعض القبائل المحلية. وبعد أن تبنى سكان محليون يسمون الاسرائيليين (والأصحّ بني اسرائيل) هذا التوحيد البدائي المولود في غرب شبه الجزيرة العربية، قام هؤلاء

(١) إحدى الفصوص الموازية لقصة الطوفان التوراتية، مثلاً، يمكن العثور عليها في «ملحمة جلجامش» العراقية القديمة، تضاف إليها أساطير شعبية قديمة أخرى مماثلة، إحداها صينية.

بتطويرة، مرحلة بعد أخرى، إلى ديانة عميقة المضمون، لها كتبها المقدسة، وتشمل مفهوماً متطوراً للالهوية ومحتوى اجتماعياً وأخلاقياً مصقولاً إلى درجة رفيعة. وإذا أخذت كل هذه الأمور في الاعتبار، فإنه لا بد من أن هذه الديانة كانت في زمانها على قدرة فائقة في اجتذاب المهتمين إليها من خارج موقعها الأصلي وحيث وجدت مستويات معينة من عمق التفكير ومن الحساسية الخلقية. ولا بد أن مما ساعد بشكل خاص على نشرها هو أنها كانت ديانة ذات كتاب، طورها أناس قادرون على القراءة والكتابة.

إن الدراسة اللغوية لأسماء الأمكنة في الشرق الأدنى، إذا أخذت في اعتبارها التوزيع الجغرافي لهذه الأسماء، توحى بأن لغة الكتب اليهودية المقدسة، المسماة تقليدياً باللغة العبرية، هي عبارة عن لهجة من لغة «سامية»^(٢) كانت منتشرة في الأزمنة التوراتية في أنحاء مختلفة من جنوب شبه الجزيرة العربية وغربها ومن الشام (بما فيها فلسطين). ونظراً لعدم وجود تعبير أفضل، فإن هذه اللغة تسمى في يومنا هذا «الكنعانية» نسبة إلى شعب توراتي كان يتكلمها^(٣). وإلى جانب الكنعانية، كانت هناك لغة سامية أخرى منتشرة في الوقت ذاته في شبه الجزيرة العربية والشام، هي الآرامية، التي سميت كذلك نسبة إلى الآراميين التوراتيين. وبغض النظر عن كان الكنعانيون، ومن كان الآراميون، في الحقيقة^(٤)، فإن اللغتين الكنعانية (العبرية) والآرامية كانتا تستخدمان

(٢) كان أ. ل. شلوزر هو أول من استخدم تعبير «السامية» لوصف الشعوب ذات العلاقة بالعبريين ولغاتهم. والتعبير مأخوذ عن اسم سام (شم بالعبرية) بن نوح، وهو الجد المزعوم للعبريين ولأقوام توراتية أخرى. وتحدث التوراة العبرية عن شعوب تحدت من سام دون أن تصفها بالسامية.

(٣) ربما كانت هذه اللغة تسمى بهذا الاسم في القدم أيضاً. وهناك إشارة إلى «لغة كنعان» (سفت كنعن)، التي ربما عنت العبرية، في أحد النصوص التوراتية (أشعيا ١٩ : ١٨).

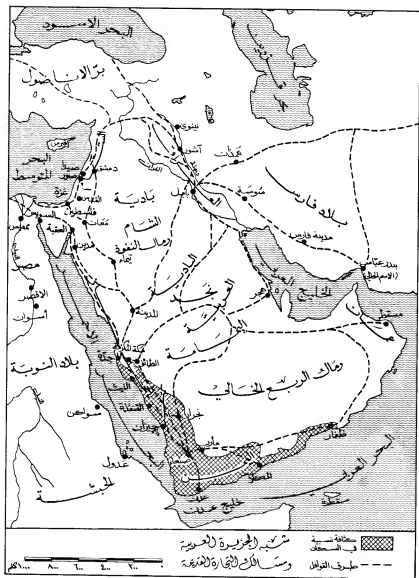
(٤) في الفصل الرابع، سيقام الدليل بالبرهان الاسمي على أن أرض كنعان التوراتية كانت تقع في الجانب البحري من عسير، وليس في فلسطين والساحل الشامي. وفي الفصل الأول =

بالتأكيد لدى مجتمعات مختلفة في غرب شبه الجزيرة العربية، في مرحلة واحدة، وفي الوقت نفسه، كما كان الأمر عليه في الشام. وهناك فقرة توراتية تبين هذا بوضوح، إذا ما أعيد أخذها في ضوء أسماء الأمكنة في غرب شبه الجزيرة العربية. واستناداً إلى سفر التكوين ٣١: ٤٧-٤٩، فإن ركاماً يدعى «كومة الشهادة» أقيم ليشهد على ميثاق عقد بين يعقوب العبري وخاله الأرامي لابان، وقد سمي هذا الركام «يجر سهدوثا» (بالآرامية يجبر سهدوت) عند لابان، بينما سماه يعقوب «جلعيد» (جلعد بالعبرية) و«المصفاة» (هـ - مصفه بالعبرية، أي «نقطة المراقبة»). والأسماء الثلاثة ما زالت تطلق اليوم على ثلاث قرى صغيرة متجاورة على

= هذا سترد إشارة إلى هجرة الكنعانيين أصلاً من غرب شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشامي. وقد افترض الباحثون الذين استندوا أكثر ما يكون إلى الدليل التوراتي المؤول تأويلاً خاطئاً أن الأراميين كانوا أصلاً من سكان منطقة من شمال الشام تقع غرب الفرات. ولكن العودة إلى تمحيص الدليل التوراتي المذكور تدل على أن ما تشير إليه التوراة العبرية باعتباره آرام (مرم) كان موجوداً في الواقع في غرب شبه الجزيرة العربية. و«آرام النهرين» (مرم نهريم، سفر التكوين ٢٤: ١٠. الخ)، مثلاً، لم تكن بلاد ما بين النهرين، أي العراق، بل قرية «النهارين»، وهي اليوم من منطقة الطائف في جنوب الحجاز. ويتبع ذلك أن «فدان آرام» (فدن مرم، سفر التكوين ٢٨: ٢. الخ) كانت قرية الدفينة (وبلا تصويت دفن) في جنوب الحجاز، وليست مكاناً في بلاد ما بين النهرين. وكذلك، فإن أسماء أخرى تربطها التوراة العبرية بآرام - مثل «بيت - رحوب» و«آرام صوبة»، وحتى دمشق («ذا مسك» في منطقة جيزان، في غرب الجزيرة العربية، قارن بالعبرية دمشق) - يمكن أن تكون اليوم موجودة بالاسم نفسه في الحجاز وعسير. و«وادي ورم» أيضاً يحمل اسم آرام هناك. ولقطة «إرم» في القرآن الكريم (٧: ٨٩)، التي وردت كاسم مكان، مماثل تماماً في أحرفها الساكنة كلمة آرام التوراتية التي تكتب أيضاً مرم. وينسب القرآن الكريم هذا المكان إلى «ذات العمادة»، ولعلها اليوم قرية العماد في مرتفعات زهران، جنوب الطائف، حيث ما زالت هنالك آرام محلية قيد الوجود ممثلة في قرية «أزيمّة» (مريم). وفي حين أنه لا يمكن للمرء أن يتكلم في الواقع عن الامتداد الكامل الذي كان لأرض آرام التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن المؤكد أنها كانت تضم الأجزاء الجنوبية من الحجاز. وعلى كل حال، فإن «بيت رحوب» و«آرام صوبة» المذكورتين آنفاً هما اليوم إما رحاب في منطقة الطائف والصابية على مقربة منها في وادي أضم (كذا في معجم البلادي)، أو هي رحاب المسماة «رحاب المعتمة» والصوبية في منطقة رجال ألمع، وهي ليست بعيدة هناك عن وادي ورم.

منحدرات عسير البحرية في منطقة رجال ألمع ، إلى الغرب من بلدة أبها ، وهي : «فرعة آل شهدا» (عل شهدء ، «الله هو الشاهد» أو «إله الشاهد» ، والكلمة العربية «فرعة» تعني الكومة أو الهضبة ، وهي المساوية في المعنى للكلمة الآرامية (بحر) ، و«الجعد» (عل - جعد ، وهو الصيغة العربية المعترف بها لاسم التوراتي جلعد) ، و«المضاف» (مضف ، قارن مع مصفه ، وقد قلبت الصاد فيها إلى الضاد بالعربية) . وهناك قرية اسمها «المصفى» في منطقة قنا والبحر المحاذية لرجال ألمع إلى الغرب ، ولا أظن أنها هي «المصفاة» المقصودة في هذا الصدد لبعدها عن «فرعة آل شهدا» و«الجعد» . وكان القرب بين المتكلمين بالكنعانية والمتكلمين بالآرامية في غرب شبه الجزيرة العربية في القدم يصل حد أن الإسرائيليين احتاروا في أمر الجماعة التي كانوا إليها يتمون . وبينما اعتبروا هم أنفسهم عادة عبريين عرقاً (انظر الفصل ١٣) ، فقد حثهم سفر التثنية ٢٦ : ٥ على التذكر بأن جدهم كان آرامياً ، وهي مسألة أثارت دوماً حيرة الباحثين التوراتيين نظراً لما يبدو فيها من تناقض في الظاهر .

والمرجح هو أن الانتشار المبكر لليهودية من موطنها الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية الى فلسطين وبقاع أخرى في الشمال اتبع مسار القوافل التجارية العابرة لشبه الجزيرة العربية . وفي العالم القديم ، كان إقليم عسير في غرب شبه الجزيرة العربية مكان اللقاء للقوافل المحملة بتجارة بلاد حوض المحيط الهندي (الهند ، جنوب الجزيرة العربية ، شرق أفريقيا) الآتية من اتجاه ، والقوافل المحملة بتجارة فارس والعراق وبلاد حوض شرق البحر الأبيض المتوسط (الشام ، مصر ، عالم بحر إيجه) من اتجاه آخر (انظر الخريطة) . ونظراً لوقوع فلسطين في الزاوية الجنوبية للشام ، وبالقرب من مصر ، فقد كانت هي المحطة الساحلية الأولى لتجارة غرب شبه الجزيرة العربية في ذلك الاتجاه . ولا بد أن المستوطنين اليهود الأوائل هناك كانوا من تجار غرب شبه الجزيرة العربية ومن رجال القوافل العاملين في تلك التجارة . ولم يكن هؤلاء المستوطنين أن يخفقوا



في اجتذاب المهتدين المحليين إلى دينهم ، الذي كان يفوق العقائد المحلية في مستواه الفكري والخلقي الى حد لا يقاس ، وكذلك الديانات العليا لامبراطوريات مصر والعراق .

ولم يكن اليهود أول من استوطن فلسطين قادماً من غرب شبه الجزيرة العربية ، بل هناك «الفلسطينيون» (أي الفلسطينيين ، انظر الفصل ١٤) الذين وصلوا ، ولا شك ، من غرب شبه الجزيرة العربية قبلهم ، فصارت البلاد تعرف باسمهم . وهناك أيضاً الكنعانيون (انظر الهامش ٤) الذين نزحوا من غرب شبه الجزيرة العربية في زمن مبكر ، عندما «تفرقت» قبائلهم في الأرجاء (سفر التكوين ١٠ : ١٨) ، ليعطوا اسمهم لأرض كنعان (كنعان) على امتداد الساحل الشامي شمال فلسطين ، في المنطقة التي سماها الإغريق فينيقيا (على اسم الفينيقا في عسير ، انظر الفصل ١٤) . وكون فينيقيا قد سميت كنعان من قبل سكانها أنفسهم أمر معروف من خلال قطعة نقد هيلينية من بيروت تصف هذه المدينة بالفينيقية بأنها «في كنعان» (ب- كنعن) ، وبالإغريقية بأنها «في فينيقيا»^(٥) .

وفي كتابته عن «الفينيقيين» وعن «سوريي فلسطين» في القرن الخامس قبل الميلاد ، لا يبدي المؤرخ الإغريقي هيرودوتس أي شك حول كون أصولهم من غرب شبه الجزيرة العربية . وهو يقول عن الاثنين : «هؤلاء الناس ، واستناداً إلى روايتهم نفسها ، قطنوا في القديم على البحر الأحمر ، وعبورهم من ذلك المكان ، استقروا على ساحل البحر في سورية ، حيث ما زالوا يقيمون» (٧ : ٨٩ ، وانظر أيضاً المصدر نفسه ١ : ١)^(٦) . ومهما كان شأن الهجرات الأولى من شبه الجزيرة العربية الى

Zellig S. Harris, A grammar of the Phoenician language (New Haven, Conn., 1936), p. 7, note 29.

ويستشهد هاريس أيضاً بدليل آخر يشير إلى أن الفينيقيين ، على امتداد الساحل الشامي وفي الأمكنة الأخرى أيضاً ، كانوا يسمون أنفسهم كنعانيين .

(٦) المؤرخون وعلماء الآثار المعاصرون يرفضون عادة دليل هيرودوتس على هذا الأمر وعلى =

الساحل الشامي^(٧)، فإن الهجرات الفلسطيّة والكنعانية الى هناك لا بد أن تكون قد نمت حجماً بمرور الزمن. واستناداً إلى الكتب التاريخية للتوراة العبرية، فالواضح أن المملكة الاسرائيلية أسست في غرب شبه الجزيرة العربية بين أواخر القرن الحادي عشر ومطلع القرن العاشر قبل الميلاد، وإلى حد كبير على حساب مجتمعات مثل الفلسطيّين والكنعانيّين الذين كانوا من سكان تلك الأرض أصلاً. ولعلّ هجرة هؤلاء الفلسطيّين والكنعانيّين، من شبه الجزيرة إلى الشام، ازدادت حجماً في تلك الفترة على أثر الهزائم المتتالية التي ألحقها بنو إسرائيل بهم في مواطنهم الأصليّة.

وفي فلسطين، يبدو أن الفلسطيّين أطلقوا على عدد من مستوطناتهم (مثل غزة وعسقلان) أسماء هي في الأصل أسماء لأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية جاؤوا منها. والقرية الفلسطينية «بيت دجن» («معبد دجن، أو «داجون»)، قرب يافا، ما زالت تحمل اسم إلههم في غرب شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ١٤). وفي شمال فلسطين، أعطى الكنعانيون أيضاً أسماء من غرب شبه الجزيرة العربية لبعض مستوطناتهم، وهي أسماء مثل: صور وصيدون وجبيل وأرواد ولبنان^(٨).

= نقاط تتعلق بالتاريخ القديم للشرق الأدنى باعتباره غير ذي قيمة حقيقية. وهم يعاملون هذا الدليل بهذا الترفع، على الأرجح، لأنه لا يطابق مفاهيمهم المأخوذة الى حد كبير عن سوء تأويل السجلات القديمة والاكتشافات الأثرية، المبنيّة بدورها على سوء تأويل المادة الجغرافية والطوبوغرافية للتوراة. ولا يجب إعطاء أية قيمة للقول بأن «البحر الأحمر» الذي يقصده هيرودوتس هو الخليج العربي وليس البحر الأحمر، مع العلم بأن قدماء الإغريق كانوا بالفعل يطلقون اسم «البحر الأحمر» على كامل الأبحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية.

(٧) يفيد هيرودوتس (٢: ٤٤)، نقلاً عن كهنة مدينة صور الفينيقية في أيامه، أن هذه المدينة قد أنشئت قبل ٢٣٠٠ سنة من تلك الأيام.

(٨) «صور» التوراتية (صر بالعبرية) لم تكن مدينة على حافة «البحر» (يم بالعبرية) بل الواحة الخالية الكبيرة «زور» (زر)، وهي الواحة المسماة اليوم بالتحديد «زور الوادعة» في منطقة نجران، بمحاذاة بلاد «يام» (قارن مع يم بالعبرية) المجاورة للصحراء العربية الداخلية. و«سفناء» (ء ونبوت بالعبرية) كانت في الحقيقة قوافل حيوانات محملة («الأون» =

وعندما بدأ إسرائيليو غرب شبه الجزيرة العربية (وربما يهود آخرون من غير بني اسرائيل من غرب شبه الجزيرة) بالهجرة باتجاه الشمال للاستيطان في فلسطين، كائناً ما كان زمن الهجرة، أطلقوا بدورهم أيضاً أسماء من غرب شبه الجزيرة العربية على بعض مستوطناتهم الفلسطينية (وليس كلها بالتأكيد)، أو على أوابد دينية محلية استولوا عليها وعرفوها بأوابد يهودية في غرب شبه الجزيرة العربية، وهي أسماء مثل يهوده (انظر الفصل ٨)، وبيروشليم (انظر الفصل ٩)، وبيت لحم (انظر الفصل ٨)، وحبرون (الخليل هو اسمها الحالي بالعربية، انظر الفصل ١٣)، وشمرون وتعريبها «السامرة»، وجزريم، وعييل (انظر الفصل ١٠)، و«الكرمل» (كرمل)^(٩)، وربما «الجليل» (جليل)^(١٠) و«حرمون»

= بالعربية هو «أحد جانبي الخرج على ظهر الدابة»، ويمكن التعرف الى أسماء الأماكن التي تاجرت معها هذه القوافل في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية. وتحدث التوراة عن الملك حيرام (حيرم) ملك صر، وما من ملك قديم بهذا الاسم معروف بأنه نصب على مدينة صور اللبنانية، والفينيقي أحيرام (محرم) كان ملك جبيل، وهو مكان مختلف تماماً. وهناك اختلاف في الاسم أيضاً بين حيرم و محرم. و«جبيل» التوراتية (جبل بالعبرية، وقد تكون جبل أو قبل بالعربية) ليست جبيل لبنان. وهناك أماكن كثيرة تحمل هذا الاسم في غرب شبه الجزيرة العربية، وهناك «جبيل» معينة تقع قرب صور التوراتية، هي «القابل» (قبل) في اقليم نجران. و«أرواده» غرب شبه الجزيرة العربية هي اليوم «رواد» (رود) في مرتفعات عسير، و«صيدون» التوراتية هي موضوع بحث خاص في الفصل ٤. والجغرافيون العرب يذكرون وجود لبنان ولبنان (البتون بالعبرية) كاسمين لجبل في الحجاز وأرض باليمن. وفي جوار لبنان هناك قرية تدعى لبيني ما زالت موجودة (انظر الفصل ٧). ولا بد أن أرز لبنان التوراتي كان أشجار عرعر عملاقة في أرض لبنان باليمن. والقواميس العربية تفيد بأن لفظة «أرز» تطلق على العرعر. ولا شك أيضاً في أن ثلوج لبنان التوراتية هي ثلوج محلية في المنطقة ذاتها (انظر الفصل ٢).

(٩) لقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ٥: ٤٤٨) كرمل غرب شبه الجزيرة العربية، وتعمريتها كرميل، على أنها «جبل». بالقرب من حمضة ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة. ولعل «حمضة» المذكورة هي حمضة من قرى القحمة، في منطقة جيزان. جبل كرمل هذا، إذن، يقع مباشرة غرب أرض لبنان، أي «لبنان» اليمن (انظر الهامش ٨). وهذا يفسر لماذا يشار أحياناً إلى جبل كرمل بالترايط مع جبل لبنان في النصوص التوراتية، وأحدها النص الوارد في سفر إشعيا ٢٩: ١٧، سب لبون - ل - كرمل، الذي يؤخذ على أنه يعني =

(حرمون)^(١١) و«الأردن» (هـ - يردن، انظر الفصل ٧). والظاهرة هذه مرتبطة بالهجرة في كل زمن، وفي كل أنحاء العالم. فالمهاجرون يحنون دائماً إلى أوطانهم الأصلية، وكثيراً ما يسمون البلدات والأقاليم والجبال والأنهار، وحتى بلداناً أو جزراً بكاملها، بأسماء مألوفة حملوها معهم من مواطنهم القديمة. ولم تكن هناك فوارق بعيدة في اللغة بين غرب شبه الجزيرة العربية والشام في أيام التوراة، ولذلك لا يستبعد أن يكون عدد من الأماكن في المنطقتين على السواء قد سُمي أصلاً بالأسماء نفسها، وخصوصاً حيث كانت الأسماء هذه تدل على مظاهر طوبوغرافية أو مائية أو حياتية بيئية معينة، أو كانت تتعلق بعبادة الإله نفسه. وفي الثقافة التقليدية، كما في اللغة، لم تكن الشام والجزيرة العربية متباعدتين في أي زمن من الأزمنة.

وقد كانت هنالك عوامل خارجية تعزز الهجرات من غرب شبه الجزيرة العربية باتجاه فلسطين وسائر الشام في جميع المراحل. ولا عجب في ذلك، لأن غرب شبه الجزيرة العربية كان مضرباً لأنظار الفاتحين منذ أقدم العصور، أولاً لما كان فيه من موارد طبيعية، وثانياً لأنه كان يشكل أهم نقاط التقاطع بين الخطوط التجارية في العالم القديم (انظر الفصل ٣). وفي الفصل الحادي عشر، سيجري الإثبات بالدلائل الاسمية على أن حملة الملك المصري شيشانق الأول ضد «يهوذا» في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد، كما هي واردة في التوراة العبرية ومدعمة بالسجلات

= «يتحول لبنان بستاناً»، ولكنه يعني في الواقع «يتحول لبنان إلى كرم»، أو «يعود لبنان إلى كرم».

(١٠) أسماء الأماكن المماثلة لـ جليل العبرية (التي تعني «المنحدرات المدرجة») شائعة الوجود في مرتفعات غرب شبه الجزيرة العربية. وبين الأسماء الأخرى، هناك «وادي جليل» في جنوب الحجاز، جنوب شرق الطائف.

(١١) حرمون التوراتية (وفي الاستبدال حرم أو خرمن) استمرت في الوجود كاسم لما لا يقل عن خمسة أماكن في جنوب الحجاز وعسير كلها تدعى حمران أو خران.

المصرية، كانت موجهة ضد غرب شبه الجزيرة العربية، وليس ضد فلسطين والشام كما كان يعتقد حتى الآن. والدراسة الصحيحة لحملة مصرية أخرى تذكرها التوراة العبرية، هي حملة نكو الثاني في السنوات الأخيرة من القرن السابع قبل الميلاد، تدل على أن هذه الحملة أيضاً كانت موجهة بدورها ضد غرب شبه الجزيرة العربية الذي كان يسيطر عليه البابليون آنذاك. ومعركة كركميش (أخبار الأيام الثاني ٣٥ : ٢٠، اشعيا ١٠ : ٩، ارميا ٤٦ : ٢) التي جرت بين المصريين والبابليين بهذه المناسبة، إنما جرت قرب الطائف، في جنوب الحجاز، حيث ما زالت هنالك قرستان متجاورتان تسميان «القر» و«قماشة». و«كركميش» التوراتية هي بالتأكيد غير كركماسة الحثية، والتي هي الآن جرابلس، على الفرات^(١٢). ولعل الحملات العسكرية المصرية الأبعد، والتي تعود

(١٢) وادي أضم، الذي ينبع من مرتفعات منطقة الطائف ويجري باتجاه البحر الأحمر، يشار إليه أحياناً في التوراة العبرية على أنه نهر فرت، مما يجعله قابلاً للاختلاط مع فرات العراق. وهذا الاختلاط يتعزز بالوصف التوراتي لنهر فرت بكونه هـ - نهر هـ - جدول، أي «النهر العظيم»، باعتبار أن وادي أضم هو أحد أكبر الوديان في غرب شبه الجزيرة العربية. عملياً، إن الاسم التوراتي لهذا الوادي يأتي من اسم قرية تدعى اليوم «فرت»، أو أخرى تدعى «فرات»، في المنطقة نفسها. وكما هو الأمر بالنسبة لمعركة كركميش، فإن معركة كركرة (أو بالأحرى قرقرة) التي حاربها الآشوريون ضد ملوك أمث وإمرشو وحلفائهم جنديبو أربي وأخبو سبرئلا (والواضح أن الأخير هو أخاب ملك إسرائيل)، في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد، كانت قد جرت فعلاً في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس على امتداد نهر العاصي في شمال الشام كما يعتقد عادة. وأمث التي اعتبرت حتى اليوم إشارة إلى حماه في وادي العاصي، في شمال الشام، هي عملياً قرية «أمث» الحالية في منطقة الطائف، وهي بذلك ليست بعيدة عن قر/قماشة، أي عن كركميش التوراتية. وإمرشو ليست دمشق الشام كما تعتبر حتى الآن، ودون أي أساس لهذا الاعتبار، بل ربما كانت - بين إمكانيات عدة في غرب شبه الجزيرة العربية - المراسا في جنوب مرتفعات عسير (منطقة ظهران الجنوب، انظر الفصل ٣). جنديبو أربي يفترض عادة كونه زعيماً عربياً من بادية الشام. وعملياً هناك قبيلة تدعى بنو جندب ما زالت تعيش في وسط مرتفعات عسير، وأربي قد تكون اليوم «عربة» أو «عرابة» من قرى بلاد عسير. وكركرة نفسها، في هذه الحالة، يمكن أن تكون حالياً قرقرة أو قرقرا في منطقة القنفذة في تهامة الحجاز المحاذية لعسير، وليس أي مكان في وادي العاصي من =

بتاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ويفترض عموماً أنها كانت موجهة ضد فلسطين والشام، إنما كانت موجهة بدورها، وبالدرجة الأولى، ضد غرب شبه الجزيرة العربية. وقد يتبين ذلك في معظم الحالات إذا أعيدت دراسة السجلات المصرية لهذه الحملات بعناية، على ضوء أسماء الأمكنة التي ما زالت موجودة في غرب شبه الجزيرة العربية^(١٣). وكان المصريون القدامى يحرصون على إخضاع شبه الجزيرة العربية وخطوطها التجارية لسيطرتهم^(١٤). وهكذا كان الآشوريون والبابليون في أيامهم. وفي أعقاب كل غزو، من أي اتجاه أتى، كانت تنطلق موجة جديدة من الهجرة من غرب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد أخرى، مثل فلسطين.

وفي الواقع أن مصر كانت تمر بفترة انكماش، بين أواخر القرن الحادي عشرة وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد، عندما برزت المملكة الاسرائيلية عند منحدرات عسير الساحلية (انظر الفصول ٨ - ١٠) في أيام شاول، وتوسعت في أيام داود، ووصلت ذروة قوتها وازدهارها في

= الشام. وأما بالنسبة للشكوك بالتسميات المتعلقة بمعركة كركرة، كما فسرت جغرافياً حتى الآن، فانظر الهوامش في:

James B. Pritchard, ed., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament* (Princeton, 1969), pp. 278-279.

(١٣) إن ترجمات السجلات المصرية (مثل ترجمات بريتشارد) تشوش الموضوع بتعريفها غير النقدي لأسماء الأمكنة المشار إليها بأسماء أماكن فلسطينية وشامية معروفة بدلاً من ضبط هذه الأسماء بالحروف الأصلية، وهو الشيء الذي يجب عمله. والأمر نفسه أيضاً (كما في بريتشارد) ينطبق على السجلات الآشورية والبابلية والسجلات الأخرى. والبحث عن الأمكنة محور الموضوع يجب أن يتم بالاستناد إلى السجلات الأصلية، وليس بالاستناد إلى الترجمات.

(١٤) وبين أشياء أخرى، كان المصريون مهتمين أيضاً بتأمين خشب العرعر من عسير (وليس أرز لبنان) كمادة للبناء ولتعمير السفن. وحول الاختلاط الحاصل بين الأرز والعرعر، انظر الفقرات المتعلقة بذلك في:

Alessandra Nibbi, *Ancient Egypt and some eastern neighbours* (Park Ridge, N. J., 1981).

أيام سليمان . ولو كان داود وسليمان ، في وقتها ، هما السيّدان الفعليان لدولة شامية مترامية الأطراف ، تسيطر على الإقليم الاستراتيجي الذي يفصل مصر عن بلاد العراق ، كما هو الافتراض الشائع (انظر الملوك الأول ٤ : ٢١ في أية ترجمة عادية) ، لكانت السجلات المصرية والآشورية المتعاصرة قد أشارت إليهما بالتأكيد بأسمائهما ، وهو ما لم تفعله هذه السجلات . وعندما عادت مصر تسعى إلى التوسع خلال القرن العاشر قبل الميلاد ، كانت هنالك تدخلات مصرية عسكرية جديدة في غرب شبه الجزيرة العربية ، وقد أدّت هذه التدخلات المصرية ، بعد وفاة سليمان ، إلى انقسام مملكته إلى مملكتين إسرائيليتين هما «يهوذا» و«إسرائيل» (انظر الفصل ١٠) . ولعلّ أولى الهجرات اليهودية الواسعة النطاق إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، وخصوصاً إلى فلسطين ، كان مردّها إلى الحروب التي نشبت بين ملوك «يهوذا» وملوك «إسرائيل» ابتداءً بذلك الوقت . ولا بد أن مثل هذه الهجرات تعزز بالغزوات المتوالية التي شنّها ملوك آشور ثم ملوك بابل على غرب شبه الجزيرة العربية بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد . وفي العام ٧٢١ قبل الميلاد ، قام الملك الآشوري سرجون الثاني بتصفية مملكة «إسرائيل» في غرب شبه الجزيرة العربية ، واحتل عاصمة المملكة ، وهي «السامرة» (شمرون ، وما زالت هناك وتدعى شمران ، انظر الفصل ١٠) ، واستاق الأعيان من سكانها أسرى إلى بلاد فارس . ثم في العام ٥٨٦ قبل الميلاد ، قضى الملك البابلي نبوخذنصر على مملكة «يهوذا» في غرب شبه الجزيرة العربية ، واقتاد الألوف من رعاياها اليهود إلى بابل ، حيث وضعوا قيد الأسر^(١٥) . وكان البابليون يسعون إلى المحافظة على السيطرة على غرب شبه الجزيرة العربية ، وإلى استباق أية عودة مصرية إلى المنطقة ومنعها (كتلك المحاولة التي قام بها نكو الثاني قبل ربع قرن) ، إلى درجة أن نبونعيد الذي خلف

(١٥) تجب الملاحظة هنا بأن المؤرخين العرب القدماء ، وعلى رأسهم الطبري ، أصروا على اعتبار نبوخذنصر غازياً لشبه الجزيرة العربية ، ورووا قصة فتوحاته هناك .

نبوخذنصر في ملك بابل نقل عاصمته من بابل نفسها إلى تيباء، في شمال الحجاز، وقضى معظم أيام ملكه هناك، كما هو معروف.

ويبدو أن وجوداً يهودياً قوياً كان قد قام خلال هذه المرحلة في فلسطين. فلما ساءت أحوال الاسرائيليين في غرب شبه الجزيرة العربية صار اليهود هناك يتوسمون الخير والأمل في أرض الاستيطان اليهودي الجديدة في فلسطين، أي في «بنت صهيون» و«بنت اورشليم» في فلسطين بدلاً من «صهيون» و«اورشليم» القديمتين في غرب شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ٩). وما من عالم قديم بائس إلا ويتوسم الخير في عالم جديد يعقد حوله الآمال. وفيما يلي ثلاثة أمثلة عن آمال يهود غرب شبه الجزيرة العربية، جاء التعبير عنها بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد. ولعل الإشارة في هذه الأمثلة هي الى المواطن اليهودية الجديدة في فلسطين:

١- وأنت يا برج القطيع،

أكمة بنت صهيون،

إليك يأتي ويحيي الحكم الأول،

ملك بنت اورشليم (مicha ٤ : ٨) (١٦).

٢- احتقرتك (١٧)، استهزأت بك

العدراء ابنة صهيون.

نحوك انغضت ابنة اورشليم رأسها. . . .

ويعود الناجون من بيت يهوذا:

الباقون يتأصلون إلى أسفل

(١٦) الواضح من خلال Micha ١ : ١، حيث يعدد هذا النبي معاصريه من ملوك يهوذا، أن هذا التعبير عن الأمل بعودة ملك «ابنة اورشليم» إلى أكمة «بنت صهيون» يعود بتاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد. وحتى الآن، تعامل الباحثون التوراتيون مع تعبير «ابنة صهيون» و«ابنة اورشليم» على أنها ليسا أكثر من تعبيرين شعريين موجّهين الى صهيون وأورشليم، لا يستثيران أي بحث أبعد من ذلك. والمسألة على كل حال فيها نظر.

(١٧) الكلمات هنا موجهة الى سنحريب، ملك آشور (٧٠٤-٦٨١ ق. م.).

ويصنعون ثمرأ إلى ما فوق .
لأنه من أورشليم تخرج بقية ،
وناجون من جبل صهيون ؛
غيرة رب الجنود^(١٨) تصنع هذا . . .
(أشعيا ٣٧: ٢٢ ، ٣١-٣٢ ؛ وأيضاً الملوك الثاني ١٩ : ٢١ ،
٣٠-٣١) .

٣- ابتهجي جدأ يا ابنة صهيون !
اهتفي يا بنت أورشليم !
هوذا ملكك يأتي إليك :
هو عادل ومنصور ،
وديع وراكب على حمار
وعلى جحش ابن أتان (زكريا ٩ : ٩)^(١٩) .

(١٨) بالعبرية يهوه صبء وت ، والإشارة هي الى معلم مقدس أساسي ليهوه في مكان اسمه اليوم الصُّبِّيَّات ، في منطقة النماص من سرة عسير . انظر الفصل ١٢ .
(١٩) سيرة زكريا النبوة تتطابق مع السنوات الأولى من ملك داريوس الأول الفارسي ، من الأسرة الأخمينية (٥٢٢-٤٨٦ ق. م) ، كما هو واضح من الإشارة إلى اسم وسنوات حكم داريوس هذا في نص نبوءات زكريا . ولأن زكريا يتحدث (٩ : ١٣) عن يون «ياوان» في الترجمة العربية للتوراة التي أخذت كإشارة الى اليونان (ياونيس بالآغريقية) ، فإن النقاد نسبوا هذا الفصل وما يليه في زكريا الى كاتب آخر في تاريخ متأخر (أواخر المرحلة الفارسية الأخمينية ومطلع المرحلة الهيلينية) . عملياً ، إن الكلمة العبرية يون لا يمكنها أن تشير إلى اليونان إلا في سفر دانيال . وفي كل مكان آخر من التوراة العبرية يشير الاسم إلى ما يمكن أن يكون اليوم إما قرية اللانة قرب الطائف في جنوب الحجاز ، أو قرية وينة في المنحدرات الغربية لعسير ، في منطقة بني شهر . ويبدو أن زكريا كان أحد الاسرائيليين العائدين من فارس أو من بابل الى غرب شبه الجزيرة العربية في أوائل المرحلة الأخمينية (انظر مايلي) . ونتيجة لاستيائه مما وجد هناك يمكنه أن يكون قد نحل عن اهتمامه بصهيون وأورشليم القديمتين في غرب شبه الجزيرة العربية ليرى الأمل في صهيون وأورشليم جديديتين في فلسطين . ولعل في كلام زكريا عن مجيء ملك «بنت أورشليم» اليها راكباً بدعة «على حمار وعلى جحش ابن أتان» تصويراً لطبيعة الهجرة من غرب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في زمانه .

وما لبثت دولة بابل أن انهارت، وجاء دور الدولة الفارسية الأخمينية، ففتعال اليهود بقدموها، آملين بأن الفرس سيساعدونهم على إقامة دولة إسرائيلية لهم من جديد. وكان الفرس، بالفعل، يميلون إلى مصادقة اليهود ويعتبرونهم من أنصارهم. لكن الواقع هو أن الفتوحات الفارسية لبلاد الشرق الأدنى كانت هي العامل الذي قضى، وإن بصورة غير مباشرة، على أية إمكانية لإعادة بناء مملكة إسرائيلية قابلة للحياة في غرب شبه الجزيرة العربية. ففي السنة ٥٣٨ قبل الميلاد فتح الفرس بابل، وفي السنة ٥٢٥ اجتاحوا الشام واحتلوا مصر، وهكذا وحدوا كل بلاد الشرق الأدنى القديم للمرة الأولى تحت راية إدارة أمبراطورية واحدة فاعلة، من حدود الهند إلى حوض البحر المتوسط. ووسع الفرس كذلك رقعة حكمهم ليشمل الكثير من شبه الجزيرة العربية إن لم يشملها كلها، ولكن نجاحهم في ضبط العراق والشام ومصر حول مسالك التجارة من الجنوب إلى الشمال ووجه بذلك ضربة قاسية إلى تجارة القوافل العابرة لشبه الجزيرة. وقد كانت تجارة القوافل هذه تشكل العمود الفقري لحياة الإسرائيليين ومجتمعات قديمة أخرى في غرب شبه الجزيرة العربية. وأصبح الآن للطرق الرئيسية المحروسة التي أنشأها الأخمينيون لتربط بلاد فارس والعراق بمصر عبر الشام تأثير فوري ومباشر في تحويل مسالك التجارة الرئيسية بعيداً عن شبه الجزيرة العربية، مما أدى فجأة بشبه الجزيرة وشبكاتها من طرق قوافل الجمال إلى الركود الاقتصادي. وفي نهاية القرن، ساهم بناء الفرس لقناة تربط البحر الأحمر بنهر النيل في تشجيع التجارة البحرية في ذلك الاتجاه على حساب تجارة القوافل العابرة لشبه الجزيرة العربية. ولا بد أن التأثير الإجمالي لهذا كله، فيما يخص غرب شبه الجزيرة العربية، كان الكارثة بعينها.

وكان الفرس، كما سبق، يعيدون عن معاداة اليهود، بل إنهم ميّزوه عن غيرهم. وبإذن من الفرس أنفسهم، عاد حوالي ٤٠ ألفاً من أبناء الأسرى الإسرائيليين في بلاد فارس والعراق مع عائلاتهم إلى غرب شبه

الجزيرة العربية وفي نيتهم إعادة بناء مجتمعهم هناك . لكن سرعان ما خابت آمال هؤلاء الاسرائيليين العائدين ، إذ وجدوا كل ما حولهم خراباً وفقراً، وذلك على عكس ما كانوا يتصوّرون . وأما ما تلا ذلك فلا يمكن اكتشافه إلا بالتكهن، لأن الرواية التاريخية للتوراة العبرية تتلاشى وتنتهي عند هذه النقطة، وينتهي معها تاريخ بني اسرائيل الذين زالوا من الوجود كشعب، على ما يظهر، بعد أن أخفقوا في إعادة بناء وطنهم الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية . أما اليهودية كدين، فاستمرت في وجودها هناك، وفي جنوب شبه الجزيرة أيضاً، حتى القرن الحالي . واستمرت اليهودية كدين أيضاً في مناطق أخرى خارج شبه الجزيرة، ومنها العراق وفلسطين ومصر وغيرها . ويحتمل أن يكون معظم الاسرائيليين العائدين في المرحلة الأخينية إلى شبه الجزيرة العربية قد عادوا أدراجهم ثانية إلى بلاد فارس والعراق، أو هم تفرقوا في أماكن أخرى . ومن ذلك الوقت فصاعداً، وحتى تدمير الرومان لأورشليم الفلسطينية في العام ٧٠ للميلاد، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين، وقبل أن يمر وقت طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت غياهب النسيان .

والشيء الذي ساهم في إزالة غرب شبه الجزيرة العربية من الذاكرة خلال وقت قصير نسبياً (ربما مئتين أو ثلاثمائة سنة) كان التحول الذي طرأ في هذه الفترة على اللغة في شبه الجزيرة العربية والشام والعراق بحلول القرن السادس قبل الميلاد . وكما لوحظ سابقاً، فإن اللهجات الكنعانية (مثل العبرية التوراتية) كانت تستخدم في الكلام العام في غرب شبه الجزيرة العربية والشام في الأزمنة التوراتية، جنباً إلى جنب مع اللهجات الآرامية . والكتب اليهودية المقدسة، باستثناء بعض الفقرات في كتب الأنبياء المتأخرين، كتبت بالعبرية، وليس بالآرامية . وفي حوالي السنة ٥٠٠ قبل الميلاد، كانت اللغة الكنعانية، على ما يبدو آخذة في الموات إن لم تكن قد ماتت فعلاً، في شبه الجزيرة العربية كما في الشام،

وحلت محلها اللغة الآرامية في كل مكان، بما في ذلك العراق. وفي ظل حكم الأخمينيين، أصبحت الآرامية هي لغة الإدارة في أنحاء الامبراطورية الفارسية و«اللغة المشتركة» لمنطقة الشرق الأدنى. واستمر هذا التحول اللغوي في المنطقة خلال القرون التالية، في حين بدأت لهجات لغة سامية أخرى تدعى العربية تتنافس مع اللغة الآرامية في أقاليم مختلفة من الشرق الأدنى^(٢٠). وبحلول القرون الأولى من العصر المسيحي كانت اللغة العربية، وهي أصلاً لغة القبائل الرعوية للبادية الشامية - العربية، قد بدأت تحل فعلاً محل اللغة الآرامية في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكذلك في أجزاء من العراق والشام، غير تاركة سوى جيوب صغيرة من المتكلمين بالآرامية في هاتين المنطقتين الأخيرتين في القرن السابع أو الثامن للميلاد. وفي غرب شبه الجزيرة العربية يظهر هذان التحوّلان اللغويان المتواليان بوضوح من خلال التغير الذي طرأ على بعض أسماء الأماكن. ومن الأمثلة على ذلك اسم بلدة «صوييم» التوراتية (صبيم أو صبييم هما المثنى أو الجمع لـ صبي، أي «غزال»). و«صوييم» هذه (كما سيظهر في الفصل ٤) تشير إلى بلدين توأمين في منطقة جيزان الساحلية في جنوب عسير، وهاتان البلدتان ما زالتا موجودتين وتحملان اسمي «صبيا» (صبيء) و«الظبية»، واسم الأولى هو تحويل إلى الآرامية عن الأصل الكنعاني صبي باضافة لاحقة

(٢٠) هذه التحولات اللغوية المتتالية التي أثرت على بلدان الشرق الأدنى المحيطة بالامتداد الواسع للبادية الشامية - العربية كانت لا بد متعلقة بالموجات المتتابعة لاستيطان القبائل الرعوية المتوجهة من قلب البادية إلى أراضي الاستقرار الدائم حولها. ويبدو أن الكنعانية كانت اللغة الأصلية للسكان القبليين والمستقرين في أطراف المرتفعات الغربية للبادية الشامية العربية، في الشام كما في شبه الجزيرة العربية. أما المستوطنون الجدد الذين أتوا من البادية في أزمنة مبكرة، فقد جاؤوا معهم باللغة الآرامية إلى تلك المناطق وإلى بلاد العراق. وموجات الاستيطان التالية لقبائل البادية التي تتكلم العربية في تلك المناطق نفسها أدخلت إليها العربية. ويمكن النظر إلى اللغات الكنعانية والآرامية والعربية، كنسبوعات للغة السامية الأم، على أنها متساوية في القدم. ومن الناحية اللغوية، تعتبر اللغة العربية أقدم الثلاث.

أداة التعريف الآرامية، واسم الثانية هو تعريب للاسم نفسه مع بادئة أداة التعريف العربية. وهكذا، فإن أسماء الأماكن تجمد تحركات التاريخ.

وموت العبرية التوراتية كلغة محكية، أصبحت قراءة الكتب المقدسة اليهودية مشكلة، وبقيت كذلك منذ ذلك الحين. واللغة العبرية، مثلها مثل كل اللغات السامية، كانت تكتب بأحرف ساكنة لا بد من «تصويتها» (أي إلى إضافة إشارات صوتية إليها) لكي تفهم^(٢١). ومن الناحية الأخرى، فقد كان من الضروري فهم الكلمة قبل إضافة الإشارات الصوتية الملائمة، أو تشديد الأحرف حيث يتطلب ذلك المعنى الصحيح أو المفترض. وبدءاً من المرحلة الأخمينية، يبدو أن اليهود الفلسطينيين والبابليين، الذين لم يعرفوا كيف كانت اللغة العبرية لكتبهم المقدسة تلفظ في الأصل، راحوا يصوغون الإشارات الصوتية المضافة إليها على الأساس الآرامي، اللغة التي كانوا بها يتكلمون^(٢٢). وكانت نصوص كتبهم المقدسة هذه مليئة بأسماء أمكنة لم يكونوا يعرفونها، لأن هذه الأسماء كانت خاصة بأماكن ومواقع هي في غرب شبه الجزيرة العربية ولا يعرفونها. وفي منطقة غرب شبه الجزيرة العربية نفسها كان اليهود قد شهدوا منذ حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد تراجعاً في أحوالهم المعيشية إلى حد أنه كان من الصعب العثور فيها بينهم على علماء لهم قدرة

(٢١) إن الاستثناء بين اللغات «السامية» هو اللغة الأكادية، لغة العراق القديمة، التي كانت كتابتها بالأحرف المخروطية الشكل مقطعية، وليست أبجدية. وهناك كتابات كتشانية وضعت بالأحرف المقطعية المخروطية وليس بالأحرف الأبجدية، ومنها الكتابات الأوجاريتية التي وجدت في رأس شعرا بالشام.

(٢٢) هناك عدّة أدلة على ذلك، منها تبني التخفيف الآرامي لحرف الكاف عندما تسبقه أداة صوتية، وتحويله إلى خاء. وهذا التحويل ليس مشهوداً على الإطلاق في أسماء الأماكن التوراتية التي مازالت موجودة في غرب شبه الجزيرة العربية، حيث ترد الخاء دائماً كللفظ بديل للخاء في الاسم كما هو وارد في نصوص التوراة.

على تصحيح القراءة الجغرافية لأبناء دينهم الفلسطينيين والبابليين. وأكثر من ذلك، فإن يهود غرب شبه الجزيرة العربية استمروا في عيشهم كيهود من الناحية الدينية فقط، وليس كاسرائيليين من الناحيتين الإثنية والسياسية. وعلى كل حال، فإن هؤلاء اليهود أنفسهم ما عادوا يتكلمون اللغة العبرية التي كتبت بها كتبهم المقدسة، وقبل مضي وقت طويل كانت لغتهم قد أصبحت هي اللغة العربية. ولا شك في أن يهود غرب شبه الجزيرة العربية حافظوا على بعض من ذكرى ماضيهم هناك^(٢٣). لكن الاتصال بينهم وبين اليهود خارج شبه الجزيرة العربية، بنهاية المرحلة الأخمينية، أصبح ضئيلاً إلى حد أنه لم يعد بإمكانهم أن ينقلوا إليهم بشكل فعال ما كانوا بعد على علم به. وعندما بدأ اليهود الفلسطينيون والبابليون أخيراً بضبط نصوص التوراة العبرية بالإشارات الصوتية، وذلك في غضون القرن السادس للميلاد (انظر الفصل ٢)، كانت قد مرّت قرون عديدة على الزمن الذي كانت فيه العبرية، أو أية لهجة كنعانية، متداولة في الكلام في أي مكان، وكانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت منذ زمن طويل في طي النسيان.

ومن العوامل التي ساعدت، ولا بدّ، على طمس ذكرى الماضي اليهودي في غرب شبه الجزيرة العربية ما يتعلق بالتطورات السياسية في تلك المنطقة وفي فلسطين بعد انقراض بني إسرائيل. ففي غرب شبه

(٢٣) إن عدداً من قبائل غرب شبه الجزيرة العربية التي هي ليست يهودية اليوم تصرّ على أنها يهودية في أصولها القديمة. وهناك اعتقاد على في المنطقة بأن أرض الأنبياء التوراتيين كانت هناك، حسب ما يقوله الرحّالة الذين زاروا المنطقة في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي. وهناك اعتقاد تقليدي قبي في شبه الجزيرة العربية بأن اليهود سكنوا في «جبال الحجاز» بينما كان العرب ما زالوا في البادية، وأن اليهود هم أول من روّض الجمل وأهله. أنظر:

Alois Musil, *The manners and customs of the Rwala Bedouins* (New York, 1928), pp. 329-330.

الجزيرة العربية، أدى الضعف التدريجي الذي أصاب الأمبراطورية الأخمينية، والذي كان ظاهراً منذ سنة ٤٠٠ قبل الميلاد، إلى نشوء كيانات سياسية جديدة، وخصوصاً من بينها ما يسمى بدولة «معين». وكان نشوء دولة «معين» هذه في المنطقة ذاتها التي شهدت قبلاً قيام مملكة الإسرائيليين. وتشتت يهود شبه الجزيرة بين هذه الكيانات المحلية الجديدة، ففقدوا شعورهم بالانتماء الخاص كشعب واحد، إذ لم يعد هناك ما يجمع شملهم سياسياً. ولم يكن الأمر كذلك في فلسطين، حيث اتخذت التطورات مساراً مختلفاً. ففي سنة ٣٣٠ قبل الميلاد، رسمت فتوحات الإسكندر الأكبر نهاية الأمبراطورية الفارسية. وبعد موت الإسكندر أقام قادة جيشه إمبراطوريات جديدة على ما كان في السابق أراضٍ أخمينية. وإحدى هذه الامبراطوريات «الهيلينية» كانت أمبراطورية البطالسة، التي كان مركزها في مصر، وكانت عاصمتها الإسكندرية. وكانت إحدى الامبراطوريات الأخرى هي الأمبراطورية السلوقية، التي تركزت في النهاية حول الشام، وكانت عاصمتها انطاكية. وكانت السيطرة على فلسطين في البداية موضوع نزاع بين البطالسة والسلوقيين، قبل أن يحسم الأمر لصالح الأخيرين وتصبح فلسطين خاضعة لحكمهم. لكن البطالسة لم يتخلوا، مبدئياً، عن الأمل في استعادة السيطرة أو النفوذ على فلسطين. وخلال القرن الثاني قبل الميلاد، اغتتم اليهود الفلسطينيون فرصة استمرار النزاع على بلادهم بين البطالسة والسلوقيين، فقاموا بثورة ناجحة (بدأت عام ١٦٧ قبل الميلاد) وتمكنوا من انتزاع استقلالهم عن الحكم السلوقي في سنة ١٤٢ أو ١٤١ قبل الميلاد. وتمكن قادة هذه الثورة اليهودية، الذين كانوا ينتمون إلى أسرة الحشمونيين من الكهنة، أن يسيطروا على أورشليم الفلسطينية. وكان يهود العالم قد اعتادوا على النظر إلى هيكل أورشليم هذه على أنه قدسهم الرئيسي، على ما يبدو. وفي أعقاب سلسلة من الانتصارات العسكرية تمكن الحشمونيون أيضاً من توسيع رقعة الأراضي اليهودية في فلسطين

بحيث أصبحت لا تضم كامل أرض فلسطين فحسب، بل أيضاً الأجزاء الجنوبية من الجليل شمالاً، وكذلك المرتفعات شرق نهر الأردن والبحر الميت.

واعتبر الحشمونيون أنفسهم، في أيامهم، الورثة الشرعيين لاسرائيل القديمة، واستمرت مملكتهم حتى مجيء الرومان، وانتهت في سنة ٦٣ قبل الميلاد. وفي سنة ٣٧ قبل الميلاد، أعاد مجلس الشيوخ الروماني تنظيم أراضيهم السابقة جاعلاً منها مملكة «اليهودية» التابعة لروما، ونصب عليها هيرودس الأدومي (توفي سنة ٤ قبل الميلاد) ملكاً. وقام هيرودس هذا بترميم هيكل أورشليم الفلسطينية، الذي أعيد تدميره فيما بعد عندما أخرج الرومان المدينة وشتتوا سكانها وسكان جوارها من اليهود في سنة ٧٠ بعد الميلاد. وبعد ذلك بزمان غير طويل، أعاد الرومان في عهد الامبراطور هادريان بناء المدينة وسموها «آيليا كابيتولينا»، تيمناً في الظاهر بأحد أسمائه (آيليوس)، واستناداً في الواقع، على الأرجح، الى صيغة «سامية» للاسم «آيليا» الذي كان في الأصل يطلق على موقع المدينة قبل أن تصبح معروفة باسم أورشليم، نسبة إلى أورشليم غرب شبه الجزيرة العربية. وربما كان الأصل السامي لكلمة «آيليا» اسماً يعني «الحصن» (بالعبرية عيل، أي «القوة» أو «المنعة»). ومن المؤكد أن قدماء العرب لم يعرفوا المدينة باسم أورشليم، بل باسم «إيليا» (ء يلي ء)، وذلك قبل أن يطلقوا عليها اسم «بيت المقدس»، أو «البيت المقدس»، أو «القدس» فحسب.

وبغض النظر عما كانه الاسم الأصلي لأورشليم الفلسطينية في الحقيقة، فمن المؤكد أنه قد تم الاعتراف بها كأورشليم داود وسليمان الأصلية في أيام الحشمونيين، إن لم يكن في وقت أبكر. وفي ذلك الوقت كان قد تمّ أيضاً اعتبار فلسطين بأنها هي الأرض الأصلية لشعب إسرائيل البائد وللتوراة العبرية. وفي تلك الأيام، كان كل المسرح الجغرافي

للكرويات التاريخية للتوراة قد أصبح يفهم على أنه يضم بشكل رئيسي بلاد الشرق الأدنى الشمالية (العراق والشام ومصر) وليس غرب شبه الجزيرة العربية^(٢٤). وهذا واضح مما يسمى بالـ «سبتواجينت»، أو «السبعونية»، وهي ترجمة يونانية للكتب المقدسة اليهودية تمت في العصر الهليني ومطلع العصر الروماني، حيث ترد الأسماء الطبوغرافية لغرب شبه الجزيرة العربية، مثل كسديم ونهرهم وفرت ومصرهم على أنها على التوالي: «كلدانيون» و«ما بين النهرين» و«الفرات» و«مصر»^(٢٥). وكذلك، فإنه واضح من إحدى وثائق البحر الميت اللقيفة التي تحتوي على معالجة آرامية لنص توراتي (سفر التكوين ١٤)، حيث تعرّف هذه الوثيقة عدداً من أسماء الأماكن التوراتية بأمكنة معروفة في الأجزاء الشمالية من الشرق الأدنى. وهناك عرض نقدي موجز للمحتوى الطبوغرافي لهذه الوثيقة اللقيفة في دليل جغرافيا التوراة لأميل كريلينغ:

Emil G. Kraeling, *Rand McNally Bible Atlas* (New York), 1962, pp. 66-68.

(٢٤) من الممكن أنه كانت هنالك مملكة عربية كانت يهودية في أيام الحشمونيين، هي مملكة جُمَيْر في اليمن، التي ازدهرت بين عام ١١٥ قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي. وآخر اثنين من ملوك حمير عرفا بكونها يهوديين متعصبين، وقد بقيت يهوديتها حتى الآن بلا تفسير مقنع. وكان المؤرخ اليهودي يوسفوس (انظر ما يلي) مدركاً لوجود يهودي قديم في شبه الجزيرة العربية، ولكنه لم يعط أية تفاصيل عنه. وربما كان الحشمونيون قد اختاروا تشجيع إعادة تأويل الجغرافيا التوراتية فلسطينياً بدلاً من تأويلها حسب جغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية بهدف الترويج لشرعية يهوديتهم، مفترضين أنها قد تواجه تحدياً يطلقه في وجهها ملوك حمير اليهود في شبه الجزيرة العربية. وهذه الامكانية تستحق التدقيق فيها بالتأكيد. ونحن نطرحها هنا، بكل الحذر اللازم، كفرضية.

(٢٥) بالنسبة لنهرهم وفرت انظر أعلاه الهامشين ٤ و ١٢. وأما بالنسبة لكسديم فانظر الفصل ١٣. وفي حين أن مصرهم التوراتية تشير أحياناً إلى مصر، فإنها في أحيان أكثر تشير إلى بلدة أو ناحية في غرب شبه الجزيرة العربية، في أرض عسير الداخلية. انظر الفصول ٤ و ١٣ و ١٤.

* سميت «السبعونية» لأنه يقال إنه قد قام بكتابتها ٧٢ علماً يهودياً في ٧٢ يوماً - المترجم.

ولعل النجاح السياسي الذي أحرزه اليهود في فلسطين، والذي استمر لأكثر من مئتي سنة، كان هو السبب الأساسي في إزالة ذكرى غرب شبه الجزيرة العربية باعتباره الموطن الأصلي لإسرائيل. وعندما كتب فلافيوس يوسيفوس «أيام اليهود القديمة» (وهم أهل دينه) بعد السنة ٧٠ ميلادية بوقت قصير، اعتبر أن من المسلم به كون موطنهم التاريخي كان فلسطين دوماً. ولم يتعد أحد منذ ذلك اليوم عن هذا الافتراض، وهو افتراض يبدو في الظاهر جديراً بالتصديق. وعلى مدى قرون، كانت مسارات الحج اليهودي والمسيحي تقتفي آثار تطواف الآباء الأوائل وأبنائهم الإسرائيليين عبر الأراضي الشمالية للشرق الأدنى، بين الفرات والنيل، متعرفة إلى المواقع التوراتية الأساسية بقرية أو أبدة فلسطينية أو أخرى. ثم جاء علم الآثار التوراتي في القرن الأخير فاعتمد على المقدمات نفسها، وتابع الباحثون بحثهم في التاريخ التوراتي (كأمر مميز عن التاريخ اليهودي) في فلسطين حتى يومنا هذا.

واستعراض الدراسات والأبحاث الضخمة التي أنتجها علماء الآثار والباحثون التوراتيون خلال السنوات المئة الأخيرة يُلفت النظر إلى أمر في غاية الغرابة، وهو أمر حريّ بالمتابعة. ففي حين أن تاريخية عدد من الروايات التوراتية بقيت عرضة للنقاش الحاد، فإن جغرافية هذه الروايات استمرت معتبرة من المسلّمات. والحقيقة الساطعة هي أن الأراضي الشمالية للشرق الأدنى قد مسحت وحفرت من قبل أجيال متوالية من علماء الآثار، من أقصاها إلى أقصاها، وأن بقايا العديد من الحضارات المنسية قد نبشت من تحت الأرض ودُرست وأُرِخت، في حين أنه لم يعثر في أي مكان كان على أثر واحد يمكنه أن يصنف جديداً على أنه يتعلّق مباشرة إلى أي حدّ بالتاريخ التوراتي^(٢٦). وأكثر من ذلك، فإن

(٢٦) إن العمل الذي قام ويقوم به علماء الآثار التوراتيين في فلسطين لم يرق للكثيرين من النقاد. وفي العام ١٩٦٥ كتب أحدهم، وهو فريدريك وينت، ملاحظاً أن وأسس =

التوراة العبرية تذكر الآلاف من أسماء الأمكنة، وليس بين الأسماء هذه أكثر من قلة قليلة تماثلت لغوياً مع أسماء أمكنة في فلسطين، مع العلم أن أسماء الأمكنة هناك، مثلها مثل أسماء الأمكنة في كل أنحاء الشام، هي في معظمها أسماء عريقة جداً في القدم، وهي في معظمها كنعانية وآرامية في بنيتها، وليست عربية. وحتى في الحالات القليلة التي تحمل فيها مواقع فلسطينية أسماء توراتية، فإن الاحداثيات المعطاة في النصوص التوراتية للأماكن التي تحمل هذه الأسماء، في إطار الموقع أو المسافة المطلقة أو النسبية، لا تنطبق على المواقع الفلسطينية. وفي حالة بارزة (هي حالة بشر السبع الفلسطينية، انظر الفصل ٤)، فإن بلدة يظهر اسمها ببروز في الروايات الأبائية لسفر التكوين، وبالتالي يفترض أن تعود أصولها إلى أواخر العصر البرونزي على الأقل، لم يعثر فيها إلا على مواد أثرية تعود بتاريخها إلى المرحلة الرومانية على أبعد حد. وقد اضطر علماء الآثار في السنين الأخيرة إلى التنقيب على بعد خمسة كيلومترات تقريباً عن بشر السبع للعثور على مواد أثرية يعود عهدها إلى زمن التوراة، دون أن يعثروا على أي برهان قاطع بأن لهذه المواد أقل علاقة بالتوراة أو بتاريخ بني اسرائيل.

ومع أنه قد جرى التحقيق في كامل ميدان التاريخ القديم للشرق الأدنى بعمق، وبالعلاقة مع دراسة التوراة العبرية، فإن هذا التاريخ، في الموقع الذي هو فيه حالياً، ما زال مليئاً بالغاز عدم اليقين، مثله مثل «علم التوراة» الحديث. وسجلات مصر والعراق القديمة، التي قرئت على ضوء النصوص التوراتية، والتي أخذت تلميحاتها الطبوغرافية تقليدياً على أنها تتعلق بفلسطين والشام ومصر والعراق، أُجبرت على

= بعض المباني التي أقامها باحثو التوراة في السنوات الأخيرة... هي في وضع سيء وبحاجة إلى إصلاحات كثيرة». انظر:

Journal of Biblical Literature, 84, 1965, pp. 1 - 19.

ووجهة نظر البروفسور وينت يتبناها باحثون توراتيون بارزون آخرون، مثل ماكسويل ميلر وهـ. ج. فرانكن.

إعطاء مؤشرات جغرافية أو تاريخية تتوافق مع الأحكام المسبقة لدى الباحثين التوراتيين. والأمر نفسه ينطبق على تفسير السجلات القديمة (مثل وثائق «ايلا» في شمال سورية) التي يتابع علماء الآثار العثور عليها في أراضي الشرق الأدنى. وشعوب الشرق الأدنى القديم، مثل الفلسطينيين والكنعانيين والآراميين والأموريين والهوريين، ناهيك عن «الحثيين» التوراتيين (وهم غير الشعب التاريخي لشمال الشام الذي يحمل الاسم نفسه)، حُصِّت جغرافياً بمناطق ليس هنالك أي دليل على أنها كانت تنتمي إليها. وبعض هذه الشعوب - ومعظمها غير معروف بالاسم إلا من النصوص التوراتية - يفترض أنها كانت تتكلم لغات ربما لم تكن قد تكلمتها أبداً، أو أنها لم تتكلم لغات قد تكلمتها فعلاً. وعلى سبيل المثال، فإن الباحثين المحدثين يقولون بأن الفلسطينيين التوراتيين كانوا شعباً بحرياً غامضاً «غير سامي»، مما يتركهم في ضياع حول كيفية تفسير الأسماء السامية (العبرية في الواقع) التي تمنحها النصوص التوراتية ليس لزعمائهم فقط بل أيضاً لإلههم «داجون» (بالعبرية دجن، أي «حنطة»).

هناك أمران مؤكدان: لقد تم البحث بدقة ودأب، ولأكثر من قرن، عن آثار لأصول للعبريين في بلاد العراق، وعن هجرتهم المفترضة من هناك إلى فلسطين عبر شمال الشام، دون العثور على شيء إطلاقاً وكذلك، فإنه لم يكتشف حتى الآن أي أثر حقيقي غير قابل للنقاش حول الأسر الإسرائيلي في مصر، أو حول الخروج الاسرائيلي من هناك في أي من العصور القديمة^(٢٧)، وهذا من دون الإشارة إلى حقيقة أن الباحثين

(٢٧) «جاسان» (جشن) و«فيتوم» (فتم) و«رعسيس» (رعسس) الوارد ذكرهم في سفر التكوين وفي سفر الخروج بالعلاقة مع إقامة الاسرائيليين في أرض مصر لم يحدد لهم، بشكل مرضٍ، أي مكان في مصر. انظر هذه المواد في:

J. Simons, *The Geographical and Topographical Texts of The Old Testament* (Leiden, 1959)

حيث هنالك محاولة لأمثال هذه التحديدات. وهناك احتمالان لـ «جاسان» (غشان) =

التوراتيين ما زالوا يتجادلون في طريقة هجرة الخروج الاسرائيلي من مصر الى فلسطين عبر سيناء، والتي لم تحدد بعد بشكل مرضٍ (وكمثال على ذلك، انظر الملاحظات حول جبل حوريب في الفصل الثاني).

في الدراسة الراهنة، ستقلب الأمور رأساً على عقب. وبدلاً من أخذ جغرافيا التوراة العبرية كمسلمة ومناقشة صحتها كتاريخ، سآخذ تاريخيتها كمسلمة وأناقش جغرافيتها. وبين شعوب الشرق الأدنى القديم، يبدو أن بني إسرائيل كانوا وحدهم المالكين لإحساس مرهف بالتاريخ، أو هم، على الأقل، الوحيدون الذين فهموا أنفسهم تاريخياً وعبروا عن ذلك بطريقة واضحة منسجمة مكتملة. وتقدم كتبهم المقدسة رسماً ذاتياً حياً ومفصلاً، وهو رسم فريد من نوعه بالنسبة إلى عصره. وصحيح أن روايات سفر التكوين هي روايات أسطورية لما قبل التاريخ وليس روايات تاريخية، باعتبار أنها ليست سجلاً لما كان الاسرائيليون في الأصل بقدر ما هي سجل لما اعتقدوا أنهم كانوا. وعلى ذلك، فليس هناك أي تبرير للشك بأن أسلاف الإسرائيليين من العبرانيين كانوا ذات يوم قوماً قبلياً وقع في الأسر وأجبر على العمل في السخرة في مكان يسمى مصر، لم يكن بالضرورة مصر، وأنهم خرجوا من هناك في هجرة جماعية برعاية قائد يسمى موسى نظمهم في مجتمع ديني وأعطاهم شريعتهم، وأنهم عبروا نقطة معينة تسمى هـ - يردن (ليست بالضرورة نهر الأردن) برعاية قائد آخر يدعى يشوع ليستقروا في أرض كانت لهم عليها أخيراً السيطرة السياسية، وأنهم عاشوا هناك لزمان في

= غثن وقشائين، قشثن. وهي جمع قشثن)، واحتمال لـ «فيتوم» (آل، فطيمة، آل فطم)، واحتمال لـ «رعميس» (مصاصر، مصص) ما زال يمكن العثور عليها في أراضي عسير الداخلية حيث يكثر وجود اسم «مصر» (على شكل «مصر» أو «المصرمة» أو «آل مصري»، إلخ). والبيداية رع في رعمسس ربما كانت اسم كبير آلهة مصر. والصيغة المصوّنة راع أو راعي تظهر كبداية لعدد من أسماء الأمكنة في غرب شبه الجزيرة العربية، في المناطق التي استعمرها المصريون القدماء لفترات طويلة على ما يبدو.

ظل اتحاد قبلي فضفاض تحت قيادة زعماء يسمون «القضاة» مشتبهين في حروب دائمة مع قبائل وشعوب أخرى عاشوا بين ظهرائها، وأنهم أخيراً وصلوا إلى تنظيم أنفسهم سياسياً كمملكة تحت راية شاول، وأن هذه المملكة توسعت ومُنحت تنظيمًا بدائياً على يد داود، الذي كان مقاتلاً فذاً وشاعراً موهوباً في آن، فوصلت أوجها في أيام سليمان، ابن داود، الذي كان في تآلقه في الثراء والقوة والحكمة نموذجاً للمستبد المستنير. وليس هناك في الواقع من يبدي أي شك في أن التاريخ الإسرائيلي تابع مساره، بعد موت سليمان، كما ذكرت التوراة العبرية أنه فعل. ولكن افتراض أن كل هذا التاريخ حصل في فلسطين، ودراسة النصوص التوراتية على هذا الأساس، سيؤدي إلى الإبقاء على بحر من الأسئلة بلا جواب، إلى جانب أسئلة أخرى لا حدَّ لها ينطلق بعضها من بعض نتيجة للالتباس الناجم عن الأولى. وإذا نقلت جغرافيا التوراة من فلسطين إلى غرب شبه الجزيرة العربية لا تبقى هنالك أية صعوبة. والعودة إلى قراءة السجلات المصرية والشامية وسجلات العراق القديمة على ضوء هذا التوافق الجغرافي الجديد للتاريخ التوراتي تجعل كل شيء يعود إلى نصابه، وتصبح الصورة التاريخية العامة للتوراة العبرية، التي هي الوحيدة التي تروي القصة الكاملة لأحد شعوب الشرق الأدنى القديم^(٢٨)، مفتاح للغز لكل الأحاجي الغامضة لتاريخ الشرق الأدنى القديم، بدلاً من أن تكون هي نفسها الأحجية، وهي بعيدة كل البعد عن كونها ذلك.

(٢٨) خلافاً للتوراة العبرية، التي تروي القصة الكاملة لقدامى الاسرائيليين منذ بداياتها الأسطورية وحتى القرن الخامس قبل الميلاد، فإن السجلات التاريخية الأخرى التي وصلت إلينا من مختلف أنحاء الشرق الأدنى القديم تروي فقط قطعاً وأجزاء من التاريخ (مثل أسماء الملوك، وروايات عن حملات عسكرية معينة، ومعاهدات سلام، وما شابه ذلك). وهي لا تروي في أية حالة القصة الكاملة لشعب معين أو دولة معينة أو إمبراطورية معينة.

إن موضوع هذا الفصل - المدخل بأسره يعتمد على الافتراض بأن الموطن التاريخي للشعب الاسرائيلي المنقرض، ومكان ولادة اليهودية كدين، كان غرب شبه الجزيرة العربية، وليس فلسطين. وفي هذا الكتاب هناك تحليل اسمي لنماذج من النص التوراتي لإثبات صحة هذا الافتراض، وهي حقيقة يؤمل بأن تجد لها، ذات يوم، تجسداً أبعد من خلال الاكتشافات الأثرية في المواقع المشار إليها. ومثالاً، يجب القيام بتحليل نص التوراة العبرية بكامله، ولكن هذا يتطلب عملاً قد يستغرق أكثر من حياة بكاملها. وخشية أن يؤدي ما يريد هذا الكتاب قوله إلى أي التباس، قد يكون من المفيد تكرار الإشارة ثانية إلى الحقيقة التالية: إن كون التوراة العبرية تروي تاريخ بني اسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية لا يعني بالضرورة أنه لم يكن لليهودية من وجود في فلسطين في الأزمنة التوراتية. جل ما في الأمر هو أن التوراة العبرية التي كتبت في غرب شبه الجزيرة العربية لم تهتم أساساً إلا بشؤون اليهود من بني اسرائيل في تلك المنطقة، ولم تأت على ذكر اليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر وجدوا فيه.

وكما أشير سابقاً، فلعلّ هناك تلميحات توراتية خفية تتعلق بنمو مجتمع يهودي قوي في فلسطين، ربما كانت بدايته في القرن العاشر قبل الميلاد، وذلك من خلال الاشارات التوراتية الى «بنت اورشليم» و«بنت صهيون». وهناك أيضاً دلائل وثائقية من خارج التوراة تشير إلى وجود لليهود في أراضٍ أخرى من الشرق الأدنى - ومنها صعيد مصر (٢٩) - منذ

(٢٩) انظر ترجمات أوراق البردي الآرامية العائدة إلى القرن الخامس قبل الميلاد، والمتعلقة بالمجتمع اليهودي في «الفيلية» Elephantine (التي تبدو مستوطنة عسكرية من المرحلة الأخمينية في صعيد مصر)، في مؤلف برينشارد، الصفحات ٤٩١ - ٤٩٢ و ٥٤٨ - ٥٤٩. وبعض أوراق البردي هذه يلمح الى وجود يهودي قديم هناك ناطق باللغة الآرامية. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن هذه الأوراق تتحدث عن يهود وليس عن إسرائيليين. وفي ذلك ما يؤكد الفرق بين اليهود كمجموعة دينية، وبني اسرائيل كشعب يهودي قديم زال من الوجود مع نهاية عهد التوراة.

وقت مبكر. وفي حين أن أسفار التوراة العبرية تتحدث ببعض التفصيل عن اليهود خارج غرب شبه الجزيرة العربية، فإنها لا تفعل ذلك إلا فيما يتعلق بالأسر البابلي لبني إسرائيل. وتبقى إعادة رسم صورة التاريخ اليهودي المبكر في فلسطين غير ممكنة من خلال هذه النصوص، ولا حتى من خلال أية سجلات أخرى متوفرة حتى الآن.

٢- سِيَالُ نَبْج

كل معرفة صحيحة تتضمن قدراً من نبذ المتداول. ومثل هذا النبذ هو الجوهر في مجال الدراسات التوراتية. والموضوع هنا هو التوراة العبرية، وهي مجموعة من نصوص تاريخية وأدبية ودينية بالغة القدم كتبت أصلاً بأحرف أبجدية خالية من الحركات والضوابط. ولأن لغة هذه النصوص خرجت عن إطار الاستعمال العام منذ زمن يعود إلى ما بعد القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد، فإنه لا يمكن لأحد أن يعرف كيف كانت هذه اللغة تلفظ وتصور في الأصل لدى الشعب أو الشعوب القديمة التي تكلمتها، وهذا بغض النظر عن مسائل أخرى كثيرة تتعلق بالتهجئة والصرف والنحو والاصطلاح. ومفردات هذه اللغة، إلى حد ما يعرف منها، محددة بالكلمات الواردة في النصوص التوراتية^(١)، وفي بعض الحالات بندرة من الاستعمال تجعل معناها أمراً قابلاً للمناقشة^(٢). ولقراءة التوراة العبرية وفهمها يتوجب على الباحث إما أن

(١) إن الأدب اليهودي باللغة العبرية المتأخرة ذات المفردات غير التوراتية يشمل، من ناحية، معالجات للمفردات التوراتية، ومن ناحية أخرى، استعارات من اللغة الآرامية ومن لغات أخرى. وعلى كل حال، فإن اللغة العبرية المتأخرة كانت دوماً لغة تعليمية، وليست لغة كلام متداول، حتى قامت الحركة الصهيونية في العصر الحديث وبعثت اعتماد العبرية كلغة محكية بشكل مصطنع لجمع شمل يهود العالم.

(٢) وعلى سبيل المثال، فإن كلمة شلج التي تظهر ما لا يقل عن ثماني عشرة مرة في النصوص التوراتية المختلفة، تؤخذ عادة على أنها تعني «ثلج»، إلا في أيوب ٣٠: ٩ حيث اعتبرها «

يتبع تقليد العبرية المتأخرة، أو أن يسعى إلى الإرشاد عبر اللغات السامية التي ما زالت حية مثل العربية والسريانية، وهذه الأخيرة عبارة عن صيغة ما زالت قيد الوجود من الآرامية القديمة. وعلى العموم، فإن من الأضمن للباحث في التوراة أن يعتبر لغتها العبرية لغة مجهولة عملياً يجب تفكيك رموزها من جديد بدلاً من معاملتها كلغة مكشوفة الأسرار فيما عدا بعض الغوامض.

وبفضل الأمانة العلمية الدقيقة التي تحلّى بها المؤرّبين، وهم العلماء اليهود التقليديون القدماء الذين ضبطوا النصوص التوراتية بالإشارات الصوتية، فإن النص المكتوب بالأحرف الساكنة للتوراة العبرية وصل إلينا من القدم دون أن يمس تقريباً. ونادراً ما أبدى الباحثون المحدثون تقديرهم لهذه الحقيقة. وحيث أخفق هؤلاء الباحثون المحدثون في تحليل بعض المقاطع التوراتية كما هي واردة في الأصل، نظراً لأحكامهم المسبقة المتعلقة بالنص، كثيراً ما افترضوا في النص فساداً غير موجود في الواقع، مثلهم مثل العامل الفاشل الذي يلقي باللوم على الأدوات. ومن الأكيد أن بعض كتب التوراة العبرية هي عبارة عن جمع معاد التحرير لنصوص أكثر قدماً. ومع ذلك، فلا بد أن الأسفار التوراتية عموماً، كما هي موجودة بين أيدينا، قد أخذ معظمها شكله الحالي قبل النهاية التاريخية لبني إسرائيل، أي في حدود القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد على الأقل. والدليل على ذلك هو أن التوراة العبرية كانت قد ترجمت فعلاً بكامل أسفارها إلى اللغة الآرامية (الترجمات)

= البعض تشير الى مادة للتنظيف أو التبييض، ربما كانت الأسنان أو «شرش الخلاوة». وهذا المعنى الأخير ربما كان مستوداً الى شلج في فقرات توراتية أخرى، مثل تلك الفقرة الشهيرة في المزامير ٧: ٥١. وهنا، قد تكون الفقرة «طهرني بالزؤفا فاطهر، أغسلني فأبيض أكثر من الثلج (تكسني و- م - شلج ملين)» أكثر صحة بالصيغة التالية: «طهرني بالزؤفا فاصبح نظيفاً، تغسلني بالأسنان فاصبح أبيض». ومن الواضح ان ما تشير اليه هذه الجملة هو مادتان من مواد التنظيف، وهما الزؤفا المطهرة وجذور الأسنان المنظفة. وحول اشنان شبه الجزيرة العربية انظر ما يلي في هذا الفصل.

خلال المرحلة الأخمينية، وإلى اليونانية (السبتواجينت، أو «السبعونية») وقد بُدئ بها في المرحلة الهيلينية^(٣). إن إضافة الأحرف الصوتية إلى العبرية التوراتية، باستعمال إشارات صوتية خاصة، هو ما فعله المسوريون الفلسطينيون والبابليون بين القرنين السادس والتاسع أو العاشر من العصر المسيحي، وكانت اللغة العبرية في حينه قد غابت عن الاستعمال العام منذ ألف سنة أو أكثر. وقد فعل المسوريون، سواء كانوا من الناطقين بالأرامية أم بالعربية، أفضل ما في نطاق معرفتهم. ونتيجة لإجلالهم للتوراة ككتاب مقدس، كانت عنايتهم فائقة في منع العبث بها، فحافظوا على النص المكتوب بالأحرف الساكنة كما ورد، حتى حيث كانت فقرة ما لا تستقيم لهم كلياً في معناها. وقد لوحظت أخطاء التهجئة أو الصرف والنحو حيث وجدت أو بدا أنها وجدت، ولكن لم تكن هنالك في الظاهر أية محاولة أو اجتهد لإدخال التصحيح على النص الأصلي. ولو كان الباحثون المحدثون في التوراة يمثل عناية المسوريين واحتراسهم لما كان علم التوراة الحديث على ما هو عليه من تشويش اليوم، ولما تطلبت عملية المعرفة الصحيحة في هذا الحقل كل هذا القدر من نبذ المتداول.

وما من دين إلّا ويعتني الاتقياء والمؤمنون من أتباعه أشد العناية بحفظ نصوصه المقدسة في صيغتها الأصلية، ولذلك تستمر هذه النصوص في الوجود دون أي تغيير فيها عبر الأجيال. والشئ نفسه يمكن قوله عن أسماء الأمكنة عموماً، إذ أن هذه الأسماء تنتقل بدورها من جيل إلى جيل بالتوارث التقليدي، ولا تشهد تغييراً، على الأقل في بنيتها

(٣) وثائق البحر الميت اللقيمة التي جذبت الكثير من الاهتمام في العقود الأخيرة، ومعظمها مكتوب بالأرامية وليس بالعبرية، هي أحدث بكثير من هذه الترجمات. وقد تكون لهذه الوثائق فائدتها في دراسة اليهودية الفلسطينية في أيام الرومان، ولكنها لا تقدم في الواقع المفتاح الذي يحل ألغاز وغوامض التوراة العبرية. وليس لهذه الوثائق أية قيمة بالعلاقة مع غرض هذه الدراسة.

الأساسية، مهما مر عليها من زمن. وحتى عندما يتم تغيير هذه الأسماء في بعض الأحيان عن قصد، فإن الأسماء القديمة تبقى، في معظم الحالات، في الذاكرة الشعبية، وغالباً ما تكون هي الثابتة في النهاية. فمدينة بعلبك، مثلاً، بقي اسمها الأصلي «بعلبك» بعد أن أطلق عليها الإغريق والرومان اسم «هيليبوليس» مدة طويلة، وبيروت بقي اسمها بيروت بعد أن أسماها الإغريق «اللاذقية» والرومان «يوليا أوغوستا فيليكس». والأمثلة على ذلك كثيرة.

ودراسة أسماء الأماكن تخدم بطريقتها الخاصة الغرض نفسه الذي يخدمه علم الآثار الميداني، مع فارق واحد هام، هو أن الاكتشافات الأثرية هي اكتشافات خرساء، ما لم تتضمن كتابات منقوشة، في حين أن أسماء الأماكن ناطقة، لا تجربنا بما هي فحسب، بل تجربنا أيضاً بكيفية نطقها الفعلي، وبمعناها، وباللغة أو نوع اللغة التي انبثقت عنها. وفي غياب الكتابات المنقوشة تبقى الاكتشافات الأثرية صعبة التفسير، وإلى درجة تجعل الجدل بين علماء الآثار حول المغزى التاريخي لاكتشافات معينة كثيراً ما يتدنّى إلى مستوى الضغائن الشخصية. وفي حين أن أسماء الأماكن لا تقدم معلومات بحجم ما تقدمه الاكتشافات الأثرية، فإن للمعلومات التي تقدمها هذه الأسماء، على الأقل، فضيلة اليقين المطلق أو النسبي. وعلى سبيل المثال، إذا وجد الباحث مجموعة من أسماء الأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية تتحدر بوضوح من لغة مطابقة بأحرفها الساكنة للعبرية التوراتية أو للآرامية التوراتية، أمكنه أن يستنتج بلا تردد أن لغات مطابقة أو مماثلة للعبرية أو الآرامية التوراتية كانت تستخدم في القدم للكلام في غرب شبه الجزيرة العربية، وذلك قبل ألفي سنة، أي قبل أن أصبحت اللغة العربية هي لغة الكلام السائدة هناك. وإذا أمكن البرهان، أكثر من ذلك، بأن لعدد كبير من أسماء الأماكن التوراتية، مهما كانت أصولها اللغوية، مثائلها الحية في غرب شبه الجزيرة العربية، في حين أن للقليل منها مثائل في فلسطين، فإن من المعقول طرح

السؤال التالي: هل التوراة العبرية سجل لأحداث تاريخية جرت في غرب شبه الجزيرة العربية وليس في فلسطين؟

في هذا الكتاب، هناك مقارنة للأسماء السامية القديمة للأماكن التي توردها التوراة بالتهجئة العبرية، مع أسماء أماكن ما زالت موجودة في عسير وفي جنوب الحجاز، وهي أسماء توردها المعاجم الجغرافية الحديثة للعربية السعودية بالتهجئة العربية. وهناك فترة تقرب من ٣٠٠٠ سنة تفصل الصيغ التوراتية لهذه الأسماء عن مثائلها الراهنة. وفي إطار التغيرات اللغوية التاريخية تبدو هذه الفترة الزمنية طويلة جداً، ولا بد أنها استوعبت أكثر من تغير لغوي واحد جرى في بلاد الشرق الأدنى، ناهيك عن التحولات الطارئة على اللهجات المحكية في كل مرحلة. لهذا، فلا عجب أن الأسماء التوراتية شهدت بعض التحريف خلال ذلك، بل إن المدهش فعلاً هو أن هذه الأسماء بقيت، في أكثرها، قابلة للتمييز الفوري في زبها العربي الراهن.

ومن الطبيعي أن تكون أسماء الأماكن التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية قد شهدت بعض التغير في إطار علم الأصوات الكلامية وعلم التشكل الكلامي بعد مرور حوالى ثلاثة آلاف سنة. وفي مطلع هذا الكتاب، هناك «ملاحظات لغوية» يلفت إليها نظر القارئ، وهي تشير إلى كيف يمكن لأحرف ساكنة في العبرية أن تصبح مختلفة في العربية، والعكس بالعكس. والملاحظة نفسها توجه الانتباه إلى تردد حالات الاستبدال (أي تبدل أماكن الأحرف الساكنة داخل كلمات معينة) بين اللغتين الساميتين وحتى بين اللهجات المختلفة من اللغة الواحدة (مثل كلمة «زوج» التي كثيراً ما تلفظ بالعامية «جوز»). وبالإضافة إلى التغيرات الناجمة عن التحولات في اللغة واللهجة، يجب على الباحث أن يأخذ في اعتباره التحريف الناجم عن التقديم الكتابي لأسماء الأماكن موضوع البحث، في العبرية التوراتية كما في العربية الحديثة. وما من لغة

مكتوبة تمتلك الوسائل (الأبجدية أو غيرها) التي تمكنها أن تفعل أكثر من التقرب من لفظ الكلام الفعلي. وهذا ما يجعل علماء اللغات يلجأون إلى استخدام هذا القدر الكبير من الإشارات غير الأبجدية في أعمالهم، مع معرفتهم التامة بأن حتى هذه الإشارات المعقدة تبقى أقل من أن تمثل الأصوات الحقيقية.

ولا يمكن معرفة الكيفية التي كانت تلفظ بها أسماء الأماكن المأخوذة في الاعتبار في الأزمنة التوراتية. والتحديد الدقيق لكيفية لفظها الآن يتطلب بحثاً ميدانياً مكثفاً. هناك قرية في عسير، مثلاً، تذكرها المعاجم الحديثة على أنها «المصرمة»، والبحث الميداني يثبت أن اسمها بالفعل «المصرامة». والأمثلة على ذلك كثيرة. وإذا أراد الباحث أن يقارن بين الصيغتين المكتوبتين لهذه الأسماء، بالعبرية التوراتية وبالعربية الحديثة،

فعلية أن يأخذ في الاعتبار طبيعة الأبجدية السامية. هذه الأبجدية كانت تقتصر في الأصل على ٢٢ حرفاً ساكناً (بما فيها الوقفة الخنجرية، أي الهمزة، التي تعتبر في اللغات السامية حرفاً ساكناً، والحرفان شبه الصوتيين، الواو والياء)، لكن النطق بهذه اللغات كان يعتمد حروفاً أكثر من هذه الحروف منذ البداية. وفي العبرية المتأخرة أضيف حرف ساكن جديد إلى الأبجدية الأصلية بتنقيط الحرف المسمى سين، فصار يمكن تصويته كسين أو كشين. وهكذا أصبح الحرف (ש) يقوم مقام السين والحرف (ז) يقوم مقام الشين. والعربية، التي استعارت كتابتها من شقيقاتها الساميات، استخدمت هي أيضاً أبجدية هذه الشقيقات ذات الأحرف الـ ٢٢ الأصلية في البداية. ومع مرور الزمن، أدخلت عليها لا أقل من ستة أحرف جديدة، أيضاً بإضافة النقاط إلى ستة أحرف كانت موجودة في الأصل. وبهذا فإن حرف ت الذي لم يكن منقوطة في الأصل تلقى نقطتين، وتلقى أيضاً نقطة ثالثة إضافية ليصبح ث، والحرف ح تلقى نقطة ليصبح خ، والحرف د تلقى نقطة ليصبح ذ، والحرف ص تلقى نقطة ليصبح ض، والحرف ط تلقى نقطة ليصبح ظ، والحرف ع

تلقى نقطة ليصبح غ (انظر ما ورد بهذا الشأن في «الملاحظات اللغوية» في بداية الكتاب). وفي جميع هذه الحالات الست، مثلت الأحرف الجديدة المدخلة أحرفاً ساكنة متعلقة صوتياً بتلك الممثلة في الأحرف القديمة المتلقية للنقاط المضافة.

كانت هناك بالعربية في البداية، إذن، ستة أحرف ساكنة ينطق بها ولا تكتب بأحرف أبجدية مستقلة. هذه الأحرف الساكنة كان يرمز إليها في الكتابة بأحرف أبجدية تخصّ أحرف ساكنة أخرى متعلقة بها صوتياً. ولا بدّ أن الناطقين بالعربية كانوا يعون العلاقة بين أحرف النطق وأحرف الكتابة هذه عن طريق الحدس. ولا شك أن الأمر نفسه كان ينطبق على العبرية في زمانها حيث عرفت لغة النطق، بلهجاتها المختلفة، عدّة أحرف ساكنة لم تكتب بأحرف مستقلة. وعلى سبيل المثال، فإنه ليس هنالك من سبب للافتراض بأن متكلمي العبرية القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية أو في أي مكان آخر لم يلفظوا حرف الحاء وكذلك الحرف الآخر المرتبط به صوتياً، وهو الحاء، بينما كانوا يمثلون الحرفين الساكنين كليهما بحرف الحاء في الكتابة. وفي التصويت المتأخر للعبرية التوراتية (الذي يعكس تأثير الآرامية) يلفظ حرف الباء على أنه ب وعلى أنه ف، وحرف الجيم على أنه ج وعلى أنه غ، وحرف الكاف على أنه ك وعلى أنه خ، وحرف الفاء على أنه پ وعلى أنه ف، وحرف التاء على أنه ت وعلى أنه ث. ولا يستبعد إطلاقاً أن يكون المتكلمون بالعبرية في القدم قد تلفظوا (على الأقل في بعض اللهجات) بأحرف ساكنة لم يكتبوها، مثل الذال والضاد والظاء. وهناك مسألة تتعلق بالعبرية ما زالت بلا حلّ، حيث هناك حرفان في الأبجدية العبرية مقابلان للسين بالعربية، أحدهما الحرف المدعو سين، والثاني الحرف المدعو سامك. ولا نعرف اليوم كيف كان الناطقون بالعبرية يفرّقون في اللفظ بين الحرفين. ولعل الحرف سامك كان يتمثّل بلفظ وسط بين السين والضاد والزين.

وبناءً على كل هذا، فلا بد أن اللفظ العبري القديم لأسماء الأماكن التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية كان أقرب من اللفظ العربي الحالي. هذه الأسماء مما هو مفترض. والدراسة الميدانية للطريقة التي تلفظ بها هذه الأسماء اليوم قد تساعد كثيراً على فهم طبيعة الفونولوجية العبرية القديمة التي لم يكشف سرّها بعد. وعلى كل حال، فالواقع هو أن الأبجدية العربية بأحرفها الساكنة الستة الإضافية، تفوق الأبجدية العبرية في قدرتها على إظهار البنية الفونولوجية الأصلية للأسماء التوراتية التي نحن بصددّها.

إن التوافق القابل للإثبات بين أسماء الأماكن التوراتية ومثيلاتها في غرب شبه الجزيرة العربية لن يكفي وحده للبرهان الكامل على أن غرب شبه الجزيرة العربية كان الأرض الحقيقية للتوراة العبرية. وعلى الباحث أن يتأكد أول الأمر من أن التوافق نفسه بين هذه الأسماء لا يوجد في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية أو أجزاء أخرى من الشرق الأدنى. وعليه أيضاً أن يتأكد إذا كانت إحدائيات الأماكن التي تحمل أسماء توراتية في غرب شبه الجزيرة العربية تتوافق مع الإحدائيات المعطاة لهذه الأماكن في نصوص التوراة. وعلى سبيل المثال، إذا وجد الباحث مكاناً في غرب شبه الجزيرة العربية يبدو اسمه على توافق مع الأسم التوراتي «بثر لَحْي رُئي» (بثر لحي رء ي)، فالمكان هذا لا يمكن أن يكون هو «بثر لَحْي رُئي» المذكور في قصة هاجر في سفر التكوين إلا إذا كان يقع بين مكانين آخرين اسمهما «قادش» (قدش) و«بارد» (برد)، وعلى طريق تؤدي إلى مكان ثالث اسمه «شور» (شور) (انظر سفر التكوين ١٦: ١٤-٧).^(٤) وبعد ذلك يأتي دور علم الآثار، فيسعى إلى اكتشاف ما إذا

(٤) إن الاسم التوراتي بثر لحي رء ي يعني «بثر مسيل رء ي»، ولا يعني «بثر لحي الذي يراني (ل - حي رء ي)»، كما يفسر معنى الاسم بصورة شائعة. وحتى إذا قرئت لحي في الاسم ل - حي، فإن المعنى فيها يصبح «إلى لحي» وليس «الحي». ولحي، في صيغتها العربية المصوتة لحي تعني «مسيل» أو «وادي». واسم المسيل الذي يجري الحديث عنه هو =

كان الموقع الموجود في غرب شبه الجزيرة العربية والذي يحمل الاسم التوراتي قد كان بالفعل مسكوناً في الفترة التوراتية المحددة، وبأي نوع من المادة الحضارية كان يرتبط. وهذا العمل الراهن هو عمل لغوي بحث يبحث في أسماء الأماكن. وقبل أن يمكن النظر إلى الفرضية التي يطرحها هذا الكتاب كفرضية نهائية، سيكون على علماء الآثار أن يؤكدوا الاكتشافات التي بنيت عليها هذه الفرضية بطرقهم الخاصة.

وبالإضافة إلى علم الآثار، هناك طرق أخرى للتأكد مما إذا كان يمكن للتاريخ التوراتي أن يكون قد وجد مساره في غرب شبه الجزيرة العربية، لا في فلسطين. وفي هذا المجال يجب أن تؤخذ في الاعتبار كل المسائل المتعلقة بالطوبوغرافيا والجيولوجيا والمعادن والمياه والحيوان والنبات. وعلى سبيل المثال، إذا وجد الباحث نهراً أو جدولاً أو مجرى مياه في غرب شبه الجزيرة العربية يسمى «فيشون» فإن هذا النهر لا يحتمل أن يكون هو نفسه «فيشون» التوراتي إلا إذا كان يمرّ في منطقة يمكن العثور فيها على الذهب، أو كان يمكن العثور على الذهب فيها في الماضي (انظر سفر التكوين ٢: ١١-١٢). والبرهان القاطع على أن «سدوم» و«عمورة» التوراتيتين لم تكونا بلديتين قديميتين على شاطئ البحر الميت في فلسطين هو عدم وجود أي أثر لبراكين قديمة هناك، علماً بأن النار التي أحرقت «سدوم» و«عمورة»، على ما تقوله التوراة، كانت ولا بدّ ناراً

= رءي، وقد بصّوت ليقراً بالعربية روي، أي «المروي»، وليس «الرئي» أو «الذي يراني»، وهو المعنى الذي توحى به الصيغة العبرية للاسم للوهلة الأولى. وروي هذه لا يمكنها أن تكون غير الواحة التي ما زالت تسمى حتى اليوم «الروية» في وادي يشة، في داخل بلاد عسير. والواحة هذه تقع فعلاً على طريق يؤدي إلى «شورة» هي اليوم قرية آل أبو ثور (قارن بالعبرية شور). وهي تقع أيضاً بين أي من مكاتين يسميان اليوم كُدَس (قارن بالعبرية قدش)، في المنحدرات الغربية لعسير، وواحة أخرى في وادي يشة تسمى الباردة (وبلا تصويت يرد). وحول المحاولات الواهمة لتحديد موقع «بشرلحي روي» في جنوب فلسطين، انظر سيمونز، الفقرتين ٣٦٧ و٣٦٨، وكريلينغ، ص ٦٩-٧٠.

بركانية (انظر سفر التكوين ١٩ : ٢٤ ، ٢٨). وإذا وجد الباحث «سدوم» أو «عمورة» بالاسم في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن عليه أن يتأكد من وجود بركان أو آثار بركانية بالقرب من المكان. وكذلك، إذا كان قصر الملك سليمان قد شيد بـ «حجارة كريمة»، وكانت هذه الحجارة «كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمشمار من داخل ومن خارج»، وكانت «حجارة عظيمة، حجارة عشرة أذرع وحجارة ثمانية أذرع» (الملوك الأول ٧ : ٩-١٠)، فإن من الصعب أن تكون مادة البناء المشار إليها هي أحجار فلسطين الكلسية العادية، بل ربما كانت من الحجر المانع، أي «الغرانيت»، الموجود في غرب شبه الجزيرة العربية حيث ما زال يقتلع هناك. ولا بد أن المادة نفسها استخدمت في تشييد البناء المحيط بجدران معبد سليمان، إذ إن هذا البناء كان «بحجارة صحيحة مقتلعة»، حيث «لم يسمع في البيت عند بنائه بنحت ولا معول ولا أداة من حديد» (الملوك الأول ٦ : ٧)^(٥). وبالرغم من أن «ثلج»، أو شلج، التوراة كان في بعض الحالات إشارة إلى عشب هو الأشنان (وهو ليس *Saponaria officinalis*، بل ربما كان *Gypsophila arabica*، أي «الجصّة العربية»، وهي نبتة صغيرة الزهر من الفصيلة القرنفلية - انظر الهامش ٢)^(٦)، فإنه كان يشير في حالات أخرى ولا شك إلى الثلج، وبالتالي فإن على الباحث أن يتأكد من أن الثلج يهطل ويتراكم إلى حد ما على الأقل على جبال غرب شبه الجزيرة العربية (وهو الواقع)^(٧) قبل أن يجازف بالقول بأن أرض التوراة كانت هناك. وربما كان الزيت التوراتي زيت السمسم

(٥) لفت انتباهي إلى هذا الأمر الدكتور أحمد جلبي، المختص بالرياضيات، وله اهتمام هادٍ بالجيولوجيا ودراسة التوراة.

(٦) أنظر:

Ahmad Khattab et al., «Results of a botanic expedition to Arabia in 1944» (Publications of the Cairo University Herbarium, no. 4, 1971), p. 27.

(٧) نادراً ما يهطل الثلج على جبال اليمن، في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، حيث الصيف هو الفصل الممطر (فصل الرياح الموسمية الجنوبية الغربية). أما في عسير فتلتقط =

وليس زيت الزيتون، باعتبار أن السمسّم هو من المحاصيل الرئيسية لعسير. لكن الزيتون البري ما زال ينمو في غرب شبه الجزيرة العربية، وفي ذلك ما يشير إلى أن الزيتون ربّما كان يزرع هناك في العصور القديمة، إلى جانب التين واللوز والرمّان والكرمة، المشار إليها في التوراة العبرية، والتي ما زالت تزرع في المنطقة. والواقع أن الزيتون ما زال يزرع تقليدياً حتى يومنا هذا في منطقتين من شبه الجزيرة العربية هما شمال الحجاز وعمّان. وفي سفر اللاويين ١١: ٢٩، أدرجت «السحلية الكبيرة» (صب) بين الديب (أي الزواحف) النجسة وحرّم أكلها. و«السحلية الكبيرة» أو وِرن جنوب فلسطين وسيناء تدعى «وِرن» أو «وِرن»، وصب التوراتية لا تشير إلى الورد هذا بل إلى «ضب» البادية العربية. والاسم هو نفسه في العبرية والعربية، مع التحول المألوف من الصاد إلى الضاد^(٨). أضف إلى ذلك أن التوراة تذكر طيوراً كثيرة بأسمائها ولا تأتي إطلاقاً على ذكر الأوز أو الدجاج. ويفيد الجغرافي اليوناني استرابون الذي توفي عام ٢٣ للميلاد (انظر كتابه «الجغرافيا»، ١٦ : ٤ : ٢) أن الأوز و«فصيلة الدجاج» لم يكن لهما وجود حتى زمانه في مناطق شبه الجزيرة العربية «المقابلة للحبشة»، وقد اعتبر ذلك أمراً جديراً بالملاحظة.

وهذا كله، مضافاً إلى غيره من الدلائل الثابتة، يشهد في صالح إعادة النظر في الموقع الجغرافي لأرض التوراة.

= الجبال الأمطار من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في فصل الصيف، كما تلتقط الرياح الشمالية الغربية في فصل الشتاء. وبالتالي فإن المرتفعات الأعلى هناك تشهد أحياناً هطولاً للثلج وتراكمًا قليلًا في فصل الشتاء في بعض الأحيان (انظر الفصل ٣).

(٨) استناداً إلى ما جاء في الحديث، فإن الرسول محمداً (ﷺ) لم يحرم أكل الضب بالرغم من أنه لم يأكله هو نفسه. وبعض البدو السنّة في شبه الجزيرة العربية يأكلون الضب اليوم، في حين يعتبرها الشيعة نجسة. وفي يومنا هذا على الأقل، يبدو أن الضب غير معروف في الأراضي الشمالية للشرق الأدنى.

وبالعودة إلى علم الأسماء الذي يعتمد عليه البحث الراهن بشكل رئيسي، نجب ملاحظة أن التحديد الملائم لأسماء الأمكنة التوراتية يمكنه أن يعمق المعرفة القائمة باللغة العبرية، وفي بعض الحالات أن يغير مفاهيمها جذرياً. وإذا كان للباحث أن يعالج العبرية التوراتية كلغة لم يسبر غورها بعد، ولم يفك من رموزها إلا القليل، فإن أسماء الأمكنة فيها تبدو مشابهة إلى حد كبير لأسماء الملوك والآلهة المحفوظة في الخراطيش في الكتابات المصرية القديمة، من حيث أنها تؤمن مفاتيح لفك رموز ما هو في الواقع لغة ميتة^(٩). ويكفي أن يتم التعرف إلى اسم مكان توراتي معين على ما هو مقصود به فعلاً لكي تبدأ الجملة التي يرد فيها الاسم بكشف غامضها فيصبح المعنى المقصود منها واضحاً جلياً. والحقيقة الساطعة هي أن الكثير من الكلمات العادية (فعل، اسم، ظرف أو صفة، وأحياناً مرفقة بحرف جر مثل الباء أو اللام أو الميم) كانت تقليدياً قد قرئت خطأ في الإطار التوراتي على اعتبار أنها أسماء أمكنة. ومن ناحية أخرى، فإن هناك ما لا يحصى من أسماء الأمكنة التوراتية التي لا شك فيها، والتي تمت قراءتها حتى الآن على أنها أفعال أو ظروف أو أسماء أو صفات. والتفريق الملائم بين ما هو فعلاً اسم مكان وما هو ليس كذلك في النصوص التوراتية يمكنه أن يقلب الكثير من القراءات والترجمات التقليدية رأساً على عقب.

وإذا ما أعيدت قراءة السجلات المصرية القديمة وسجلات العراق

(٩) وعلى سبيل المثال، يمكن للمرء أن يستنتج من الطريقة التي تلفظ بها أسماء الأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية ذات الصيغة العبرية أن الكاف لم تكن تخفف عادة إلى خ، في حين الحاء كثيراً ما كانت تلفظ خ. وكذلك، فإن التاء نادراً ما كانت تخفف إلى ثاء، التي يظهر أنها كانت تفرعاً لهجويّاً عن الشين. والعين كانت تلفظ مرات ع ومرات أخرى غ. وأما وقفة الهمزة فكثيراً ما كانت تلفظ واو أو ياء كما في العربية الدارجة. وهذان الحرفان شبه الصوتيان كانا يتبادلان بدورهما، وكثيراً ما يصوّتان كحرف الألف المفتوحة.

القديمة في لغاتها الأصلية، وليس في الترجمات المتوفرة لها حتى الآن (وهو ما يجب فعله، انظر الفصل ١)، فإن بإمكان هذه السجلات أن تلقي الكثير من الضوء على الوضع الحقيقي للجغرافيا التوراتية. وكثيراً ما يرد ذكر أسماء الأماكن التوراتية في هذه السجلات بالترافق مع أسماء أماكن أخرى ما زال يمكن العثور عليها في غرب شبه الجزيرة العربية. ويمكن لأعمال علماء التاريخ والجغرافيا الكلاسيكيين أن تساعد أيضاً إلى حد كبير في هذا المجال. وفي الفصل السابق، هناك دليل مأخوذ من مؤلف هيرودوتس استشهد به في مجال الحديث على هجرة الفلسطينيين والكنعانيين من غرب شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشامي. وفي الفصل ٤، هناك دليل مأخوذ من جغرافية استرابون سوف يستخدم لتحديد الموقع الصحيح لـ «بئر سبع» التوراتية في غرب شبه الجزيرة العربية، تفريقاً لها عن بئر السبع في فلسطين. وكذلك يجب أن يتنبه الباحث إلى كل ما ورد في القرآن الكريم حول المسائل المتعلقة بالجغرافيا والتاريخ التوراتيين، وهو كثير، إذ أن أحداً لم يفعل ذلك بعد.

لقد جمع القرآن ودون تقريباً في نفس الوقت الذي كان فيه المسيحيون قد بدأوا بتصويت وتصويب نص التوراة العبرية. واستناداً إلى التاريخ الإسلامي، فإن التدوين النهائي للقرآن الكريم، بالصيغة التي استمرت في الوجود حتى اليوم، قد تم في عهد الخليفة عثمان، أي بين سنتي ٦٤٤ و٦٥٦ بعد الميلاد. وحيشاً تكلم القرآن عن الأبناء العبريين أو عن إسرائيل أو عن الأنبياء اليهود، أشار إلى عدد من أسماء الأماكن التي هي من الأسماء المعروفة في غرب شبه الجزيرة العربية. والتوافق بين أسماء الأماكن القرآنية في إطار معين، وتلك التوراتية في الإطار نفسه، قد يكون ملتبساً إلى حد كبير في بعض الأحيان. وحيث يمكن للتوراة، مثلاً، أن تعطي اسم جبل في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن القرآن قد لا يعطي اسم هذا الجبل، بل اسم وادٍ أو بلدة أو اسم موقع آخر في الجوار نفسه. وهكذا، واستناداً إلى التوراة (الخروج ٣: ٢)،

فإن ملاك الرب «يهوه» ظهر على موسى بلهب نار من وسط عليقة في جبل حوريب (حرب). واستناداً إلى القرآن الكريم (٢٠: ١٢ و ٧٩: ١٦) فإن دعوة السماء لموسى حصلت في «الوادي المقدس» طوى. وحتى الآن، جرى البحث عن جبل حوريب التوراتي في سيناء ولم يعثر عليه هناك بهذا الاسم. وقد فهم لهب العليقة التي «تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق» على أنه إشارة إلى بركان، ولكن لم يعثر على أية آثار لأية نشاطات بركانية في سيناء. وهذا ما جعل بعض الباحثين ينشون عن سيناء إلى البحث عن جبل حوريب في المناطق البركانية في شمال الحجاز (انظر كريلينغ ص ١٠٨ - ١١٠)، ولكن كذلك دون جدوى. ولكن القرآن يقول لنا بالدقة أين كان حوريب، فهو مرتفع جبلي في الجهة البحرية من عسير، ويسمى اليوم جبل هادي. وعلى سفح جبل هادي هناك قرية ما زالت تدعى حتى اليوم «الطوا»، يمكن أن تكون قد أعطت اسمها ذات يوم إلى رافد مجاور يصب في وادي بقره، ولا بد أن هذا الرافد هو «الوادي المقدس طوى» المذكور في القرآن. وفي وادي بقره توجد هناك حتى اليوم قرية تدعى حارب (حرب بلا تصويت) لا بد أن تكون قمة جبل هادي المجاورة قد أخذت اسمها التوراتي منها. والمنطقة موضوع البحث بأسرها مفروشة بحقول الحمم، والواضح أنه كانت هناك ذات يوم براكين ناشطة^(١٣).

(١٣) هناك أيضاً دليل توراتي على تعريف جبل هادي في عسير الساحلية بأنه جبل حوريب التوراتي. واستناداً إلى سفر التثنية ١: ١ فإن موسى «كلم جميع اسرائيل . . في البرية في العربية (عربة) قبالة سوف (سوف) بين فاران (فهرن) وتوفل (تفل) ولابان (لبن) وحصيروت (حصرت) وذو ذهب (دي زهب)». والموقع المشار اليه هو منخفض وادي غرابة (غربة) الذي يفصل بين بلاد غامد وبلاد زهران. وهناك قرية تسمى الصفا (صف، قارن مع سوف) تشرف على وادي غرابة هذا من الشمال. ويقع الوادي أيضاً بين فسران (جبل قران، أوفران) في الشرق. ، وتفل (وادي طفالة، أو طفل) في الجنوب. ولبن هي اليوم قرية البنّ (مل - بن) في الشمال، ودي زهب هي آل ذهيب (ذهب، مع نحول «ذي» إلى «آل»، والمفهوم واحد)، وهي في الشمال أيضاً، وحصرت هي اليوم الحظيرة (حظرت) في الغرب (إلا إذا كانت هي جبل خضيرة، أو خضرت، الذي =

وحيث يروي القرآن القصص التوراتية، فإنه لا يكرّر الروايات التوراتية لهذه القصص ويتصرّف بها، كما هي النظرة السائدة اليوم بين الباحثين في الغرب. بل إن محتويات القرآن الكريم حيث تتوافق مع محتويات التوراة العبرية هي رواية تاريخية مستقلة تماماً عن رواية التوراة، ولا بد من دراستها على هذا الأساس، والشئ نفسه ينطبق على الروايات القرآنية لقصص الأنجيل المسيحية. وقد تبدو التباينات بين الروايتين، التوراتية والقرآنية، محيرة للوهلة الأولى، ومع ذلك فإنها قد تصبح باعثة على التنوير في التمهّص التالي، لأن في القرآن ما يوضح غوامض التوراة في أحيان كثيرة، وهذا أمر في غاية الأهمية.

وبهذا، فإن ما لدينا هو التالي: نص عبري للتوراة مدوّن بأحرف ساكنة علينا أن نأخذ بدقته، ولا بد من إعادة قراءته بعيداً عن التصويت التقليدي... وسجلات قديمة مصرية وعراقية وسجلات أخرى قديمة تشير إلى أسماء الأماكن التوراتية لا بد أيضاً من إعادة قراءتها بعيداً عن التأويلات الجغرافية والطوبوغرافية القائمة... وأعمال علماء التاريخ والجغرافيا الكلاسيكيين التي قد تكون مساعدة... والنص القرآني الثابت حرفياً... وأخيراً، تضاريس غرب شبه الجزيرة العربية حيث أسماء الأماكن التوراتية ما زالت موجودة إلى اليوم، في معظم الحالات إما بصيغتها التوراتية الأصلية، أو بصيغ متطورة يسهل التعرف عليها في معظم الأحيان. وفي الفصل التالي، سيجري وصف ذلك الجزء من غرب شبه الجزيرة العربية الذي تنحصر فيه أسماء الأماكن التوراتية أو تكاد بشيء من التفصيل. وفي الفصول اللاحقة ستجري

« هو أيضاً في الغرب). ويلاحظ أن اسم موسى التوراتي ما زال يوجد هو أيضاً في الواقع في الجوار نفسه، وهو قرية «الموسى». ويقول سفر التثنية ١: ٢٠ أن المكان كان على بعد «أحد عشر يوماً من حوريب». ومسافة الطريق بين جبل هادي ووادي غرابة تتراوح بين ٢٠٠ و٢٥٠ كيلومتراً، ويمكن قطعها سيراً على القدمين في أحد عشر يوماً، بالسير بسرعة ٢٠ كيلومتراً في اليوم.

دراسة بعض النماذج المختارة من النص التوراتي لتبيان مدى دقة مطابقتها الجغرافية للمنطقة . وسيتربك للقارىء أن يحكم بنفسه على ما إذا كان يجد الموضوع الأساسي لهذا الكتاب مقنعاً أم لا . وفي النهاية تبقى التوراة هي التوراة، مهما كان موطنها الأصلي.

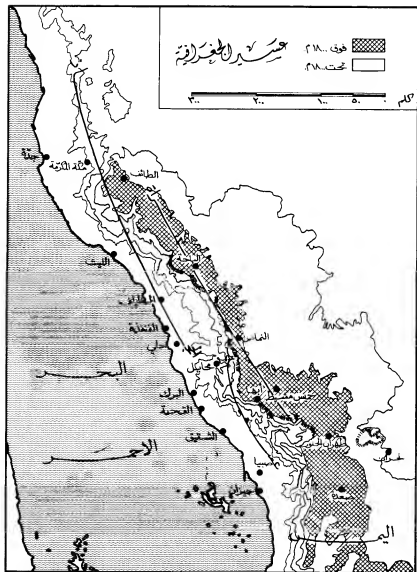
٣- أرض عسير

اسم عسير مصطلح جغرافي حديث الاستعمال، وهو يرمز منذ القرن التاسع عشر إلى مرتفعات غرب شبه الجزيرة العربية الممتدة من النماص شمالاً (إحداثيات ١٩° شمال × ٤٢° شرق) إلى نجران جنوباً (إحداثيات ١٧° ٣٠' شمال × ٤٤° ١٠' شرق)، أضف إلى ذلك الأراضي الهضبية والصحراء الساحلية لما يسمى تهامة بين بلدة القحمة (إحداثيات ١٨° شمال × ٤١° ١٠' شرق) وحدود اليمن (النقطة الساحلية ذات الإحداثيات ١٦° ٢٥' شمال × ٤٢° ٤٥' شرق)^(١). ومن الشرق إلى الغرب تمتد عسير من أطراف صحراء وسط شبه الجزيرة العربية إلى ساحل البحر الأحمر. وعسير اليوم هي إحدى مقاطعات المملكة العربية السعودية، وقاعدتها مدينة أبها (إحداثيات ١٨° ١٥' شمال × ٤٢° ٣٠' شرق).

وعسير هي بشكل خاص بلاد «السراة» (أي «أعلى الأرض»)^(٢) والاسم هذا يشير إلى امتداد هضبي يتراوح ارتفاعه بين ١٧٠٠ و ٣٢٠٠

(١) يطلق اسم عسير تحديداً على المرتفعات القبلية المحيطة بأبها، وقد اكتسب استعمالاً إدارياً أوسع نطاقاً في العصور الحديثة. ويبدو أن الاسم التوراتي «عسير» أو «جبل عسير» (سفر التكوين ١٤ : ٦ و ٣٦ : ٨ وما يتبعه . الخ) هو الصيغة السامية القديمة لاسم عسير الحالي بالذات. وحول العلاقة بين اسم تهامة والاسم التوراتي تهوم، انظر الفصل ٦.

(٢) بشأن العلاقة بين اسم السراة واسم إسرائيل التوراتي، انظر الفصل ١٠.



خريطة (رقم ٢)

متر عن سطح البحر، والسراة هذه هي بمثابة العمود الفقري لأرض
عسير، وهي تشكل الطرف الغربي لمسطح نجد بين الطائف وحدود
اليمن. وإلى الشمال من الطائف، ينتهي مسطح نجد إلى جبال وهضاب
الحجاز (ارتفاعاتها القصوى بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ متر عن سطح البحر).
أما إلى الجنوب من الطائف، فإن هذا المسطح ينتهي بجرف هائل يسمى
الشفاء، ويبلغ مسقط هذا الجرف معدّل ١٠٠ متر تقريباً. ويقع هذا
الجرف على بعد حوالي ٨٠ - ١٢٠ كيلومتراً إلى الداخل من ساحل البحر
الأحمر، ويمتد من الطائف حوالي ٧٠٠ كيلومتر ليتداخل مع جبال اليمن.
وبمحاذاة هذا الجرف تبلغ السراة أعلى ارتفاعها قرب أبها. أما باتجاه
الجنوب فتخفّ حدة الجرف ويبدأ بالتلاشي بعد بلدة ظهران (المسماة
ظهران الجنوب، وإحداثياتها ١٧° ٤٠' شمال × ٤٣° ٣٠' شرق). وكما
لوحظ سابقاً، فإن السراة تنتهي شمالاً عند الطائف، إذ تتصل هناك
بهضبة الطائف عند خط العرض ٢١° تقريباً.

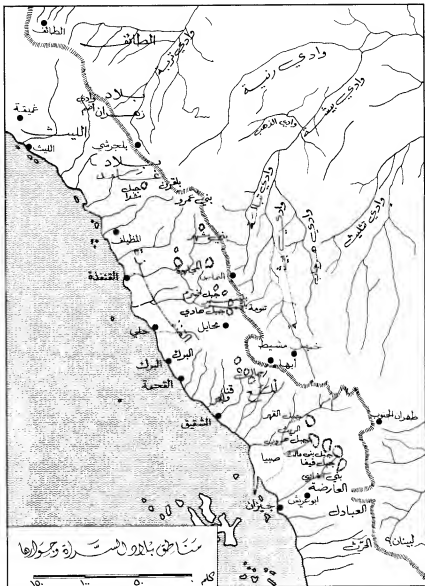
ومن هنا يصحّ إطلاق اسم عسير جغرافياً بمعنى واسع ليضم كامل
امتداد بلاد السراة، من جوار الطائف في الشمال حتى ظهران وحدود
اليمن في الجنوب، مع العلم بأن الأرض الواقعة إلى الشمال من منطقة
النماص تعتبر عرفاً من الحجاز. ومنطقة النماص هي منخفض
من السراة على شكل سرج يفصل بين الارتفاعات الأعلى لمنطقة أبها في
الجنوب، وارتفاعات منطقة الباحة التي تشمل مناطق غامد (بلاد غامد)
وزهران (بلاد زهران) في الشمال. وهناك منخفض آخر من السراة
يفصل بين مرتفعات زهران وهضبة الطائف حيث تنتهي السراة وما يمكن
تسميته بالتالي عسير الجغرافية.

وعلى امتداد ساحل تهامة من عسير الجغرافية، بما فيها المناطق التي
تعتبر عرفاً من الحجاز، هناك عدد من البلدات والرافىء، أبرزها اليوم،
من الشمال إلى الجنوب، الليث، والقنفذة، والبرك، والقحمة،

والشقيق، وجيزان. ثم ترتفع الأرض من عند طرف صحراء تهامة الساحلية، وتستمرّ ارتفاعاً في عدد من المدرجات الجبلية، لتصل إلى الجرف وإلى حد مصرف السراة بعده. وهذه هي أرض ما يسمّى بجبال تهامة، وهي أرض كثيرة التسنن بما فيها من الوديان والمسالك الضيقة التي تفصل بين قممها الجبلية الشاهقة. هذا الجانب البحري من عسير يتألف في الواقع من عدد لا متناه من الهضاب والمنخفضات (التي تسمى بالعربية الوهاد، ومفردها وهد أو وهدة، قارن بالعبرية التوراتية يهود و يهوده، وبالعربية تقليدياً «يهوذا»، وهو ما قد يكون السبب في إطلاق اسم «يهوذا» على هذه الأرض في أيام التوراة، انظر الفصل ٨) (٣). وحتى أزمنة قريبة، كانت أودية هذا الجزء من عسير وجنوب الحجاز وشعابه (أي من عسير الجغرافية) تشكل مرتعاً وأرض لجوء وتناسل للجراد، مما قد يفسر عبارة «المجاعات في الأرض» التي يكثر ورودها في أسفار التوراة (راجع الفصل ١٣).

وفي حين أن أجزاء عسير الجغرافية الواقعة إلى الغرب من الجرف تشكل تداخلاً متشابكاً من القمم والمسالك، فإن السراة، من فوق الجرف، تنحدر تدريجياً باتجاه الداخل. وفي عسير نفسها، جنوب النماص، يتبع المنحدر الداخلي مناطق التشقق الطبيعي باتجاه الشمال، وهنا تسيطر على الأرض، من الجنوب إلى الشمال، شبكتان لتصريف المياه هما وادي تثليث ووادي بيشة، ولكل من الواديين روافد عديدة. وينحرف المساران الرئيسيان لهذين الواديين أخيراً باتجاه الشرق ليصبا المياه المتجمعة فيهما في وادي الدواسر، الذي ينتهي مسيله إلى الصحراء

(٣) هناك عدد من الأمكنة في هذه المنطقة يطلق عليها إلى اليوم اسم «وهدة»، ناهيك عن أسماء أماكن أخرى مشتقة من نفس الجذر، وهو وهد (بالعبرية يهد).



الداخلية . أما من مرتفعات غامد وزهران فتتحد الأرض باتجاه الشرق حيث شبكة تصريف وادي رنية . ويتصل المسار الرئيسي لهذا الوادي بمسار وادي بيشة، قبل أن ينحرف هذا الأخير شرقاً ليلتقي بوادي تثليث عند أطراف الصحراء .

وبلاد عسير الجغرافية (أي عسير وجنوب الحجاز) هي أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية تلقياً للأمطار . وهي لا تقع بعيداً إلى الشمال من مدار السرطان، ولذلك فإن السراة منها، بمرتفعاتها العالية، تلتقط أمطار مناخين اثنين: أمطار الرياح الشمالية الغربية في الشتاء، وأمطار الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الصيف . وتتراوح نسبة الأمطار هناك بين ٣٠٠ و ٥٠٠ ملمتر سنوياً، وهو ما يكفي للمحافظة على مستوى المياه الجوفية في المنطقة عموماً . وقد يسقط الثلج أحياناً في أعالي السراة، وربما تراكم في بعض النواحي منها لفترات قصيرة . وتتدفق المياه في ينابيع السراة، وأحياناً على شكل شلالات، فتسيل الجداول الموسمية أو الدائمة منها في الوديان على جانبيها الداخلي والبحري .

وغابات العرعر الكثيفة هي من السمات التي تتميز بها السراة والمرتفعات الأعلى من جبال تهامة . وهناك أيضاً أحراش من البطم والطرفاء والسنت (الأكاسيا) والسرو وغيرها من الأشجار الحشرية في مناطق عديدة . وحيث لا توجد الأحراش والغابات، فقد جرى تدريج مرتفعات عسير تقليدياً لزراعتها بالحبوب وبأنواع مختلفة من الجوزيات (وخصوصاً اللوز) ومن الفواكه، بما فيها العنب . وتزرع الحبوب والخضار في أقسام واسعة من الأراضي القابلة للزراعة في الوديان الساحلية وغيرها من الأراضي المنخفضة، كما تزرع الحبوب والتمور في الأقاليم الداخلية وخاصة في أراضي الواحات في حوض وادي بيشة . وتدرج المناخ في المنطقة، بين الأراضي الساحلية الحارة والمرتفعات المعتدلة والصحراء الداخلية، ينعكس بإنتاج نباتي بري غزير التنوع .

ولذلك فإن عسل عسير هو من الأنواع النادرة الجودة. وهنالك حول الأراضي المزروعة في كل مكان مراعي واسعة كانت جماعات البدو وما زالت ترعى فيها قطعان الماشية، من الخراف والأبقار والماعز، ناهيك عن الجمال والدواب^(٤).

وتتميز أراضي عسير الداخلية باحتوائها على بعض الثروة المعدنية. وقد كان الذهب والنحاس والرصاص والحديد يستخرج منها في القدم، والذهب خصوصاً في منطقة وادي رنية. وما زال هنالك احتمال للعثور على الذهب هناك، وشمالاً في مهد الذهب، شمال شرق الطائف. وأحد روافد وادي بيشة يسمى إلى اليوم وادي الذهب، وربما كانت بجواره مناجم للذهب في الأزمنة القديمة^(٥).

وفي عسير الجنوبية، تفصل مرتفعات ظهران بين منطقتين هما

(٤) من أجل دراسة حديثة عن جغرافية عسير وحياتها البيئية، انظر:

Kamal Abdul-Fattah, *Mountain farmer and fellah in Asir*. (Erlangen, 1981).

وحول النباتات البرية في عسير، انظر:

Western Arabia and the Red Sea (London, H. M.S.O., 1946), Appendix D. pp. 590 - 602.

وقد جرت الإشارة قبلاً الى احتمال أن يكون الجمل قد جرى تأهيله أول الأمر في عسير. وحول هذا الموضوع، انظر:

Michael Ripinsky, «Camel ancestry and domestication in Egypt and the Sahara», *Archaeology*, 36: 3 (1983), pp. 21 - 27.

(٥) يتحدث الجغرافي اليوناني استرابون عن ذهب غرب شبه الجزيرة العربية، فيصف البلاد الواقعة بين الحجاز واليمن (١٦ : ٤ : ١٨) بالقول: «بالقرب من هؤلاء الناس، هناك أمة أكثر تحضرًا تقطن منطقة أكثر اعتدالاً في المناخ لأنها أكثر مياهاً وأمطاراً. وهناك يعثر على ذهب في باطن الأرض، لا على شكل غبار بل على شكل كتل لا تحتاج الى كثير من التنقية. وأصغر هذه الكتل الذهبية هي بحجم البندقية، أما أوسطها فبحجم المشملة، وأكبرها بحجم الجوزة...». وإشارة استرابون الى «المناخ المعتدل» وإلى «الأمطار» في بلاد شبه الجزيرة العربية التي يصفها لا تدع مجالاً للشك في كونه يتحدث عن عسير.

صفات مختلفة. فالى الغرب والجنوب الغربي هناك أودية منطقة جيزان الساحلية الكثيرة الخصوبة، وهناك إلى الشرق منطقة الواحات في بلاد نجران. ومن بين جميع مناطق عسير، ربما كان وادي نجران هو الأكثر خصوبة. ويمتد وادي نجران هذا شرقاً لينتهي في بلاد يام على أطراف الرمال الواسعة للربع الخالي، وقد ازدهر هناك مجتمع يهودي منذ القدم وحتى القرن الحالي. وربما كان يهود نجران آخر ما تبقى من اليهودية في أرض أصولها. وهناك بموازة وادي نجران، وإلى الشمال، واديان شقيقان أقل خصوبة هما وادي حبونا ووادي إيدمة^(٦). وهذان الواديان ينتهيان أيضاً في بلاد يام.

وسهل جيزان الساحلي، عبر مرتفعات ظهران الجنوب من وادي نجران، هو أيضاً منطقة ذات خصوبة عالية لارتوائه بمياه وديان عدة مثل وادي خُلب ووادي جيزان ووادي ضَمَد ووادي صبيا ووادي بيش. وما يميز منطقة جيزان بشكل خاص هو الدائرة من الهضاب الرائعة التي تفصل السهل الساحلي عن مرتفعات الظهران، وثلاثة تجمعات من المخاريط البركانية (أم القمم والقارة وعكوة) تحيط بالسهل الساحلي من الجهة الداخلية. ويعتقد أن آخر ثورة لأحد البراكين هذه، وهو بُركان القارة، قد حصلت في حوالى سنة ١٨٢٠ ميلادية^(٧). وهناك عدّة مناطق بركانية في مواقع أخرى من عسير وجنوباً في اليمن. ومن بين الهضاب التي تحيط باقليم جيزان جبل هُروب وجبل فيفا وجبل بني مالك.

(٦) إيدمة هذا واحد من مواقع غرب شبه الجزيرة العربية التي قد تكون التوراة أشارت إليه على أنه «إيدوم» (عدم). والآخر الذي جاءت الإشارة إليه في معظم الأحيان هو وادي إدام (عدم) جنوب مكة المكرمة. والثالث يتمثل في وادي أدم (عدم) في محيط وادي بيشة.

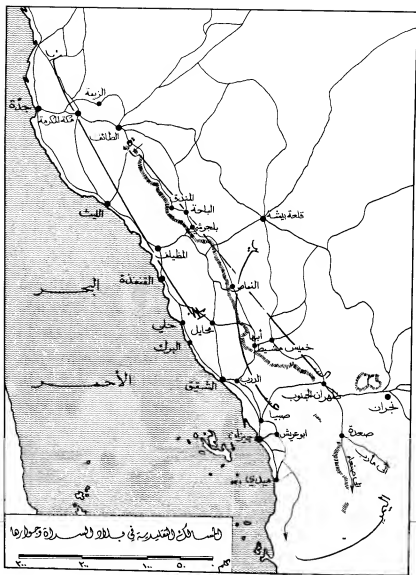
(٧) حول نشاط براكين منطقة جيزان في عسير، انظر:

Neuman Van Padang, Catalogue of the active volcanoes and solfatara fields of Arabia and the Indian Ocean (Napoli, International Association of Vulcanology, 1963), pp. 12 - 13.

ومنذ أيام الإسلام، كانت عسير على وجه العموم أرضاً هامشية الأهمية في تاريخ شبه الجزيرة العربية، على ثروتها وخصوبتها الطبيعية. أما في القدم، فيبدو أن عسير الجغرافية كانت منطقة عظيمة الشأن، نظراً لوقوعها عند نقطة التقاء الطرق الرئيسية لتجارة العالم القديم (انظر الفصل ١). كانت السفن آنذاك تروح وتغدو بين موانئ عسير وموانئ الحبشة وبلاد النوبة ومصر عبر البحر الأحمر. وكانت طرق القوافل تنطلق شمالاً من أراضي عسير الساحلية والداخلية، عبر الحجاز، إلى الشام، أو عبر وسط وشمال شبه الجزيرة العربية إلى بلاد العراق. وكانت هنالك طرق أخرى للقوافل تتجه من البلاد جنوباً عبر اليمن إلى موانئ خليج عدن والبحر العربي، أو شرقاً عبر اليمامة إلى موانئ الخليج العربي.

وهكذا، ومنذ بداية التجارة بين حوض المحيط الهندي وحوض شرق البحر الأبيض المتوسط، وبين حوض الخليج العربي وحوض البحر الأحمر، لا بد أن عسير الجغرافية كانت مركزاً رئيساً لخدمات الوساطة والتجارة والمبادلات. فازدهرت بلداتها الداخلية كمحطات للقوافل، يأمنها التجار من كل حذب وصوب ويتبادلون فيها بضائعهم وسلعهم. ولا بد أن أهم بلدات الداخل هذه كانت تلك التي تقع على طريق القوافل الرئيسية التي تتبع أطراف السراة، بين ظهران الجنوب والطائف. وبين هاتين البلديتين والموانئ البحرية كانت المسارات المتعرجة الوعرة تعبر الممرات الجبلية لجرف السراة، واصله تجارة البحر بتجارة البر (انظر الخريطة).

ولا شك في أن عسير القديمة كانت بلداً تجارية في غاية الازدهار، وكانت في الوقت ذاته أرضاً غنية بزراعتها ومراعيها وإنتاجها من الأخشاب والمعادن. من الطبيعي، إذن، أن تكون هذه البلاد قد عرفت، ومنذ أقدم العصور، مستوى رفيعاً من الحضارة. على أن حضارة عسير القديمة ما كانت في الواقع إلا حضارة مدن معينة وتجمعات



من القرى والواحات تفصل بينها البراري والقفار الواسعة . وقد كانت طرق التجارة البرية والبحرية تربط بين عسير وسائر أقطار شبه الجزيرة العربية والشرق الأدنى القديم ، لكن الواقع أن البلاد كانت معزولة من الناحية الجغرافية . وكانت أيضاً تفتقر إلى الوحدة في الداخل إذ كان كل من أجزائها يتجه في منحى مختلف ، لا سياسياً فحسب بل أيضاً في مجالات أخرى . وفي عسير الجغرافية القديمة ، كانت هنالك شعوب مختلفة تقطن أجزاء مختلفة من البلاد ، وتتحدث بلهجات مختلفة وأحياناً بلغات مختلفة ، كما كانت تعبد آلهة مختلفة بطرق مختلفة . وفي الفصول التالية سيجري تحديد بعض هذه الشعوب بأسمائها كما أشير إليها في نص التوراة العبرية . لكن التركيز سيكون على شعب واحد من شعوب عسير القديمة ، وهو الشعب المسمى ببني اسرائيل . وقد مرّ هذا الشعب في مرتفعات السراة ومنحدراتها الغربية (أرض «يهوذا») بين القرنين العاشر والخامس قبل الميلاد بتجربة تاريخية نادرة المثال ، ثم زال من الوجود مخلفاً وراءه سجلاً كاملاً بالغ الدقة والتفصيل لهذه التجربة . وما زال هذا السجل ، وهو التوراة العبرية بمختلف أسفارها ، موجوداً ومعروفاً إلى الوقت الحاضر .

٤ - البحث عن جرار

قبل بداية البرهان على مدى الدقة في مطابقة جغرافيا التوراة العبرية لجغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية، لا بد من إيراد الدليل، ولو بجملة واحدة من الأمثلة، على مدى الضعف في مطابقة تلك الجغرافيا لجغرافيا فلسطين. هذا يتضح تماماً من النظر في الطريقة التي عالج فيها علماء التوراة حتى الآن مسألة «جرار» (جرر)، وهي بلدة توراتية يفترض أنها ازدهرت في القدم في جوار غزة بساحل فلسطين، في موقع غير بعيد عن بئر السبع، على عدم وجود أي مكان هناك يحمل هذا الاسم. وفي مثل هذه الدراسة لمسألة «جرار» ما يلقي الضوء على مسائل أخرى تتعلق بالجغرافيا التوراتية، منها مسألة أرض كنعان، ومسألة «بئر سبع» التوراتية المختلفة عن بئر السبع الفلسطينية.

وهناك أربعة مقاطع في التوراة تتحدث عن «جرار». ففي الكلام عن أرض الكنعانيين التوراتيين (هـ - كنعني)، يذكر سفر التكوين ١٩: ١٠ «جرار» هذه بالترافق مع صيدن (التي أخذت على أنها «صيدون» أي صيدا الفينيقية) ومع عزه (التي أخذت على أنها غزة الفلسطينية). ويقول النص هنا إن حدود الكنعانيين تمتد، من جهة، من صيدن إلى عزه، مضيفاً أن هذا المكان الأخير يقع باتجاه «جرار»، دون

أن يوضح ما هو هذا الاتجاه: شمالاً أم جنوباً، شرقاً أم غرباً. ولا يحدد النص ما إذا كانت «جرار» تقع بين صيدن وعزه، أو إذا كانت تقع بعد عزه من صيدن، ولا هو يحدد المسافة بين «جرار» وعزه، أو بين «جرار» وصيدن. ويصف النص ذاته حدود أرض كنعان من الجهة الأخرى، كذلك ابتداءً من صيدن ودون أي تحديد للاتجاه (انظر أدناه).

وفي سفر التكوين ٢٠ : ١ وما يلي، يرد ذكر «جرار» بالتراffic مع عرص هـ - نجب، وهي في الترجمة إما «أرض النجب» التي تؤخذ على أنها تعني صحراء النقب الفلسطينية، أو «أرض الجنوب» (بالعبرية نجب، بقلب الأحرف الصحيحة) التي تفهم على كل حال على أنها تعني جنوب فلسطين حيث تقع صحراء النقب. ويضيف النص هنا بأن «جرار» تقع بين «قادش» (قدش) و«شور» (شور)، وبأن «ملكها» كان يسمى أبيمالك (بـ بي ملك)، دون أن يأتي على أي ذكر له عزه.

في سفر التكوين ٢٦ يعرف أبيمالك بأنه «ملك الفلسطينيين» (بالعبرية ملك فلستيم). ولا يرد شيء من هذا القبيل في سفر التكوين ٢٠. ويرد في سفر التكوين ٢٦ أيضاً ذكر «وادي جرار» (نحل جرر) بالتراffic مع أسماء أربعة آبار هي «عسق» (عسق) و«سطنة» (سطنة) و«رحوبوت» (رحبوت) و«شبعة» أو «بثر سبع» (شبعه، بـ ر شبع). وهنا أيضاً لا يأتي النص على ذكر عزه.

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ١٤ : ٨ وما يلي (٩ وما يلي في «السبعونية» وفي الترجمة العربية وغيرها من الترجمات الحديثة) تظهر «جرار» بشكل بارز في قصة الحرب التي جرت بين «زارح الكوشي»، أو «زارح الحبشي» (زرع هـ - كوشي)، وآسا ملك يهوذا (حوالي ٩٠٨ - ٨٦٧ قبل الميلاد)^(١). وفي هذه الحرب، غزا «الكوشيون» أو «الحبشيون»

(١) ان تأريخ التاريخ التوراتي مبني على التوافق التاريخي، مثل ذلك المتعلق بحملة الحاكم المصري شيشانق الأول ضد يهوذا خلال حكم رحبعام ابن سليمان (انظر الفصل ١١). ولهذا، يمكن النظر إليه على أنه دقيق، بفارق بضع سنوات.

(هـ - كوشيم) يهوذا ووصلوا إلى «مريشة» (مرشه). وهناك ألحق الملك آسا بهم الهزيمة قرب «وادي صفاتة» (جيء صفته)، ثم انبرى يلاحق فلولهم حتى «جرار» حيث نهب البلدة وما حولها من زراعة ورعي. ويفهم من ذلك أن «جرار» وجوارها كانت تشكل في ذلك الوقت جزءاً من الأراضي «الكوشية»، ولذلك اقتصّ الملك آسا منها.

وفي بحثهم عن «جرار»، لم يكن أمام الباحثين التوراتيين وعلماء الآثار ما يسترشدون به غير الإشارات الواردة أعلاه، ولم يكن لديهم غير هذه المادة التوراتية لتحديد موقع أراضي الكنعانيين أو أراضي «الفلسطينيين»، ناهيك عن أراضي «الكوشيين». وقد اعتبر هؤلاء الباحثون أن صيدن وعزه المذكورتين في سفر التكوين ١٠ ما هما إلا «صيدون» و«غزة» على الساحل الشامي، ولذلك افترضوا أن «أرض الكنعانيين» التوراتية كانت تتألف من الأراضي الداخلية لهاتين البلديتين، ولم تخطر ببالهم أية إمكانات أخرى. ولأن عزه التوراتية تظهر في مقاطع أخرى في التوراة العبرية كمدينة «للفلسطينيين» (انظر الفصل ١٤)، فقد افترض هؤلاء الباحثون أن أرض «الفلسطينيين» التوراتية كانت تشمل أراضي غزه الساحلية، وليس أي أرض خارج ما هو اليوم فلسطين الساحلية، خصوصاً وأن هذه الأرض ما زالت تحمل اسمهم (حول فلسطين وكنعان في الشام، انظر الفصل ١). وقد بدا ذكر «جرار» في سفر التكوين ٢٦ بالترافق مع فلشتيم بمفهوم «الفلسطينيين»، مضافاً إلى ذكرها في سفر التكوين ١٠ بالترافق مع عزه بمفهوم «غزة»، برهاناً كافياً على أن البحث عن «جرار» لا بدّ أن يكون في فلسطين الساحلية قرب بلدة غزة وليس في أي مكان آخر.

ولا بدّ من الإقرار بأن أسماء صيدن وعزه و عرص هـ - نجب التوراتية هي نفسها أسماء صيدون (أي صيدا) وغزة وأرض النقب في لبنان وفلسطين حالياً. وإذا كانت عرص هـ - نجب، من بين هذه

الأسماء التوراتية الثلاثة، تعني «أرض الجنوب» وليس «أرض النقب»، فإن صحراء النقب المعروفة تقع بالفعل في «جنوب» فلسطين. وقد يبدو في كل هذا ما يبرّر البحث عن «جرار» في فلسطين. ومن ناحية أخرى، يسود الاعتقاد بأن بئر شبع التوراتية، المسماة أيضاً شبعه في سفر التكوين ٢٦، ما هي إلا بلدة بئر السبع المعروفة في فلسطين. لكن الواقع، على الأقل في هذه الحالة، هو غير ذلك. ومن هذه النقطة يمكننا أن ننتقل لإعادة البحث عن «جرار».

عندما قام علماء الآثار لأول مرة بإجراء الحفريات في بئر السبع في فلسطين، وهي البلدة ذات الاسم العربي المميز، كانت أقدم البقايا التي عثروا عليها هناك تعود، كما سبق، إلى أواخر العهد الروماني أو إلى العهد البيزنطي، عندما كان معظم المناطق الريفية من الشام قد أخذ يستعرب بسرعة. وما لبث هؤلاء العلماء أن اكتشفوا تحصينات في تلك الناحية وصفت اعتباطياً بأنها اسرائيلية، وأنها ربما كانت تعود إلى أيام التوراة، ولكن هذه التحصينات لم توجد إلا على بعد خمسة كيلومترات تقريباً من البلدة. وبئر السبع بالعربية تعني «بئر الوحش المفترس»، ويمكنها أيضاً أن تعني «بئر السبع» بمعنى العدد ٧. وبهذا المعنى الأخير يمكن أن تؤخذ على أنها ترجمة عربية للتعبير العبري بئر شبع، الذي يمكنه أن يعني بطريقة ملتوية «بئر سبع» بمعنى العدد ٧ (وليس بئر السبع بالتعريف، وهذه بالعبرية بئر هـ - شبع وليس بئر شبع). لكن الأقرب إلى العقل هو أن الاسم العبري يعني «بئر امتلاء». والواضح أن الاسم البديل المعطى للمكان ذاته في سفر التكوين ٢٠، الذي هو شبعه (بالتأنيث)، يعني «امتلاء، شبع (امتلاء المعدة)». ولكي يعني الاسم «بئر امتلاء»، كان عليه أن يكون بالعربية «بئر شبع» أو «بئر شباع» وليس «بئر السبع». وهذا، مضافاً إلى الدلائل الأثرية السلبية، يقف ضد كون بئر السبع الفلسطينية هي «بئر سبع» التوراتية.

وقد سبق أن سفر التكوين ٢٦ يحدّد موقع «جرار» بالنسبة إلى «بئر

سبع»، بينما يحدّد سفر التكوين ١٠ موقع «جرار» بالنسبة إلى عزه. وهناك دليل معتمد للجغرافيا التوراتية (كريلينغ، ص ٨٠) يلخص البحث عن «جرار» بين غزة وبئر السبع في فلسطين كما يلي:

« ما زال الموقع الصحيح للمكان الذي كانت جرار تقوم فيه غير أكيد، وهو يعتمد على كيفية تحديد مواقع البلدات الأخرى في المنطقة عموماً. . . وفي أواخر أيام الرومان كانت هناك منطقة جراريتيكي، ومن الواضح أنها سميت كذلك لأنها تكونت بالدرجة الأولى من أراضي جرار القديمة، وكانت بئر السبع من ضمنها في تلك الأيام. وتل جمة، وهي هضبة أثرية هامة جنوب غزة، عرفت بكونها جرار من قبل فليندرز بيتري الذي نَقَب في بعضها في السنة ١٩٢٧. بعض الباحثين أظهر شكاً في هذا. . . وفضّل تل الشريعة شمال غرب بئر السبع. وعلى العموم، واستناداً إلى تقرير صادر في العام ١٩٦١، فقد وجد علماء الآثار الاسرائيليون أن هضبة غير بعيدة تقع على الطريق الممتد من بئر السبع الى غزة، هي تل أبو هريرة، وتحتوي على بقايا تعود إلى ما قبل عهد الهكسوس، هي أكثر أهمية من تينك الهضبتين، وتستحق المساواة مع جرار» (قارن مع سايمنوز، الفقرة ٣٦٩).

وقد برزت في البحث عن «جرار» بين بئر السبع وغزة مشكلة مردّها إلى أن البلدة موصوفة في سفر التكوين ٢٠ على أنها تقع بين «قادش» (قدش) و«شور» (شور). ولا يمكن التعرف إلى أسماء أماكن مماثلة في منطقة بئر السبع وغزة اليوم، مع الاعتبار بأن هذه المنطقة ربّما كانت جراريتيكي في آخر أيام الرومان. وتعريف المكانين المشار إليهما بمواقع موجودة في جنوب فلسطين وفي شبه جزيرة سيناء لا يقوم على أي أساس صلب، ولذلك يبقى في منتهى الضعف. ومرة أخرى، نقرأ في تلخيص كريلينغ:

«نقطة قادش ربما كانت نقطة محددة (ص ٦٩) . . . وتقع قادش في مثلث العريش - رفح - قُسَيْمَة، الذي هو في الواقع المنطقة الوحيدة في إقليم سيناء التي يمكن أن تكون قد وجدت فيها، في أية مرحلة زمنية، مجموعة من الرّحل من أي حجم كانت. إن مسح النقب (الفلسطيني) من قبل نلسون غلويك . . . منذ العام ١٩٥١، كان قد أكد حقيقة أنه كانت هنالك سكنى ملحوظة لهذه المنطقة في العصر البرونزي المتوسط، ثم في عصر الحديد الثاني، وبعد ذلك في أيام النبطيين والرومان . . . وهناك مكان يسمى عين قديس كان قد اكتشفه في العام ١٨٤٢ ر. رولاندز. . . وأعيد اكتشافه من قبل هـ. س. ترامبول الذي أعلن عن هذا الاكتشاف في العام ١٨٨٤. وعند عين القديرات القريبة، التي هي عبارة عن نبع أشدّ غزارة بكثير، توجد هضبة تمثل مستوطنة تضم قطعاً أثرية تعود بتاريخها إلى العصر الحديدي. واستناداً إلى غلويك، فإن هذا هو الموقع الرئيسي العائد إلى العصر الحديدي في المنطقة بأسرها (ص ١١٧) . . . ويعتقد أن يكون شور هو الاسم العبري لخط الدفاع المصري في برزخ السويس، بالرغم من أن تلك الكلمة، التي تعني «الجدار»، لا تصف بدقة بقايا التحصينات المصرية الموجودة هناك. واستناداً إلى عالم الآثار الفرنسي كليدات، الذي استكشف المنطقة، فإنها تبدو وكأنها كانت تتألف من نقاط محصنة غير متصلة فيما بينها. ومهما كان الأمر، فإن «الطريق إلى شور» [درك شور، سفر التكوين ١٦: ٧] ربما كانت طريق النقل القديمة من بئر السبع إلى مصر، والتي سماها وولي ولورنس درب الشور والتي تمر بـ خلاصه ورحبية وبيربيرين ومويلح في الجنوب (ص ٦٩)».

وباختصار، فإن تحديد علماء التوراة لموقعي «قادش» و«شور» في

جنوب فلسطين ما هو إلا تكهن واهٍ لا يستند إلى أية معطيات ثابتة . أضف أنه لم يعثر على أي موقع يحمل اسم «جرار» في أي مكان بين عين قديس وبرزخ السويس . ولو وجد هناك بالفعل مكان اسمه «جرار» لوقع، في أي حال، على مسافة ملحوظة من غزة ومن بئر السبع، حيث يقوم المنقبون بالبحث عن آثار هذه البلدة التوراتية . وهذا ما يعيدنا إلى حيث بدأنا .

وتبرز مشكلات أخرى من خلال ذكر «جرار» في أخبار الأيام الثاني ١٤، حيث تبدو البلدة وكأنها تخص «الكوشيين» (هـ - كوشيم) . وقد عرّف الكوشيون هؤلاء تقليدياً بكونهم «حبشيين»، وذلك لأن النصوص التوراتية كثيراً ما تربط بين كوش ومصر، التي تؤخذ دوماً على أنها «مصر» (مع اعتبار أن بلاد الحبشة هي الجارة الجنوبية لمصر) . وفي «السبعونية» (السبتواجيت) تسمّى كوش أحياناً باسمها هذا كما يرد بالعبرية، وفي أحيان أخرى تسمّيها باليونانية أيثيوبيا أو أيثيوبس (أي الحبشة)، وهذا ما زاد في تشجيع علماء التوراة على تعريف المكان بكونه الحبشة . وإذا نحن سلّمنا بأن الكوشيين كانوا بالفعل حبشيين، يبقى هناك السؤال: كيف تيسر هؤلاء الحبشيين أن يسيطروا على أرض هي أرض «جرار»، ويفترض أنها كانت في فلسطين؟ وهل كان هؤلاء الحبشيون مصريين من عهد الأسرة الخامسة والعشرين، أي «الأسرة الحبشية» (٧١٦ - ٦٥٦ قبل الميلاد)؟ هذا أمر غير معقول، باعتبار أن سيطرتهم على «جرار»، على ما تفيد التوراة، كانت في عهد آسا ملك يهوذا الذي توفي قبل عهد «الأسرة الحبشية» هذه بحوالي قرن ونصف القرن . وفيما يلي إيجاز كريلينغ (ص ٢٧٢) للطريقة التي حلت بها هذه المشكلة :

«الرواية في أخبار الأيام . . . تدعي المعرفة بغزو تم في أيام [آسا] قام به الكوشي أو الحبشي زارح . . . ولم يصل الحبشيون إلى السلطة في مصر حتى القرن التالي، وهكذا، فلا يمكن أن

هذا الكوشي كان فرعوناً. ولعلّه كان حاكماً مصرياً لمستعمرة في «وادي مصر» [أي وادي العريش]^(٢) وللأراضي المحتلة من المصريين إلى شمالها وحتى «جرار». ونسمع في أمكنة أخرى أيضاً أن «أبناء حام» (أي الكوشيين) عاشوا بالقرب من قبيلة شمعون^(٣) في جنوب البلاد (أخبار الأيام الأول ٤ : ٣٩)، و«جدور» المذكورة هناك يجب أن تقرأ «جرار» (وحول مخالفة هذه النقطة الأخيرة انظر سايمونز، فقرة ٣٢٢).

ولا بد من الاضافة هنا بأن مريشة (مرشه) التي وصلها «زارح الحبشي» في غزوه ليهودا قد عرفت بأنها «تل صنداحنة» في جنوب فلسطين (في جوار بيت جبرين من منطقة الخليل) «التي تمثل أيضاً البلدة التي اسمها اليونان والرومان مريسا. . . مباشرة شرق خربة مرعش، حيث استمر الاسم القديم في الوجود وما زال» (سايمونز، فقرة ٣١٨). والواقع هو أن اسم «مرعش» هو غير اسم «مريشة»، لأن حرف العين في الاسم الأول لا وجود له في الاسم الثاني. ولا يخلط بين هذين الاسمين المختلفين أصلاً إلا الأجانب الذي يجهلون الاحتكاك البلعومي المصوّت في الاسم الأول (وهو حرف العين) لأنهم يعجزون عن نطقه فيفترضون إمكان سقوطه في اللفظ. أما «وادي صفاته» (جيء صفته) فقد تعذّر تعريف وجوده في فلسطين إلى درجة أن لم تكن هنالك حتى الآن أية محاولة من قبل الباحثين للتكهن به. وأحد التفسيرات لذلك هو أن الصيغة العبرية للاسم جيء صفته قد لا تكون أكثر من خطأ في الإملاء أو غموض في النص (سايمونز، فقرة ٢٥٤).

(٢) الاسم هذا بالعبرية نحل مصريم، أي «وادي مصريم»، ويعتبر أنه يشير إلى وادي العريش الذي يفصل فلسطين عن سيناء. ونحل مصريم هو في الواقع الاسم التوراتي لوادي لية بمنطقة جيزان، حيث هناك إلى اليوم قرية اسمها المصرم (انظر الفصل ١٥).

(٣) حول سبط شمعون وأراضيه في غرب شبه الجزيرة العربية، انظر الملحق.

ومما رأينا حتى الآن يمكننا إستنتاج ما يلي :

١ - إن موقع «جرار» التوراتية في فلسطين لم يحدد بعد بصورة مرضية، أو بصورة نهائية، وما من مكان في فلسطين استمر في حمل اسم مشابه .

٢ - يفترض علماء التوراة أن موقع «جرار» هو في جنوب فلسطين لأن سفر التكوين ١٠ يذكر المكان بالترافق مع عزه التي يعتقد أنها غزة الفلسطينية، في حين أن سفر التكوين ٢٦ يذكر المكان نفسه بالترافق مع شعبة أو بئر شبع التي يعتقد أنها بئر السبع الفلسطينية .

٣ - مع التسليم بأن «قادش» التوراتية قد تكون عين قديس، قرب وادي العريش، وبأن موقع «شور» قد يكون في مكان أبعد غرباً في سيناء، قرب برزخ السويس، يبقى هناك الواقع بأن بئر السبع وغزة هما من فلسطين، وليس من سيناء . وبناءً على ذلك، فلا يعقل أن يكون موقع «جرار» في الوقت ذاته بين بئر السبع وغزة، وبين «قادش» و«شور»، وهو ما يؤكد سفر التكوين ٢٠ .

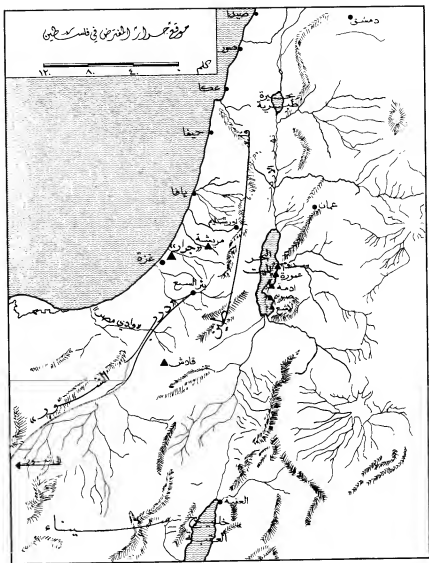
٤ - إذا كان الكوشيون التوراتيون حبشيين بالفعل، وكانت «جرار» في جنوب فلسطين، فإن سيطرة الكوشيين على «جرار»، الملمح اليها بوضوح تام في أخبار الأيام الثاني ١٤، لا يمكن تفسيرها بسهولة .

ولحل هذا اللغز الغامض المحيط بـ «جرار»، قد يكون من الأفضل الانطلاق من الدليل الوارد في أخبار الأيام الثاني ١٤، ومحاولة تحديد الهوية الحقيقية للكوشيين المذكورين في هذا النص . وكما أشير سابقاً، فإن كوش يترافق ذكرها في النصوص التوراتية مع مصر، التي تشير بالتأكيد إلى مصر في بعض الفقرات التوراتية (كما في الملوك الأول ١٤ : ٢٥ وما يلي، وفي أخبار الأيام الثاني ١٢ : ٢ وما يلي، وأيضاً في الملوك الثاني ٢٣ : ٢٩، وفي أخبار الأيام الثاني ٣٥ : ٢٠ وما يلي، وفي إرميا ٤٦ : ٢) . أما في أماكن أخرى من التوراة (كما سنرى في الفصلين ١٣

و١٤) فإن اسم مصر يم يشير إلى أي من مواقع عديدة في غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيها قرية المصرة (مصرم)، ويلفظ اسمها محلياً المصرة (مصرمه)، في مرتفعات عسير بين أبها وخميس مشيط، أو قرية مصر (مصر) في وادي بيشة في عسير الداخل. والباحث عن كوش في ذلك الجور العام يجدها فوراً في الكوثة (كوث) قرب خميس مشيط. وهذه عبارة عن واحة تقع على مسافة قريبة شرق أبها، وبالتالي في المنطقة ذاتها التي توجد فيها قرية المصرة. وفي جوار خميس مشيط ايضاً تقع قريتا القارة (قرر) والغريزة (غور)، ولا بد أن إحداهما كانت هي «جرار» التوراتية (أو واحدة من «جرات» التوراة). أما «شبعة» أي «بئر سبع» التوراتية^(٤)، فما هي إلا قرية الشباعة (شبع، أو شبعه) في الجوار نفسه، وقد أهدت محلياً بأنها اليوم حي من خميس مشيط. وإليك البرهان القاطع على ذلك.

لقد سبق القول بأن بئر سبع العبرية ربما كانت تعني «بئر امتلاء»، ولكنها قد تؤخذ خطأ على أنها تعني «بئر سبع» (من الرقم ٧). وفي حديثه عن عودة القائد الروماني آيلوس غالوس من حملته العسكرية في شبه الجزيرة العربية في سنة ٢٤ قبل الميلاد، يصف الجغرافي اليوناني استرابون (١٦ : ٤ : ٢٤) بدقة فائقة المراحل التي قطعها غالوس في طريق عودته من «نيغرانا» (وهي نجران) إلى «نيغرا» (وهي النجيرة، قرب ميناء أم لج الحالي) على ساحل البحر الأحمر، حيث ركب جنوده السفن التي أقلتهم عائدين إلى مصر. ويفيد استرابون أنه بعد أحد عشر

(٤) من الأبار الثلاثة التي ذكرت إلى جانب «شبعة» أو «بئر سبع» في سفر التكوين ٢٦، ما زالت «عسق» موجودة واسمها اليوم عكاس (عكس)، قرب أبها، غرب خميس مشيط. ويبدو أن البئرين الآخرين كانا يقعان عبر الجرف على الجانب البحري من شق عسير المائي حيث هناك «رحوبوت» التي هي اليوم الرخبات (رحبت) في منطقة بني شهر، وكذلك «سطن» التي هي اليوم الشطين (سطن)، وتعني بالعربية «حبل بئر الماء»، في منطقة بلسمر وبالحمر.



يوماً من مغادرته نجران، وصل غالوس الى مكان يسمى «الآبار السبعة»، وهي محاولة واضحة لترجمة الاسم التوراتي بـ«شبع» أو بـ«شبعه». وفي دراسته لنص استرابون في ضوء استكشافاته لشبه الجزيرة العربية، قدّر الرحالة البريطاني فيليبي (H. St. J. B. Philby, *Ara-bian highlands*, Ithaca, N. Y., 1952, p. 257) أن «الآبار السبعة» هذه لا بد أن تكون خميس مشيط، التي تقع على مسافة تبلغ ٢٦٠ كيلومتراً من نجران. ولاحظ فيليبي وجود قرية الشباعة بين مجموعة من القرى تحت خميس مشيط في منطقة «تروى جزئياً بالفيضانات وجزئياً من الآبار التي هي في معظمها من ذوات الفوهة الواسعة...» (ص ١٣٢). لكنه لم يلاحظ أن اسم قرية الشباعة هذه يطابق تماماً اسم شبعه التوراتية، المعرفة في سفر التكوين ٢٦ بأنها اسم آخر بديل لاسم بـ«شبع». وقد افترض فيليبي بأن خميس مشيط نفسها ربما كانت تسمى ذات يوم «بير سبع» (ص ٢٥٧).

ويفيد استرابون بأن رحلة غالوس من «الآبار السبعة» إلى «نيغرا» استغرقت أربعين يوماً، ويصف «نيغرا» بأنها قرية عند البحر. وفي طريقه من «الآبار السبعة» إلى «نيغرا»، مرّ غالوس في مكان اسمه «كالّا»، وآخر اسمه «مالوثاس» يقع على ضفة «نهر». وقد فات على فيليبي أن ينتبه إلى قول استرابون الواضح بأن «نيغرا» كانت بلدة عند البحر، حيث كانت ترسو السفن التي أقلّت غالوس وجنده في طريق عودتهم إلى مصر، فحاول تعريف «نيغرا» بكونها مدائن صالح شمال المدينة، في داخل الحجاز. وهكذا أضعاف التعريف الصحيح لـ «كالّا» و«مالوثاس»، معتبراً أن الأولى هي «قلعة» بيشة، في وادي بيشة، وأن الثانية هي تُرْبَة أو الخُرْمَة في منطقة الطائف (ص ٢٥٧). والواقع هو أن الطريق من خميس مشيط إلى الساحل يتبع مسار «نهر» وادي الضلع في منطقة رجال الملع، حيث توجد حتى اليوم قريتان تسميان القلعة (كالّا) والملاذة (مالوثاس). وتستمر هذه الطريق نزولاً حتى تصل إلى بلدة الدرب، وهناك تلتقي بطريق أخرى

تتابع مسارها شمالاً عبر الصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى أم لج والنجيرة (نيغرا). وهذا ما يقوله استرابون تحديداً: «وطريقه من هناك تقع عبر بلاد صحراوية، ليس فيها إلا القليل من الآبار». والمسافة بين جوار خميس مشيط وأم لج أو النجيرة على امتداد الطريق الموصوفة تقدّر بحوالي ١١٠٠ كيلومتر، وهي مسافة يمكن قطعها سيراً في أربعين يوماً.

وباختصار، فإن «الكوشيين» (وبالتأكيد أولئك الوارد ذكرهم في أخبار الأيام الثاني ١٤) لم يكونوا «حبشيين»، بل أهل قبائل من جوار الكوثة (أي مرتفعات خميس مشيط)، في الأجزاء العليا من وادي بيشة، غير بعيد عن الانحدار من الشباعة، التي هي بئر سبع أو «بئر سبع» التوراتية. وأما «يهودا» التي غزاها هؤلاء «الكوشيون» فهي المنحدرات الغربية لعسير الجغرافية (انظر الفصل ٨). وبالتقدم باتجاه «يهودا» هذه، كان زارح، من الكوثة، قد وصل إلى «مريشة» أو مرشه التي هي اليوم إما المشار (مشر) أو المشاري (مشر)، في منطقة القنفذة. وفي هذه المنطقة وجوارها بالذات مجرى وادي حلي حيث هناك على الأقل قرية واحدة تسمى الصِّفَّة، وأحد المعاجم الجغرافية يدرج اثنتين، ربما خطأ. وهكذا، فلا بد أن جيء صفته التوراتية هي إشارة إما إلى المسار الرئيسي لوادي حلي، أو إلى رافد لهذا الوادي حيث تقع حالياً قرية الصفة (قَارَن بالعبرية صفته). وكان على زارح أن يعبر جرف عسير الرئيسي من وادي بيشة لكي يصل إلى المشار (أو المشاري) وإلى وادي حلي في منطقة القنفذة. وبعد أن هزم زارح هناك تراجع عبر الجرف إلى وادي بيشة، وتبعه الملك آسا إلى هناك حيث نهب رجاله «جرار» وجوارها الغني.

وإستناداً إلى سفر التكوين ٢٠، كما ذكر سابقاً، فإن «جرار» كانت تقع بين «قادش» و«شور». و«جرار» هذه (التي تبدو هي تلك المذكورة في سفر التكوين ٢٦ وفي أخبار الأيام الثاني ١٤) لا بد أنها كانت القرارة

الحالية وليس الغريرة، في جوار خميس مشيط، باعتبار أن القرارة هذه تقع على امتداد الطريق الرئيسي بين الكَدَس (قارن بالعبرية قدش) في رجال ألمع، وآل أبو ثور (ثور، قارن بالعبرية شور) في وادي بيشة. وليس هنالك أي التباس في الإحداثيات هنا، ولا حتى في تعريف «قادش» و«شور» باسميهما، من دون أي لجوء إلى الحدس أو البراعة، أو إلى التأويل المصطنع لاكتشافات أثرية لا علاقة حقيقية لها بالأمر.

وأكثر من ذلك، فإن هنالك في إصحاحي سفر التكوين ٢٠ و٢٦ ذكر للملك بـ «جرار» يدعى أبيمالك (عبي ملك) وصف في سفر التكوين ٢٦ بأنه ملك «الفلسطينيين» (فلستيم والمفرد فلشتي، نسبة إلى فلشت أو فلشه). وهنا لا بد من إبداء ملاحظتين. الأولى هي أن كامل المنطقة التي تقع على جانبي الشق المائي شمال غرب خميس مشيط، بما فيه الجزء من وادي بيشة حيث توجد القرارة، يحمل الى اليوم الاسم القبلي «بني مالك» (ملك). وهناك أيضاً قرية تسمى «بني مالك» في المنطقة نفسها. وهذا يمكنه أن يعني أن «أبيمالك» (التي تعني حرفياً «والد مالك») الواردة في إصحاحي سفر التكوين ٢٠ و٢٦ لم تكن بالضرورة اسماً لشخص معين، بل ربما كانت لقباً أطلق قديماً في المنطقة على زعماء قبيلة مالك الذين كانوا أيضاً «ملوك» القرارة. وإذا أخذ في الاعتبار تفاوت الأجيال بين القصص الواردة في الإصحاح ٢٠ والإصحاح ٢٦ من سفر التكوين، فإنه يصعب أن يكون «أبيمالك» في القصتين هو الشخص نفسه. والملاحظة الثانية تتعلق بـ «جرار» (أو القرارة) و«الفلسطينيين» (انظر الفصل ١٤). فالى الشمال من القرارة، في حوض وادي بيشة، ما زالت هناك قرية تدعى الفلسة (يقابلها بالعبرية فلشه). ولو أطلق الاسم العبري على سكانها لسموا فلستيم (جمع النسبة بالعبرية الى فلشه، أي الفلسة). وكان يمكن بسهولة للفلسة هذه أن تكون جزءاً من الأرض التابعة للقرارة في زمن معين أو آخر، وهو ما يفسر لماذا وصف «أبيمالك»، حيثما ذكر في سفر

التكوين، بأنه ملك «جرار»، وكذلك ملك الـ فلستيم، أي أهل فلسه (أو «الفلسطينيين»).

ويلاحظ أن الإحداثيات المذكورة لـ «جرار» في سفر التكوين ٢٠ و٢٦ وأخبار الأيام الثاني ١٤ تختلف كلياً عن تلك المذكورة لـ «جرار» سفر التكوين ١٠، حيث يرد ذكر «جرار» في مجال الكلام عن حدود أرض الكنعانيين (هـ - كنعني) الممتدة من صيدن إلى عزه. ويضيف النص هنا أن الحد الآخر لأرض الكنعانيين يبدأ هو أيضاً من صيدن، فيمتد منها «باتجاه سدوم (سدم) وعمورة (عمره) وأدمة (ءدمه) وصبوريم (صبيم) الى لاشع (لشع)».

ومن المؤكد أن صيدن الواردة هنا ليست هي الميناء اللبناني «صيدون» (التي هي اليوم صيدا). ومن بين أربع «صيدونات» تدعى «زيدان» أو «آل زيدان» (زيدن، قارن بالعبرية صيدن) توجد حتى اليوم في أجزاء مختلفة من عسير، فإن تلك الواردة في سفر التكوين ١٠ لا بد أن تكون اليوم قرية آل زيدان في مرتفعات جبل شهدان، وهو قمة من جبل بني مالك، في أراضي جيزان الداخلية، تسيطر على ممر جبلي استراتيجي على امتداد الحدود الحالية بين منطقة جيزان وشمال اليمن. ومن آل زيدان هذه يمتد الحد الثاني للأرض الكنعانية المذكور في سفر التكوين ١٠ غرباً باتجاه ساحل البحر الأحمر، لينتهي عند آخر خط القرى عند طرف الصحراء الساحلية، بين وادي صبيا والمنطقة المعروفة بقنا والبحر، شمال وادي عتود. وكما سنرى في الفصل ٧، فإن المدينة البائدة «سدوم» (سدم) ما زال اسمها موجوداً في تلك المنطقة حتى اليوم بشكل محرف في اسم وادي دامس (دمس)، وهو رافد لوادي صبيا. ووادي دامس هذا يمتد مباشرة شمال البركانين التوأمن لجبل عكوة، وبين حقول حمها. وأما «عمورة» (عمره) فربما أنها هي أيضاً مدينة بائدة تحطم، مثل «سدوم»، تحت حم وادي دامس، أو أنها اليوم قرية الغمر

(غمر)، التي تقع على منحدرات جبل هروب، فوق وادي دامس. وعلماً بأن لفظة صبيم أو صبييم بالعبرية هي مثنى صبي، أي «غزال» أو «ظبي»، فلا بد أن اسم «صبوييم» التوراتي يشير إلى البلديتين الحاليتين التوأمن المتواجهتين عبر المسار الرئيسي لوادي صبيا، وهما بلدة صبيا (صبيء)، وهو الاسم العبري صبي مع لاحقة التعريف الآرامية) وبلدة الظبية (الصيغة العربية للاسم نفسه، مع أداة التعريف العربية المسبقة). وفي موقع أبعد شمالاً هناك «لاشع» (لشع) في حوض وادي بيش، وقد جرى تحريف اسمها إلى الصيغة العربية الحالية العشة (عل عش، حيث تلفظ اللام كأداة التعريف العربية). وأبعد أيضاً إلى الشمال تقع أدمة (ءدمه) عبر وادي عتود في منطقة قنا والبحر، قد تحوّل اسمها في التعريب إلى الدومة (دمه، باسقاط الهمزة البدئية للصيغة الأصلية للاسم، كما يحصل في أحوال كثيرة).

هذا بالنسبة إلى الحد الثاني للأرض الكنعانية، كما هو محدد في سفر التكوين ١٠، وهو يمتد، كما قلنا، من قرية آل زيدان في جبل شهدان إلى الصحراء الساحلية للبحر الأحمر غرباً. أمّا الحد الأول لهذه الأرض، الذي هو باتجاه «جرار»، فينطلق من آل زيدان إلى الشمال، حيث يتبع خط الشق المائي ليصل إلى عزه. وهذه اليوم ليست «غزة» بل آل عزة، وهي قرية جذابة جميلة تتعالى بنفسها على ذروة جبل من منطقة بلّحمر في السراة، جنوب النماص (وهناك أمكنة عديدة أخرى تحمل الاسم نفسه في عسير، في حين أن هناك «غزة» واحدة فقط في ساحل فلسطين). والواضح أن اسم آل عزة هو الاسم التوراتي عزه بالذات، بينما اسم البلدة الفلسطينية هو «غزة» بالغين، مع العلم بأن العين العبرية قد تنقلب غيناً في العربية.

وهذا يقودنا إلى مسألة «جرار» (جرر) الواردة في سفر التكوين ١٠، والتي ذكرت فيه للإشارة إلى الاتجاه الذي يتبعه الحد الكنعاني الممتد من

صيدن الى عزه. وأول جرار هناك، إلى الشمال من قرية آل زيدان، هي غُرار (غور) في جبل بني مالك. والثانية تقع في مكان أبعد إلى الشمال، وهي الجرار (جرر) في جبل هَرُوب. والثالثة أبعد أيضاً إلى الشمال، وهي غُرار (غور) عبر وادي عِتُود في رجال ألمع. والرابعة أبعد أيضاً وأيضاً إلى الشمال وقرية من آل عزة، وهي القرارة (قرر) التي تقع في مرتفعات السراة بالقرب من تنومة، إلى الجنوب من النماص. وفي حين أن ليست هنالك أية «جرار» في لبنان وفلسطين، بين صيدا وغزة، أوحى بعد غزة إنطلاقاً من صيدا، فهناك ما لا يقل عن أربعة في مرتفعات عسير، بين آل زيدان وآل عزة، مما يجعل الباحث يختار في أي من هذه الأربع كانت «جرار» التي يعينها سفر التكوين ١٠ بالفعل، والتي كانت تقع على امتداد الحد الكنعاني تماماً.

وفي ضوء ما ورد أعلاه، فإن أرض الكنعانيين التوراتيين، في غرب شبه الجزيرة العربية وليس في فلسطين، كان يفترض بها أن تضم المنحدرات البحرية لعسير من منطقة بلحمر في الشمال، عبر رجال ألمع، إلى منطقة جيزان في الجنوب، ومعظم هذه المنطقة ضمناً. وهنا يمكن ملاحظة وجود قريتين تسميان قناع (قنع، قارن بال جذر كنع، ومنه كنعن) في منطقة المجاردة شمال منطقة بلحمر. وفي الجوار الأوسع ذاته هناك قرية تسمى العزة، وكذلك قرية تسمى القناع، وواحدة تسمى ذي القناع، وواحدة تسمى القنعات (جمع مؤنث لقنع). وهناك قريتان تسميان القنعة (مؤنث قنع) توجدان في منطقة جيزان، هذا دون أن نتطرق إلى ذكر أسماء الأماكن المشتقة من الجذر نفسه في أجزاء أخرى من عسير وجنوب الحجاز. وأخيراً، هناك قرية تسمى آل كنعان (عل كنعن، وتعني حرفياً «إله كنعان») في وادي بيشة، عبر الشق المائي من منطقة المجاردة. والدليل الأسمي المتعلق بموقع الكنعانيين التوراتيين (تفريقاً عن أولئك الشاميين) في غرب شبه الجزيرة العربية يستدعي إعادة نظر

دقيقة وبالعُمق في الأفكار الشائعة حول هذا الموضوع (انظر أيضاً الفصلين ١٤ و ١٥، وحول الكنعانيين الشاميين انظر الفصل ١).

ويتضح تماماً مما ورد أعلاه أن «جرار» سفر التكوين ١٠ ليست «جرار» نفسها الواردة في سفر التكوين ٢٠، وسفر التكوين ٢٦، وأخبار الأيام الثاني ١٤. نصّ سفر التكوين ١٠ : ١٩ وحده يذكر جرر بالترافق مع عزه، وهي آل عزة في منطقة بلّحمر تفريقاً لها عن المكانين الآخرين اللذين يحملان اسم «العزة» في عسير الساحلية (وحول واحد منهما، انظر الفصل ١٤). وأما بالنسبة لـ «جدور» (جدر) الواردة في أخبار الأيام الأول ٤ : ٣٩ وما يلي، فالأكيد أن اسمها ليس قراءة مشوشة لاسم «جرار» (بقلب الراء في جرر إلى الدال في جدر)، كما هو مفترض. ونظراً لوجود «جدور» هذه في الأزمنة التوراتية في جنوب بلاد الشمعونيين (انظر الملحق)، فلا بد أنها اليوم قرية الغدر في جبل فيفا من منطقة جيزان، على وجود عدد من الإمكانيات الأخرى.

وفي ضوء هذا كله، فلا بدّ أن موقع عرص هـ - نجب التوراتية بين «قادش» و«شور»، المذكور في سفر التكوين ٢٠ بالترافق مع «جرار»، هو جوار قرية النقب (نقب مع أداة التعريف العربية، قارن بالعبرية هـ - نجب)، في رجال الملع، على الجهة الأخرى من الشق المائي من قرارة خميس مشيط.

وهكذا أصبحت القضية الآن واضحة، فليست هناك أية «جرار» قرب غزة في فلسطين. وبين الكثيرات الموجودات في عسير، فإن واحدة (القرارة، قرب خميس مشيط) هي «جرار» المذكورة في سفر التكوين ٢٠ و ٢٦ وفي أخبار الأيام الثاني ١٤، وأخرى (أي من غرار والجرار وغلرار والقرارة، بين جبل بني مالك وسراة بلّحمر) هي تلك المذكورة في سفر التكوين ١٠. وأخيراً، لا بد من ملاحظة أن تعريف «جرار» الأولى يسير جنباً إلى جنب مع تعريف «كوش»، و«فلشة»، و«بثر سبع»، و«عسق»،

و«سطنة»، و«رحوبوت»، و«قادش»، و«شور»، و«مريشة»، و«صفته»، و«النقب» في الجوار العام نفسه، بين ناحية خميس مشيط والمناطق الواقعة عبر الشق المائي إلى الغرب. وتعريف «جرار» الثانية يسير جنباً إلى جنب مع تعريف «سدوم» و«عمورة» و«أدمة» و«صبويم» و«الاشع» التوراتية في اتجاه، ومكانين آخرين اعتبراً حتى الآن «صيدون» (أي صيدا) و«غزة» الشاميتين في اتجاه آخر، أضف إلى ذلك تحديد الهوية الجغرافية لأرض كنعان التوراتية على منحدرات عسير البحرية، بين منطقتي المجاردة وجيزان. وعلماء الآثار لم يحفروا بعد المناطق موضوع البحث أو أي جزء آخر من عسير بهذا الغرض، وربما وجدوا هناك في يوم من الأيام مفاجآت كثيرة. وكما يقول جيراالدي غوري، وهو من آخر الرحالة البريطانيين الذين وصفوا شبه الجزيرة العربية:

«هناك في وديان عسير واليمن والحجاز خرائب قد تقدم ذات يوم لعلماء التاريخ وللعالم معرفة أكبر بالدول القديمة . . . و . . . بالممالك الأقدم لشبه الجزيرة العربية، وقد تفصح بوضوح عن معاني الكتب المبكرة للتوراة وعن معاني التلميحَات التاريخية في القرآن. ومن يدري أية كنوز تاريخية ترقد دفينه في خرائب عسير الدارسة؟»^(٥).

Gerald de Gaury, *Arabia Phoenix* (London, 1946), p. 119. (٥)

٥ - مالم يكتشف في فلسطين

إننا نعتبر في العادة أن الدقة والأمانة في العمل هما من شيم أهل الاختصاص. وفي حقل مثل حقل التاريخ القديم، قليلون منا هم القادرون على النظر في صحة ما يقوله الاختصاصيون. فليس كلنا عالم آثار، ولغات العالم القديم، بكتاباتها الغريبة، هي ألغاز بالنسبة لمعظمنا. ولهذا، عندما يقول الاختصاصيون رأيهم في موضوع ما نأخذ ما يقولون على أنه كلام ثقة ونترك لهم وحدهم أن يختلفوا حول النقاط القابلة للجدل. وهذا ما يمكنهم من أن ينفذوا بأخطائهم دون حساب في المسائل التي يختارون الاتفاق عليها لسبب أو لآخر. وهذا يصل بالفعل حد الفضيحة في ميدان علم الآثار التوراتي وفي دراسة النقوش والنصوص القديمة التي درج اعتبارها رديغة للتوراة.

هناك أحجار قديمة في كل ركن من أركان الشرق الأدنى، أحفر أنى شئت وستجد بعضاً منها. لكن الحفر هو شيء، وما يفعله الباحث بنتائج الحفر هو شيء آخر، وهنا يكمن الفارق بين البحث الأثري العلمي في الشرق الأدنى، وما يسمى بعلم الآثار التوراتي. فالأول هو عبارة عن محاولات منظمة وموضوعية لدراسة الثقافات والحضارات القديمة للمنطقة ولتتبع تطورها، مرحلة بعد أخرى، على أساس بقاياها المادية، مع الإدراك التام لحدود المعرفة التي يمكن التوصل إليها بهذه الطريقة. والثاني لا يمثل أكثر من بحث عن بقايا مادية في مناطق معينة حددت مسبقاً على

أنها من أرض التوراة، وذلك لتوفير البرهان الأثري لفاهيم مسبقة للتاريخ التوراتي. وهكذا، عندما يعثر عالم آثار توراتي على بقايا تحصينات قديمة قرب بلدة بئر السبع الفلسطينية (انظر الفصل ٤)، يسم هذه التحصينات بأنها «إسرائيلية» قبل أن يفكر مرة واحدة في إمكانات أخرى. وعندما يعثر عالم آثار توراتي آخر على مناجم للنحاس قرب إيلات الحديثة إلى الغرب من ميناء العقبة، ويعثر على ختم نقش عليها كلمة ليتم في الجوار العام نفسه، يسارع إلى الاستنتاج بأن هذا الختم لا بد أنه كان يخص «يوثام» (ل- يتم) ملك يهوذا، ثم يعلن للعالم، ودون أن يرف له جفن، اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لمناجم نحاس الملك سليمان، ولمدينة «عصيون جابر» التوراتية التي كان الاسرائيليون ينطلقون منها بحثاً عن الذهب.

وليس في البحث الأثري عن المواقع التوراتية خطأ من حيث المبدأ. لكن الخطأ هو في الوصول إلى الاستنتاجات التاريخية وتأكيداتها على أساس دلائل أثرية غير حاسمة. وهنا تصبح المنقوشات هامة. وعلى سبيل المثال، فربما كان نلسون غلويك على تمام الحق في إعلانه عن اكتشاف موقع توراتي حول مدينة إيلات الحديثة لو كان النقش على الختم الذي وجدته هناك يقول ليتم ملك يهوده (أي «ليوثام ملك يهوذا»). لكن غلويك لم يجد على الختم المذكور غير كلمة ليتم، ولذلك فإنه لم يكن مصيباً بالضرورة حتى في قراءته للكلمة على أنها ل- يتم (أي بلام مفصولة). ولعل الكلمة كانت بالفعل ل- يتم بالإشارة إلى «يوثام» آخر لم يكن ملكاً ليهوذا، وربما لم يكن يهودياً. وربما كانت الكلمة أيضاً تشير إلى إله يسمى يتم، يحتمل أن يكون هو الإله المصري أتوم، الذي يكتب اسمه في تهجئته الأصلية عتمو. وهناك مقابل إيلات، عبر وادي عربية، واد يدعى وادي اليتم (يتم) حتى يومنا هذا. فهل أن هذا الوادي، مثله مثل الختم الذي وجدته غلويك، يحمل اسم «يوثام» المذكور نفسه، كائناً من كان، أم أن الاسم في كلتي الحالتين هو اسم الإله المصري أتوم؟

ولنأخذ مثلاً آخر. ففي العام ١٨٨٠، عثر على نقش صخري في سلوان، قرب القدس، يشرح كيف جرى حفر قناة مائية هناك عن طريق التنقيب من نهايتي النفق في آن معاً. هذا النقش الصخري موجود حالياً في متحف الشرق القديم في استانبول. ولو قال النقش «إن هذا النفق حفر في عهد الملك حزقيا» لكان فيه تأكيد واضح لنصّي سفر الملوك الثاني ٢٠: ٢٠ وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٢: ٣٠، اللذين يتحدثان عن بركة وقناة أنشأهما الملك حزقيا، ملك يهوذا. لكن الواقع هو أن النقش المذكور لا يشير إلى أية أسماء، سواء كانت أسماء أشخاص أم أسماء أمكنة، ولذلك لا تجوز نسبته قطعاً إلى عهد حزقيا، كما فعل الباحثون التوراتيون زيفاً. ويبدو أن هؤلاء الباحثين لم يأخذوا في اعتبارهم أن الأقنية المائية كانت تحفر في كل الأزمنة، أينما كان، ومتى ظهرت الحاجة إليها. والواقع أن نقش سلوان لا يشير حتى إلى أن القدس الحالية هي فعلاً أورشليم التوراتية، لأنه لا يذكر اسم الموقع.

وكما في حالتي ختم ايلات ونقش سلوان، فإن كل ما يوصف بأنه كتابات «عبرية» منقوشة في فلسطين (وللدقة، فانها نقوش كنعانية) كان قد أجبر، بفعل «علم التوراة» الحديث، على تقديم أكثر مما يحتويه من معلومات. وفي جملة الأمثلة على ذلك القطع الفخارية المنقوشة التي عثر عليها بجوار نابلس في العام ١٩١٠ وكرست على أنها «نقوش السامرة»، على أن اسم «السامرة» (وهو بالعبرية شمرון) لا يظهر قط عليها. وقد أرخت القطع الفخارية هذه على أنها تعود إلى أعوام ٧٧٨-٧٧٠ قبل الميلاد، وهي تحتوي على سجلات لمبادلات تجارية بين أشخاص ربما كان بعضهم يهوداً، حكماً على ما ورد من أسمائهم الشخصية. ولكن هذه القطع الفخارية لا تذكر حتى اسم مكان واحد، ولا هي تشير، ولا من بعيد، إلى أية شخصية أو حادثة توراتية. وإذا كان تأريخ هذه القطع صحيحاً، ولو بشكل عام، فهذا يعني أنها تبرهن بمجموعها على أن يهوداً

كانوا يعيشون في جوار نابلس في فلسطين في القرن الثامن قبل الميلاد. ولكن ليس هنالك أي مبرر لأي استنتاج منها يتعلق بأية نقطة من نقاط التاريخ التوراتي أو الجغرافيا التوراتية. أضف أن هذه القطع لا تثبت بأي شكل أن المكان الذي عثر فيه عليها كان «السامرة» التوراتية، وهو ما يعني أنه لا بد من إعادة النظر حتى بالاسم «نقوش السامرة» الذي أطلقه الباحثون التوراتيون عليها.

ولا بدّ هنامن التصديّ لمسألة «نقوش لاختيش»، وهي قطع فخارية منقوشة عثر عليها في تل الدوير، في جنوب فلسطين، في العام ١٩٣٥ والعام ١٩٣٨. وهناك إجماع بين علماء التوراة على أن هذه النقوش تقدم دليلاً «قاطعاً»، لا لبس فيه» على أن تل الدوير كانت «لاختيش» (بالعبرية لكيش) التوراتية. والواقع هو أن النقوش المذكورة لا تقدّم أي دليل من هذا النوع.

إن «نقوش تل الدوير» (كما يجب تسمية هذه القطع الفخارية في الواقع) هي عبارة عن مجموعة من التقارير والشكاوى أرسلها رجل يدعى «هوشعيا» (هوسعياهو)، وهو قائد لقوة يهودية كانت معسكرة في وقت ما في مكان غير معروف الموقع، إلى رئيسه «ياوش» (ي.ءوس) الذي يتوجه إليه بلقب «مولاي» (في الأصل «دني»، والذي كان مقيماً على ما يبدو في تل الدوير باعتبار أن النقوش المرسلة اليه اكتشفت هناك. ولدى قراءة هذه النقوش اقتنع باحثون توراتيون مثل و. ف. ألبرايت بأنهم وجدوا إشارة واضحة إلى «لاختيش» التوراتية في النقش الرابع، وكذلك إشارة إلى «عزقة» التوراتية في النقش نفسه، وإشارة إلى «أورشليم» (وهي الإشارة المزعومة الوحيدة حتى الآن في منقوشة فلسطينية) في النقش السادس. وفي حالة النقش الرابع فإن القراءة المقبولة للمنقوشة تبدو قابلة لإعادة النظر بشكل جذري. أما في حالة النقش السادس، فإن قراءة اسم «أورشليم» ما هي إلا تزوير فاضح لا يمت إلى الأمانة

ففي النقش الرابع جاء في النص الأصلي للجملة التي أخذت على أنها تشير إلى «لاخيش» وإلى «عزقة» بالإسم ما يلي: ويدع كي ءل مس ءت لكس نحنو سمرم ككيل هـ - ءتت ءسر نتن ءدني كي لء نرءه ءت عزقه . وهذه الجملة قرئت وأولت على أنها تعني: «وليعرف [مولاي] (و- يدع) أننا نراقب (كي... نحنو سمرم) إشارات لاختيش (ءل مس ءت لكس)، استناداً إلى كل المؤشرات التي أعطاها مولاي (ك- كل هـ - ءتت ءسر نتن ءدني)، لأننا لا نستطيع أن نرى عزقة (كي لء نرءه ءت عزقه) . والتأويل هذا لما جاء في الأصل يفترض ما يلي:

١ - إن مس ءت، كجمع لـ مس ءه، هي اشتقاق من الفعل نس ء بمعنى «ارتفع» أو «صعد»، وهي بالتالي تشير إلى «إرتفاعات» أو «صعودات» الدخان، وبالتالي إلى «إشارات» عسكرية. والواقع هو أن الفعل نس ء يعني أيضاً «حَمَلَ». ومن هنا، فالأقرب إلى العقل أن كلمة مس ءه، وهي اسم الفعل من نس ء، تعني «حمل»، أي «حمولة»، وليس «صعوداً» أو «إرتفاعاً»، وبالتالي «إشارات» عسكرية، أي «إرتفاع الدخان» (ليس هناك ذكر للدخان في النقش أصلاً).

٢ - إن لكس يجب أن تقرأ ككلمة واحدة، هي اسم لاختيش (لكيش). أما إذا قرئت الكلمة على أنها ل - كس، باعتبار اللام الأولى حرف جرّ، فإن المعنى الذي تعطيه يصبح «للطعام»، إذا فسرت كس كاسم مشتق من كسه «امتلاً أو شبع بالطعام» (قارن بالعربية «كشاً من الطعام، أي امتلاً به»).

٣ - إن سمرم، كجمع لـ سمر، تعني «مراقبون». ويمكن للكلمة أيضاً أن تعني «منتظرون»، لأن الفعل سمر (شمر في العبرية) يفيد معنى الانتظار بالإضافة إلى معنى المراقبة .

٤- إن عتت، كجمع لـ عته، تعني «مؤشرات» (من الفعل عته، قارن بالعربية أتع، أي «جاء»). ولعلّ الأصحّ أن يقارن الفعل عته هنا بالفعل العربي أتا (أتت الشجرة، أي طلع ثمرها وكثر حملها). وفي العربية كلمة إتاوة، بمعنى «المحصول»، وأتو بمعنى «العطاء»، الخ. ومن الواضح أن الفعل العربي يفيد معنى التموين. وفي حالة عتت الواردة في النقش، فإن هذا المعنى للكلمة موحى به بوضوح من خلال الفعل الذي يليها، وهونتن، أي «أعطى».

٥- إن لء نره عت عزقه تعني «نحن لا نستطيع أن نرى عزقة». ومسألة استطاعة رؤية عزقة ليس هي المسألة هنا. وما يقوله النص الأصلي ما هو إلّا إقرار بواقع: «نحن لا نرى عزقة».

٦- إن عزقه هي حتماً إشارة إلى البلدة التوراتية التي تحمل هذا الاسم. وفي إطار النص، لا يستبعد أن يشير الاسم إلى شخص.

وبناءً على هذه الملاحظات، فإن الجملة بكاملها من النقش تحتاج إلى إعادة ترجمة كالتالي: «ليعرف (مولاي) أننا ننتظر حمولات الطعام، وكذلك كل الإتاوات التي أعطاها مولاي، لأننا لا نرى عزقة». ويبدو أن هوشعيه ورجاله كانوا قد وعدوا بتزويد بالطعام وبتموين آخر من قبل ياوش، يجلبه اليهم رجل اسمه عزقة. وهنا يقول هوشعيه إنه ورجاله ما زالوا ينتظرون هذا التموين، نظراً لأن عزقة لم يصل اليهم بعد. والواضح هو أن النقش الذي نحن بصدده لا يتحدث إطلاقاً عن «إشارات» عسكرية صادرة من «لاخيش» التوراتية، ولا هو يذكر بأي شكل من الأشكال اسم «لاخيش» هذه كما هو الافتراض السائد إلى اليوم.

وقد يُعذر الباحثون التوراتيون إن هم التبسوا بأمر كلمتي لكس وعزقه الواردين في النقش الرابع من نقوش تل الدوير، على أنها «لاخيش»

و«عزقة» التوراتيين. أما بالنسبة إلى النقش السادس، فليس لهؤلاء الباحثين أي عذر في افتراضهم بأن النقش المذكور يتحدث عن «أورشليم». وفي هذا النقش الذي وجد مكسوراً وناقصاً، هناك بقايا جملة تقرأ كالتالي: «دني هلء تكتبء ه تعمسو كزءء سلم. والترجمة الأمينة لبعض الجملة هذا (إذا كان الكلام بالفعل جملة واحدة في الأصل) لا تعود إلا إلى المعنى الآتي: «مولاي، ألا تكتب..... فعلت هكذا.....سلم». وعلى ذلك، فإن الترجمة المقبولة لها تأخذ لنفسها حرية ملء الفراغات بطريقة تبرر قراءة سلم الأخيرة هذه باعتبارها الأحرف الساكنة الثلاثة الأخيرة من الكلمة العبرية يروشليم، أي «أورشليم». والترجمة، وهي مرة أخرى من عمل و. ف. ألبرايت، تقول بكل صفاقة: «والآن، مولاي، هل لك أن تكتب لهم قائلاً، لماذا فعلتم هكذا حتى بأورشليم؟» إن مثل هذه الترجمة الاعتباطية لا يجوز السماح بها حيث هناك أقل احترام للأمانة العلمية. والحقيقة الساطعة هي أن النقش الذي نحن بصدد هنا، إلى الحد الذي هو مقروء، لا يتحدث إطلاقاً عن «أورشليم».

والمسألة هنا ليست مسألة كيفية اندراج نقش تل الدوير عملياً في تاريخ فلسطين أو في تاريخ اليهود في فلسطين. وهذا الكتاب لا ينكر أن يهوداً عاشوا في فلسطين في أيام التوراة. وجلّ ما يجادل الكتاب فيه هو أن اليهودية ولدت في غرب شبه الجزيرة العربية، وأن أرض الشعب التوراتي البائد المعروف ببني اسرائيل كانت هناك، وليس في فلسطين. ويلاحظ أن إحدى المنقوشات التي يمكن تصنيفها على أنها فلسطينية قد تبدو، في الظاهر، مناقضة لهذا الرأي. وهذه هي ما يسمى «الحجر الموابي» الذي اكتشف أول ما اكتشف في المرتفعات الأردنية الواقعة شرق البحر الميت في العام ١٨٦٨، والموجود الآن في متحف اللوفر بباريس. والكتابة المطولة المنقوشة على هذا الحجر لها علاقة مباشرة بالتاريخ التوراتي، إذ أنها تتحدث عن أمور تتعلق بنص الملوك الثاني ٣: ٤. لكن القراءة

الصحيحة لهذه الكتابة لا تنقض إطلاقاً المقولة الجغرافية لهذا الكتاب بل تعززها بمزيد من الشواهد كما سيظهر.

في هذا «النقش الموابي» يتحدث ميشع ملك مواب (مسع ملك مءب) عن حروبه مع عمري ملك اسرائيل (عمري ملك يسرءل) و«أبنة» من بعده (وهو أخاب بن عمري الذي لا يذكره النقش بالاسم). وبسبب الغزوات المتتالية الذي تعرضت لها أرض مواب في هذه الحروب، اضطرّ ميشع الى الجلاء عنها. فانتقل مع اتباعه من مواب إلى قرحه (لعلها اليوم جحرا، من قرى الكرك في المملكة الأردنية) حيث أقام لنفسه عاصمة جديدة. وبهذه المناسبة أقام ميشع الحجر الذي كتب عليه النقش. ولهذا، فإن «الحجر الموابي» هو في الحقيقة «حجر قرحه»، أو «حجر جحرا»، إذا صح أن قرحه هي اليوم جحرا)، إذ إن ميشع لم يكن يقيم في مواب عندما أقامه.

وليس هناك في «الحجر الموابي» ما يشير إلى أن «مواب» كان اسماً قديماً لمرتفعات الكرك شرق البحر الميت (أي لما سمّاه العرب ببلاد الشرة)، أو إلى أن مملكة اسرائيل كانت تقع في فلسطين. وإذا نحن أعدنا قراءة النقش بنصّه الأصلي، وليس من خلال الترجمات التي أجريت له حتى الآن (مثل ترجمة و. ف. ألبرايت الى الانكليزية)، يصبح من الواضح تماماً أن الحروب التي جرت بين اسرائيل ومواب، والتي يتحدث عنها النقش، إنما جرت في الحجاز، وليس في شرق الأردن، وأن مملكتي اسرائيل ومواب، بالتالي، كانتا متجاورتين في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس في جنوب الشام. وفي ما يلي بعض الأدلة على ذلك:

١ - في الكلام عن الهجوم الأول على مواب، الذي قام به «أتباع» الملك عمري، ملك اسرائيل (في الأصل سنءي(م)، والمفرد سنءي، قارن بالعربية ثنوي، و«الثنوي» في العرف القبلي هو دون منزلة «السيد»، يصف النقش مواب بأنها بمن ربن، وبقراءة بمن كجمع لـ يم

بمعنى «يوم»، وقراءة ربن كجمع للصفة رب بمعنى «عديد»، أخذ المترجمون حتى الآن تعبير ربن على أنه يعني «أياماً عديدة»، وهي ترجمة لا تتفق تماماً مع المعنى العام للنص. والواقع هو أن التعبير يشير ببساطة إلى أن موآب كانت تقع «جنوب ربن». والمكان الوحيد في الشرق الأدنى الذي ما زال يحمل الاسم ربن هو قرية رابن في الحجاز، بالقرب من بلدة رابغ. وكما سيذكر في الفصل ٧، الهامش ٥، فإن موآب التوراتية قابلة للتعريف اليوم بالاسم بكونها قرية أم الياب (عم ياب) في وادي أضم. وأم الياب هذه تقع عملياً إلى الجنوب من بلدة رابغ، ومنها ربن ربن أي «جنوب رابن».

٢ - ميشع لا يصف نفسه في النقش بأنه ملك موآب فحسب، بل أيضاً بأنه ديبني، أي بأنه من ديبين. والديبان (ديبن) هي اليوم قرية في منطقة الطائف، غير بعيدة عن أم الياب. وحتى اليوم كان قرأ «الحجر الموآبي» قد افترضوا بأن ديبين هي القرية الحالية ذيبان، إلى الشمال من منطقة الكرك في المملكة الأردنية، ومن المحتمل أن ذيبان الشامية هذه قد سميت بهذا الاسم تيمناً بديبان الحجاز، بعد أن كان ميشع وأتباعه الهاربون من الحجاز قد وصلوا إلى ذلك الجوار ليستقروا فيه.

٣ - هناك في النقش جملة تقرأ: ويرس عمري ك... ص [كل هـ - عرص؟] مهذب. وقد أخذت هذه الجملة حتى الآن على أنها تشير إلى احتلال عمري ملك إسرائيل لبلدة مادبا في شرق الأردن. ولو كانت مادبا (مدب) هي المعنية حقاً هنا لما كتبت مهذب، نظراً لأن حرف الهاء الذي يتوسط الكلمة لا يسقط عادة من اللفظ في اللغات السامية. وما تقوله الجملة فعلاً هو: «وعمري احتل كل الأرض من هذب (كل هـ - عرص م - هذب)، أي جميع أرض موآب ابتداءً من هذب. وهذب هذه هي اليوم قرية الهذبة، شمال أم الياب، في مرتفعات الطائف المشرفة على وادي أضم.

٤- في أجزاء من النقش ترد لفظة قر باعتبارها كلمة تعني «قرية»، ولفظة كمس على أنها كموش، اسم إله موآب. وفي أجزاء أخرى، تظهر كل من قر وكمس بشكل مميز على أنها اسمان لبلدتين أو قريتين متجاورتين في أراضي موآب. وقرينا القَر (قر) وقَماشَة (قمش) ما زالتا هناك إلى اليوم في الجزء نفسه من مرتفعات الطائف حيث تقع الهُدْبَة.

٥ - بين أسماء الأمكنة الأخرى الواردة في النقش، هناك سرن وهي اليوم شريان (شرن)، ومحرت التي هي المحرت (محرت)، ونبه التي هي النبة (نبه)، ويهص («ياهص» التوراتية) التي هي الوَهْسة (وهس)، وكلها قرى في مناطق متجاورة من جنوب الحجاز، وهي وادي أضم ومرتفعات الطائف وبلاد زهران.

إذن لا يمكن للحروب بين ميشع وملوك اسرائيل، كما رويت في «الحجر المואبي»، أن تفسر جغرافياً في إطار فلسطين وشرق الأردن، ولا يمكن تفسيرها إلا في إطار غرب شبه الجزيرة العربية، مما يقدم دعماً مضافاً إلى الأطروحة التي يعرضها هذا الكتاب. والواضح من القصة التي يرويها نقش ميشع أن هذا الملك المואبي كانت مملكته الأصلية في الحجاز، وقد اضطر للجوء عنها بعد أن عانى الهزائم المتكررة فيها على أيدي عمري ملك اسرائيل وابنه آخاب، فاقام لنفسه مملكة جديدة في شرق الأردن لم تكن أراضيها تسمى موآب، وعلى الأقل هي لم تسم كذلك في النقش الذي يروي القصة. وهنا، وعلى بعد آمن من خصومه الاسرائيليين في جنوب الحجاز، أصبح هذا الملك «صاحب المواشي» (كما تصفه التوراة العبرية) قادراً على الازدهار مرة أخرى، وعلى استملاك مراعي جديدة في أرض حرن (أي حوران) لما كان لديه من بقرن (أبقار) ومع (ز) (ماعز) وصرعن (ضان، أو أغنام). وحتى الآن، كان قرآء منقوشة ميشع غاية في التشوش حول تفسيرها، إلى درجة أنهم أخفقوا في التعرف إلى هذه الكلمات الثلاث الأخيرة، كما تظهر في المنقوشة، بما

تعنيه في الواقع. وفي حين أن كلمة بقرن هي بوضوح بقر، بصيغة الجمع المذكور، فقد قرأوها على أنها ب- قرن التي معناها «بقرى». أما الكلمتان معز و صء فقد حذفنا كلياً من الترجمة بسبب سوء التأويل العام للإطار الذي وردت فيه هاتان الاشارتان الصريحتان الى الماعز والأغنام.

إن الافتراض بأن أرض التوراة العبرية كان فلسطين لم يؤد الى تشويش الموضوع في حقل علم الآثار الفلسطيني وفي قراءة المنقوشات الكنعانية والمنقوشات الأخرى التي عثر عليها في فلسطين وتأويلها وحسب، بل هو فرض أحكاماً مسبقة على دراسة كل نصوص الشرق الأدنى القديمة الأخرى التي تتعلق بتاريخ التوراة بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر. والجداول الطوبوغرافية المصرية القديمة الخاصة بـ «غرب آسيا» هي احدى هذه الحالات. وفي الفصل ١١ سيجري بحث محتويات أحد هذه الجداول لإيضاح كيف أنها تتعلق عملياً بغرب شبه الجزيرة العربية وليس بفلسطين والشام والعراق، وهو ما أخذ حتى الآن كأمر مسلم به. وليست الجداول الطوبوغرافية المصرية الأخرى وحدها هي التي تورد أسماء أماكن توراتية، بل إن الجداول الطوبوغرافية الاشورية والبابلية، مثل جداول آشور بانيبال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ قبل الميلاد)، وشلمانصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ قبل الميلاد)، وسرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ قبل الميلاد)، تقدم هي أيضاً سجلات للفتوحات في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس في الشام.

ولإعطاء مثال واحد لا أكثر، فانه في الأسطر الأولى من جدول سرجون الثاني، يصف هذا الملك الآشوري نفسه بأنه «فاتح سا - مي - ري - نا (سمرن) وبيت - خو - ءم - ر - يا (خمري)». وقد ساد الاعتقاد حتى الآن أن الإشارة في هذين الاسمين هي إلى «السامرة» (شمرون بالعبرية) و«بيت» عمري ملك اسرائيل (عمري بالعبرية). وقد كانت مملكة عمري الاسرائيلية بالتأكيد في جنوب الحجاز، أي في عسير الجغرافية، كما سنوضح في الفصل ١٠، و«السامرة» ما زالت هناك

وتدعى شمران، باسمها في صيغته التوراتية الأصلية بلا تغيير (انظر الفصل ١٠). لكن الإشارة في جدول سرجون الثاني ليست إلى «السامرة» و«بيت عمري» بل إلى منطقة جيزان، حيث ما زالت توجد قرية في جبل هروب اسمها الصُّرْمَيْن (سمرن في جدول سرجون)، وقرية أخرى اسمها الحمراية (خمرى في جدول سرجون) في وادي عقاب بناحية أبي عريش. والنص الذي يلي، والذي يورد أسماء أمكنة كثيرة أخرى، يشير إلى أنه لا بد أن يكون سرجون الثاني قد فتح كل عسير الجغرافية، أي كل أراضي غرب شبه الجزيرة العربية الواقعة بين الطائف وحدود اليمن. وعلى سبيل المثال، فإنه في منطقة جيزان «طاردمي - تا - ءا، ملك موس - كو». وموس - كو (مسكو) هي اليوم قرية مُسَقو، في ناحية العارضة شرق أبو عريش. وفي رجال المَع قام بـ «نهب أس - دو - دو» التي هي اليوم قرية السدود. وفي النهاية الشرقية لوادي نجران «اقتنص اليا - ما - نو في اليا - مو كالسَمَك». والإشارة هنا هي إلى «اليمنيين» أي «شعب الجنوب» («البنيامينيون» التوراتيون، أو «بنويامن» في الشعر العربي القديم) الذين لم يعيشوا في «البحر» (يم)، بل في بلاد يام (يم أيضاً)، بين وادي نجران ورمال الربع الخالي. وفي منطقة الطائف، «هزم» مو - صو - ري (مصر) ورا - في - خو (رفع)، اللتين هما اليوم آل مصري والرفخة. وكذلك فقد «أباد كل تا - با - لي»، التي هي اليوم وادي تَبالة، من روافد وادي بيشة، وخي - لأك - كو (خلك)، التي هي اليوم الخليق (خلق)، في منطقة الطائف. وفي مكان قريب «أعلن كون هان - نو، ملك خا - زا - أت - آ - آ غنيمة». وحتى الآن، أخذت خا - زا - أت - آ - آ على أنها «غزة» (عزه بالعبرية)، وهو ما لا يمكن أن يستقيم بقدر عدم استقامة خو - ءم - ر - يا على أنها عمري (عمري). ونظراً إلى أن العين لا تفرق عن الهمزة في الكتابة المسمارية المقطعية، لا بد أن تكون الإشارة هنا إلى قبيلة من غرب شبه الجزيرة العربية القديم، هي قبيلة خُزاعة (خزعت) التي ما زالت بقاياها موجودة

في موطنها الأصلي في جنوب الحجاز (الجوار العام لمكة المكرمة والطائف). وعلى بعد حوالي ٢٠٠ كيلومتر إلى الجنوب من أراضي خزاعة هذه (أي «على مسافة سبعة أيام» كما جاء في المنقوشة) «أخضع (سرجون الثاني) سبعة ملوك من بلاد عي - ياء» (عيء، أو عيء)، التي هي اليوم وادي عياء، من روافد وادي ابن هَشْبَل على الجانب البحري من عسير. وبوجود جميع هذه الأسماء الواردة في جدول سرجون في غرب شبه الجزيرة العربية، وهي ما زالت قائمة، وبلا أي تغيير فيها كما هي الحال، أي سبب يبقى للإصرار على الاعتقاد بأن هذا الجدول يشير إلى فتوحات آشورية في الشام وفلسطين، حيث لا يمكن العثور على أي من هذه الأسماء؟

وبالإضافة إلى الجداول الطوبوغرافية المصرية والآشورية والبابلية، فإن هناك سجلات قديمة أخرى للشرق الأدنى تورد أسماء أماكن توراتية، والأهم بين هذه السجلات ما يسمى «رسائل العمارنة». وهذه عبارة عن لوحات مسمارية تعود بتاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد اكتشف أولها في مصر في العام ١٨٨٧. وهذه اللوحات التي كتبت بأكادية محرفة، وأحياناً بالكنعانية، تفيد عن مشاكل كان يواجهها عملاء الحكومة المصرية مع الزعماء المحليين لبعض المقاطعات الآسيوية، التي ساد الاعتقاد حتى الآن بأنها من الشام وفلسطين. والواقع أن بعض أسماء الأماكن المفردة الواردة في رسائل العمارنة تطابق فعلاً أسماء أماكن موجودة في فلسطين وفي غرب شبه الجزيرة العربية في آن معاً، وأبرز هذه الحالات تلك المتعلقة بـ آكا (عكّا) ويافو (يافا). أما إذا أخذت أسماء أماكن العمارنة جماعياً، فإنها لا تندرج عملياً إلا في غرب شبه الجزيرة العربية. وفي ما يلي أمثلة على أسماء الأماكن هذه، والأمثلة تقتصر فقط على الأسماء التي استمرت في الوجود في جنوب الحجاز وفي عسير بالصيغة الأصلية لأحرفها الساكنة من دون أن يطرأ عليها أي تغيير:

- ١ - أدورو (عدر أو عدر): العذرا في رجال ألمع، العَدْرَة في بني شهر.
- ٢ - آكّا (ءك أو عك): العكّة قرب النماص، عُكوة في منطقة جيزان.
- ٣ - أكشف (كشف): الكَشَفَة قرب جدة، الكشف في رجال ألمع.
- ٤ - أفيرو (عفر أو عفر): العفراء قرب النماص، عفراء في وادي أضم، عفراء في منطقة الطائف، وأيضاً قبيلة العفير أو العفارية.
- ٥ - أرارو (عرر أو عرر): عَرار في منطقة جيزان، العرارة قرب ظهران الجنوب.
- ٦ - أَرَاتِي (عزت أو عزت): آل عَزَة في بلحمر، العَزَة في المجاردة.
- ٧ - بورقونا (برقن): البرقان قرب خميس مشيط، البرقان في بني شهر، آل بُرقان في منطقة جيزان.
- ٨ - بوروزيليم (برزلم، والظاهر بر زلم): براء (بسر) في رجال ألمع، المعرفة بكونها تلك الواقعة في أراضي بني ظالم (ظلم) في المنطقة نفسها، تفريقاً لها عن بر أخرى (هي اليوم ذي بر) في مكان أبعد شمالاً.
- ٩ - جارو (جر): الجرو (جر) في سراة عبيدة، جراء في رجال ألمع، آل الجرّ (قريتان بنفس الاسم) في رجال ألمع.
- ١٠ - جزري (جزر، قارن مع «جازر» التوراتية): الغَزَر في وادي أضم، الغَزَرَة في منطقة جيزان، غزير في مرتفعات غامد.
- ١١ - جي - ءم - تي (جمت): الغماط (غمط) في منطقة جيزان. الجَمّة (جمت) في بني شهر، جَمّة قرب غُميقة في ناحية الليث.
- ١٢ - جِنْتِي كِرْمِل (جنت كرمل): جناة، وهي منسوبة هنا إلى جبل كِرْمِل (انظر الفصل الأول)، وكلاهما في منطقة جيزان.

١٣ - جُبَلَا (جبل): مترافقة مع بوروزيليم (رقم ٨) في التقرير نفسه، ولا بدّ أن جُبَلَا هذه هي اليوم قُبَلَة في رجال ألمع، وليس قبله في منطقة قنا والبحر التي هي، في كل الأحوال، محاذية لرجال ألمع.

١٤ - هَارَابُو (هرب): هَرُوب (جبل هَرُوب، أو هَرُوب الملقا) في منطقة جيزان.

١٥ - خَازَاتِي (خزت أو خزعت التي اعتبرت خطأ حتى الآن تفريعاً لِـ أَرَاتِي، أو غَزَة، مع العلم أن أَرَاتِي هي آل عَزَة): هي الاسم القبلي خَزَاعَة (خزعت)، من غرب شبه الجزيرة العربية، والاسم ذاته يرد في جدول سرجون الثاني الطبوغرافي على شكل خا - زا - أت - آ - آ (أنظر أعلاه).

١٦ - مَجْدَلُو (مجدل): في إطار ما ورد يجب أن تكون الإشارة هنا إلى القرية الحالية المجدل في ناحية تنومة القريبة من رجال ألمع، وليس أياً من الأماكن العديدة الأخرى التي تحمل الاسم نفسه.

١٧ - مَجْدُو (مجد، قارن مع «مَجْدُو» التوراتية التي لم يعثر عليها إطلاقاً في فلسطين بهذا الاسم، خلافاً للاعتقاد السائد): إطار الكلام يوحى بأن مجدو هذه بالذات هي مَقْدِي أو مَقْدِي (مقد) الحالية في منطقة القنفذة، وليست المَغْدَة (مغد) قرب الطائف، التي هي أيضاً مجدو.

١٨ - مِشْقُو (مشق): إطار الكلام يشير إلى المشقا في رجال ألمع، وليس إلى المشقة في وادي أضم.

١٩ - مَحْزَو (محز): المحظي قرب ظهران الجنوب، أو إحدى قريتين تسميان محضة في منطقة نجران، على أن إطار الكلام يشير إلى قرية آل مُزَاح (مزح، بالاستبدال) في رجال ألمع.

٢٠ - فَيْلَا (فل أو فلل): الفلل في وادي أضم، الفيل (فل) في منطقة القنفذة، الفيل في بَلْسَمَرُو بَلْحَمَر.

٢١ - قَنُو (قن): قَنَا (قن) في منطقة قنا والبحر.

٢٢ - ريموني (رمن): الريمان في بلّحمر، الرّمان قرب الطائف، والأرجح أنها الأولى.

٢٣ - سيلبي (سل): إطار الكلام يشير إلى السيول، في منطقة قنا والبحر، وليس إلى سيال في منطقة القنفذة.

٢٤ - سوتو (ست): آل صُوت (صت) في منطقة جيزان، إلا إذا كانت الإشارة هنا إلى قبيلة السواطى (والمفرد ساطي) بجوار مكة المكرمة، أو قبيلة سوطه في منطقة الطائف.

٢٥ - شي - عي - ري (شعر): الشّعراء (شعر) في منطقة جيزان.

٢٦ - شوناما (شنم): سنومة في رجال ألمع.

٢٧ - أودومو (عدم): الأرجح هنا أنها وادي أدمة في منطقة بيشة، وليس وادي إدام جنوب مكة المكرمة، أو وادي إيدمة شمال وادي نجران.

٢٨ - أوروساليم (عرسلم أو عر سلم): حول تعريفها المقترح بـ «أورشليم» التوراتية، أو يروشليم، باعتبارها آل شريم الحالية قرب النماص، انظر الفصل ٩. وأوروساليم هنا يحتمل أن تشير إلى القريتين التوأمتين أروى (عرو) وآل سلام (سلم) قرب تنومة، جنوب النماص، حيث تنسب أروى هنا إلى آل سلام المجاورة تفريقاً لها عن مكان آخر في الناحية ذاتها يحمل الاسم نفسه، وهو قرية آل عمر أرواء.

٢٩ - يافو (يف): وفيه في منطقة جيزان، الوافية قرب خميس مشيط.

٣٠ - زَرَقُو (زرق): الزرقاء أو الزُّرقة في منطقة جيزان.

وهذه كلها ليست، بشكل من الأشكال، أسماء الأماكن الوحيدة في

رسائل العمارة الموجودة الى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية، بل هي فقط تلك التي حافظت، بأحرفها الساكنة، على التهجئة نفسها التي أعطيت لها في لوحات العمارة. أضف إلى ذلك أن الطريقة التي جمعت بها هذه الأسماء في تقارير معينة توضح كيف أن مجموعات مختلفة من رسائل العمارة تتحدث عن مناطق مختلفة في غرب شبه الجزيرة العربية حصراً دون غيرها، إذ منها ما يتحدث عن مناطق شمالية، ومنها ما يتحدث عن مناطق جنوبية أو داخلية، وبهذا فإنها تقدم مغزاها الجغرافي في إطار غرب شبه الجزيرة العربية كاملاً.

وفي جميع الأحوال، تبقى القصة هي نفسها دوماً: لقد أخذت هذه المنقوشات والسجلات القديمة على أنها تتعلق بفلسطين لأنها تورد أسماء أمكنة توراتية (وهذا صحيح)، ولأنه يعتقد بأن أسماء الأمكنة التوراتية تخص فلسطين (وهذا خطأ). وكلما أعيد تفحص هذه السجلات القديمة ظهر أنها بدلاً من ذلك تتعلق بغرب شبه الجزيرة العربية، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للتوراة العبرية نفسها. وربما كان الوقت قد حان لإعادة دراسة هذه السجلات، جنباً إلى جنب مع دراسة التوراة العبرية، في هذا الضوء الجديد.

٦- تهامة في التوراة

إن رسم مشهد شبه الجزيرة العربية الخاص بالتوراة العبرية لا يحتاج إلى تحديد نقطة معينة للانطلاق، ولا إلى اختيار نماذج معينة من الطبوغرافيا التوراتية لدراستها، فكل الدلائل، من سفر التكوين إلى سفر ملاخي، تشير إلى الاتجاه نفسه. وفي الفصول السابقة جرى التلميح إلى أن أرض يهوذا التوراتية تضمنت البلاد الهضبية الوعرة في الجانب البحري من مجال عسير، التي تنتهي بالصحراء الساحلية المسماة تهامة^(١). وما يمكن عمله كبداية هو إيضاح كيف أن تهامة هي في الواقع تهوم المشار إليها بالاسم أكثر من ٣٠ مرة في النص التوراتي. وعند البرهان على هذا يكون قد تم تثبيت حقيقة قد تفيد كقاعدة جيدة للجغرافيا التوراتية ككل.

من الناحية البنيوية، ليس اسم تهامة (تهم بلا تصويت) اسماً عربياً. لكنه مشتق من جذر عربي هو هيم (المصوّت هَامَ)، بمعنى «عطش». ومنه «الهَيَام»، وهو «اشدّ العطش». وأحد الاشتقاقات العربية من هذا الجذر هو المصدر هَيَام (بفتح الهاء) الذي يشير إلى «ما لا

(١) حول مناقشة مسألة يهوذا التوراتية انظر الفصل ٨. أما بالنسبة إلى الاسم تهامة، فهولا يطلق اليوم فقط على الساحل الصحراوي للبحر الأحمر من شبه جزيرة العرب، بل أيضاً على كامل المنحدرات الغربية البحرية من الحجاز وعسير واليمن، وهي في عرف الجغرافيين العرب «جبال تهامة».

يتمالك من الرمل». وهناك «الهياء»، وهي «الفلاة بلا ماء». وتربة تهامة الساحلية، التي تمتد على طول غرب شبه الجزيرة العربية بأسرها، هي المثل الساطع على معنى «الهيام» و«الهياء». وسواء في الحجاز أم في عسير أم اليمن، نجد أن مياه الأمطار التي تنحدر من المرتفعات باتجاه الساحل عبر عدد لا يحصى من جداول الوديان الموسمية أو الدائمة، تتلاشى في هذه التربة الساحلية الراشحة قبل الوصول إلى البحر، مخلفة وراءها آثارها على شكل مثلثات جافة تنتهي عند حد الشاطئ.

بالعربية، كان لاسم الصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية أن يكون «الهياء». أما اسمها الفعلي، تهامة، فهو استمرار في الوجود لمصطلح تهوم المثبت في التوراة^(٢). وكما تظهر في التوراة، فإن تهوم هي اسم الفعل أو المصدر المؤنث من هوم (قابل بالعربية هيم)^(٣)، والتاء في بداية الاسم هي الضمير المتصل المؤنث المفرد للغائب. وهذا الضمير، وكذلك الضمير المتصل المذكر المفرد للغائب، وهو الياء، يدخل في تركيب أسماء العلم، ومعظمها على ما يبدو من أسماء الأماكن والقبائل، مثل تدمر، وتغلب، وتنوخ، ويثرب، وينع، ويكرب، وجميعها أسماء جغرافية أو قبلية مشهورة في العرف العربي^(٤).

وفي حين أن المختصين بالعبرية التوراتية كانوا قد وجدوا دوماً في اللفظة العربية «تهامة» المثل للفظه تهوم التوراتية^(٥)، فقد شاع القول

(٢) ان التصويت المعتمد بالعبرية للفظه تهوم هو من التقليد السوري . ويمكن أن يكون قد كان للكلمة في الأصل تصويت مختلف أقرب إلى التصويت العربي للفظه تهامة .

(٣) إن الحرفين شبه الصوتيين الواو والياء يستبدلان فيما بينهما، أحدهما بالآخر، في اللغات السامية .

(٤) يصعب التفريق عملياً بين الأسماء الجغرافية وتلك القبلية، نظراً لأن القبائل تحمل في العادة أسماء مواقعها .

(٥) الشكل العربي الحالي لـ تهوم، وهو تهامة، يشدد على أن الاسم هو مؤنث بإضافة لاحقة التأنيث، كما لو قيل تغلبة بدلاً من تغلب، أو تدمرة بدلاً من تدمر .

بأن اللفظة في العبرية مشتقة من مصدر محات هو تهوم، وأنها تعني «الغمر» أو «اللجّة» أو «المحيط الأقدم» أو «المياه الجوفية». والواقع أن تهوم، كمصدر بهذا المعنى، لا وجود له في أي نصّ ساميّ قديم. وكما أن اللفظة العربية «تهامة»، التي هي اسم جغرافي لا يحمل أداة التعريف العربية «أل»، فإن اللفظة العبرية تهوم لا ترد في أي مكان في النصوص التوراتية مرفقة بأداة التعريف العبرية هـ (التي تصوّت تقليدياً ها). وقواميس العبرية التوراتية تشير إلى هذا الواقع دون أن تقدّم له تفسيراً، مثله مثل أمور كثيرة أخرى، بسبب عدم توفر المعرفة الضرورية بشأنه. والتفسير هو طبعاً أن تهوم التوراتية، مثلها مثل تهامة العربية، ليست اسم نكرة يمكنه أن يأخذ أو أن لا يأخذ أداة التعريف، بل هو اسم جغرافي لا يحمل أداة التعريف أصلاً. والواقع أن جميع الأسماء الجغرافية والقبلية العربية المبنية على وزن «يفعل» أو «تفعل» (انظر أعلاه) لا تحمل أداة تعريف. ولو كانت تهوم اسم نكرة يعني «العميق»، أو مهما افترض خطأ أنها تعني، لكانت ما اقتصر على الظهور فقط بصيغة النكرة تهوم، بل أيضاً بصيغة المعرفة هـ. تهوم حيث يتطلب إطار الكلام هذه الصيغة، وهي ليست الحالة في أي مكان من التوراة.

عملياً، ان تهوم تعطي معناها الأفضل، حيث ترد في التوراة العبرية، بكونها الاسم السامي القديم للأراضي الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية التي تسمى اليوم تهامة. وورود الاسم في بعض الجمل التوراتية في صيغة الجمع المؤنث (تهوموت أو تهموت أو تهمت بالأحرف الساكنة وحدها)^(٦) يشير إلى أمرين: الأول هو أن تهوم كانت تعتبر اسماً مؤنثاً (إذ إن تاء البداية فيها هي ضمير تأنيث، كما لوحظ سابقاً)، والثاني هو أن تهوم التوراتية، مثلها مثل تهامة العربية، لم تشر إلى إمتداد مفرد

(٦) ليس بالضرورة أن تكون التاء النهائية في تهمت لاحقة جمع مؤنث بل قد تكون أيضاً لاحقة تأنيث مفرد، كما في اسم تهامة بالعربية.

مستمر للصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية، بل إلى أشرطة مختلفة من هذه الصحراء، يعرف كل منها باسم فرعي استناداً إلى موقعه المعين. وهناك اليوم تفريق واضح بين تهامة الحجاز، وتهامة عسير، وتهامة اليمن. وربما هناك تفريقات إضافية بحسب الاسم بالنسبة لكل من هذه الـ «تهامات» الثلاث في المصطلح الجغرافي المحلي لكل منطقة. ولا شك في أن الأمر نفسه كان متبعاً في أيام التوراة.

ولأن تهوم، كما تظهر في التوراة العبرية، لم تعرّف حتى الآن بكونها اسماً جغرافياً كما هي في الواقع، فإن جميع المقاطع التوراتية التي يظهر فيها الاسم، سواء بصيغة المفرد أم بصيغة الجمع، قرئت خطأ، وترجمت بالتالي خطأ. وكمثال أول، ندرج هنا الترجمات المعتمدة في العربية لـ «البركات» التي أسبغها على قبيلة يوسف الاسرائيلية كل من اسرائيل (وهو يعقوب ابو الأسباط) وموسى. وهذه الترجمات مأخوذة من الكتاب المقدس الذي ترجم الى العربية من اللغات الأصلية بإشراف «جمعية التوراة الأميركية» و«جمعية التوراة البريطانية والأجنبية»، وهو أوسع ترجمة للكتاب المقدس انتشاراً في العالم العربي:

آ - يباركك (يركك)، تأتي بركات السماء من فوق (بركت شميم م - عل)، وبركات الغمر الرابض تحت (بركت تهوم ربصت تحت)، بركات الثديين والرحم (بركت شديد ورحم) (سفر التكوين ٤٩: ٢٥).

ب - مباركة من الرب أرضه (مبركت يهوه أرضه) بنفائس السماء بالندى (م - مجد شميم م - ظل) وباللجة الرابضة تحت (م - تهوم ربصت تحت) (٧).

(٧) الميم التي هي حرف الجر «من» في م - مجد و م - تهوم اربكت المترجمين لهذا النص في جميع اللغات. وقد ترجمت إلى العربية على أنها حرف جر آخر هو الباء، وفي ذلك تحوير جذري للمعنى، لأن الباء كحرف جر تفيد معنى معاكساً تماماً للمعنى الذي تفيد «من».

ويبدو أن قبيلة يوسف شغلت أرضاً تقع في وادي أضم وجواره، في المرتفعات المطلّة على صحراء تهامة الساحلية قرب بلدة الليث (وهي ليش التوراتية، انظر الملحق). وفي هذا المكان توجد حتى اليوم قرى تسمى رَكّة (رکه، أوركّت)، والريضة (ربضت بلا تصويت، قارن مع ربضت) والثديين (قارن مع شديد بالعبرية)، والرحم (رحم)، والبركة (برکه، أوبرکت)، والمقّدة، وهي شعيب المقدّة، (قارن مع مجد)، وكذلك مجموعتان من القمم التوائم، كل منهما تسمى السماين (سمين، قارن من شميم بالعبرية التي تصوّت شمائم). وإذا أخذت أسماء الأماكن هذه في الاعتبار، وأعيدت قراءة مجموعتي «البركات» التي أسبغت على قبيلة يوسف على ضوء أسماء الأماكن هذه، من دون الالتفات إلى التصويت السُوري، يتبيّن أنها لا تتعلق عملياً بـ«بركات»، بل بتحديدات لأراضي القبيلة أو الأراضي التي كانت تدّعيها لنفسها:

آ - سوف ينزلك (يبركك) في رَكّة السماين من أعلى (ب - ركت شميم م - عل)، في رَكّة تهامة الربيضة من أسفل (ب - ركت تهوم ربضت تحت) في رَكّة الثديين والرحم (ب - ركت شديد و - رحم).

ب - من البركة تكون أرضه (م - برکت يهوه ءرصو)، من مقّدة السماين (م - مجد شميم)، من القمة (م - طل)^(٨)، ومن تهامة الربيضة من أسفل (و - م - تهوم ربضت تحت).

والقرية الصغيرة المسماة رَكّة اليوم، والتي يبدو أنها كانت الموطن الرئيسي لقبيلة يوسف في وادي أضم في أيام التوراة، معرّفة في «البركة» الأولى بالنسبة إلى قمم السماين وقرى الربيضة والثديين والرحم، مع إشارة إلى وجود السماين والربيضة في أعلى الهضبة وأسفلها على التوالي،

(٨) قابل «تل» في العربية، بمعنى الأكمة أو المرتفع. وربما كانت الإشارة هنا إلى إحدى قمم جبال السماين.

ومع وجود الربيضة في أراضي تهامة . وفي «البركة» الثانية يشار إلى حدود أراضي يوسف الداخلية بأنها قريتا البركة والمقدّة المجاورتان للسمارين (حيث هناك قرى أخرى تحمل الاسمين نفسيهما في غرب شبه الجزيرة العربية)، وإلى الحدود الساحلية بأنها صحراء تهامة قرب الربيضة.

ولعل هنالك تلاعباً بالكلمات في كل من هذين التحديدين لأراضي قبيلة يوسف . وكثيراً ما تحاول النصوص التوراتية أن توحى معاني لأسماء الاعلام والأماكن عن طريق مثل هذا التلاعب الكلامي، خصوصاً في الأسفار التي تعالج فترات ما قبل التاريخ، والتي تعنى بالأساطير أكثر من واقع الأحداث . والتلاعب في الفقرتين اللتين هما قيد البحث هنا قد يكون بالكلمات التالية :

١- ييركك : فعل برك في العبرية يفيد معنى «البركة»، ويفيد أيضاً معنى «الركوع» (وفي العربية «الاستناخة»). ويقال بالعربية «برك بالمكان» أي «ثبت وأقام به» . ييركك بالعبرية، إذن، قد تعني «يباركك» أو «ينزلك»، أي «يجعلك تثبت وتقيم» .

ب - بركت : المعنى هنا قد يكون «بالركة» إذا قرئت الباء على أنها حرف جر . وقد يكون «بركة» إذا اعتبرت الباء جزءاً من الكلمة .

ج - شميم : الكلمة بالعبرية، وهي في صيغة المثني أو الجمع المذكر، تفيد معنى «السموات» (جمع مؤنث «السماء»). وهي تتطابق تماماً مع اسم الموقع «السمارين» في الوقت ذاته، لأن لاحقة جمع المذكر العبرية، وهي حرف الميم، محوالة في الاسم الحالي إلى اللاحقة العربية للجمع المذكر، وهي النون .

د - ربصت : فعل ربص بالعبرية يقابله بالعربية «ربض»، وبالمعنى ذاته . وربصت، بالتالي، قد تعني «رابضة»، بالإضافة إلى إشارتها إلى مكان اسمه «الربيضة» .

هـ - شديم : الكلمة بالعبرية في صيغة المثني المذكر، ومفردا شدي بمعنى «الشيء». ولذلك شديم قد تعني بالعربية «الشيئين»، بالإضافة إلى أنها تشير إلى مكان اسمه بالشكل العربي الحديث «الشيئين».

هـ - رحم العبرية قد تعني «الرحم» بالعربية، وقد تشير إلى مكان اسمه «الرحم».

و - مجد العبرية تعني «الهدايا الثمينة»، أي «النفائس»، بالإضافة إلى إشارتها إلى مكان اسمه باللفظ العربي اليوم «المقدّة».

ح - يهوه: قد تعتبر هذه الكلمة بالعبرية على أنها الاسم الذي تطلقه التوراة على الله (انظر الفصل ١٢)، وهو اسم لا يلفظ في القراءة لإجلالاً بل يكنى عنه بكلمة «الرب»، وهكذا يترجم إلى العربية. ويعتبر علماء اللغة أن يهوه هي أيضاً صيغة مضارع لفعل هيه، بمعنى «كان». والمضارع في هذا الفعل هو عادة يهيه. كلمة يهوه، إذن، قد تعني «الرب»، وقد تعني «يكون»^(٩).

كل هذا صحيح. ومع ذلك تبقى حقيقة أن «البركات» الاثنتين المسبغتين على قبيلة يوسف، في سفر التكوين والثنية، توردان أسماء أمكنة، وتقودان بالتالي إلى معنى ملموس. ومهما كان المعنى التصويري الذي ربما قصد بهذا التلاعب بالكلام فإنه يجب أن ينظر إليه على أنه أمر له أهمية ثانوية، إن وجد.

(٩) أحد الأخطاء الأكثر شيوعاً في القراءة التقليدية للتوراة تتعلق بالخلط بين يهوه بمعنى «هو يكون»، أو «سيكون هو»، مع يهوه كاسم لله. وعلى سبيل المثال، فإن الجملة غير ذات المغزى «الرب (يهوه) أمطر على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب (عش م - هـ يهوه) من السماء» (سفر التكوين ١٩ : ٢٤)، تقرأ عملياً «الرب (يهوه) أمطر على سدوم وعمورة كبريتاً، وهو نار موت (و - عش م هـ يهوه) من السماء». وموت العبرية هنا يجب أن تقرأ كتهجئة متنوعة لموت، التي تعني بالعربية «الموت». وفي اللغات السامية يبقى التوقف الحنجري المعروف بالهمزة قابلاً للتبادل مع الحرفين شبه الصوتيين، الواو والياء.

وهنا علينا أن نعود إلى النقطة الرئيسية لهذا الفصل . ففي فقرتي «البركات» هاتين، كما ترجمتا هنا عن العبرية التوراتية الأصلية، يتضح أن تهوم ترد بمعنى شريط من أرض تهامة في غرب شبه الجزيرة العربية، محدد بالعلاقة بما هو اليوم قرية الربيضة، في محيط بلدة الليث بالحجاز. والاستمرار في قراءة تهوم العبرية، في هذا السياق على الأقل، كاسم نكرة يعني «الغمر»، أو «اللجة»، سيكون تكراراً لخطأ يكون تكرس بمضي الزمن، ولكنه يبقى مع ذلك خطأ.

وهناك مقاطع أخرى في أسفار مختلفة من التوراة تتحدث عن تهوم بالعلاقة مع أماكن ما زالت موجودة بأسمائها نفسها، في جزء أو في آخر من تهامة عسير وجنوب الحجاز. ومن نافل القول الاضافة بأنه يجب إعادة تأويل كل هذه المقاطع بشكل جذري. وعلى سبيل المثال، فإن سفر الخروج ١٥ : ٥ يتحدث عن تهوم (تهمت، بلاحقة التأنيث المفرد أو الجمع) بالعلاقة مع مكانين في وادي مدركة، في تهامة الحجاز جنوب الليث، هما قرينا المصلاة والبناية (التوراتيتان: مصلوت و عبن). والمزمور ٣٣ : ٧ يتحدث عن «وصروت تهوموت، ووصروت هي جمع ووصره، ولا بد أن الإشارة هنا هي إلى أكثر من مكان اسمه وصره في مواقع مختلفة من تهامة، ولذلك تظهر تهوموت هنا في صيغة الجمع. ومن هذه المواقع التهامية اليوم وذرة في جوار القنفذة، ووُزراء على مسافة قصيرة إلى الجنوب في جوار حلي. وفي يونا ٢ : ٦ تشير نفس تهوم بالتأكيد إلى قرية من تهامة هي اليوم «النفس»، في منطقة جيزان. ويتحدث عاموس ٧ : ٤ عن «نار» الإله يهوه، التي تلتهم تهوم ربه و هـ - حلق، وهما ليسا «الغمر العظيم» و«الحقل» كما في الترجمة العربية المألوفة، بل تهامة الربة في منطقة قنا والبحر، وقرية الحُقلة (مع أداة التعريف، كما في العبرية) في منطقة جيزان. و«نار» يهوه كانت بلا شك بركانية. ومباشرة إلى الغرب من الربة، في منطقة قنا والبحر، يوجد أكبر حقول الحمم البركانية في

عسير الساحلية. أما بالنسبة للحُقلة فهي تقع بالقرب من الفوهات البركانية لجبل القارعة (انظر الفصل ٢). ويجب أن تكون زلازل هذه المناطق البركانية في عسير الساحلية هي ما أشير إليه في المزمور ٧٧: ١٧ في الجملة «ف يجرزو تهاموت». وهذه يجب أن تترجم لتقرأ «زلزلت أيضاً التهامات»، بدلاً من الترجمة المألوفة المتلبسة «ارتعدت أيضاً اللجج».

وبغض النظر عن الجمل التوراتية التي تورد أسماء أمكنة موجودة على امتداد ساحل تهامة في جنوب الحجاز وعسير، هناك جملتان لهما مغزى جغرافي خاص تشيران إلى أمكنة في المرتفعات «المواجهة لـ» أو «المشرفة على» (وبالعبرية «عل فني») تهامة هذه. واحدة من هاتين الجملتين، في سفر التكوين ١: ٢، تتحدث عن حشك «عل فني تهوم». وقد ترجمت هذه الجملة إلى العربية «وعلى وجه الغمر ظلمة». والترجمة الصحيحة هي «وعلى وجه تهامة ظلمة». والواقع أن هناك قرية اسمها «الخشقة» (خشق، قابل العبرية حشك بمعنى «ظلمة») في منطقة قنا والبحر، والقرية هذه في تهامة عسير. ولعل في الأمر هنا أيضاً تلاعباً في الكلام، إذا اعتبرنا أن الجملة بالعبرية قد تعني أيضاً «الخشقة المشرفة على تهامة».

وإحدى الجمل الأخرى في هذا الصدد ورد فيها حقو هوج «عل فني تهوم» (الأمثال ٨: ٢٧)، أي «حقو هياج المشرفة على تهامة»، والحقو والهياج هما اليوم قرستان من منطقة جبل هروب، شمال شرق جيزان، وتشرفان في الواقع على تهامة. وفي النص العبري جاءت الحقو معرفة بالنسبة إلى الهياج المجاورة لتمييزها، بلا شك، عن عدد من القرى الأخرى المسماة «حقو» والتي ما زالت موجودة في مناطق مختلفة أبعد شمالاً. والجملة التالية في الفقرة نفسها (الأمثال ٨: ٢٨) تذكر أسماء أمكنة أخرى موجودة في أجزاء مختلفة من عسير، من بينها

عزوز عينوت تهوم، أي «عزيزة عيinat تهامة»، وكل من عزيزة والعيينات ما زالتا موجودتين كقريتين تهاميتين في الجوار المباشر لليث. وفي الترجمات الراهنة تؤخذ بـ «حقو هوج عل فني تهوم على أنها تعني» لما رسم دائرة على وجه الغمر». أما بـ «عزوز عينوت تهوم، فقد جعلت في الترجمة العربية المألوفة «لما تشددت ينابيع الغمر»، ويقرّ علماء التوراة بالنسبة إلى هذه الجملة الأخيرة بأن «معنى النص العبري غير مؤكد».

والواضح من هذا الفصل أن تهوم التوراة العبرية كانت صحراء تهامة الحالية في غرب شبه الجزيرة العربية، وليست «غمرأ» أو «لجة» من أي نوع. والدليل الأسمي يؤكد هذا من دون أدنى شك. وأكثر من هذا، فإن ترجمات المقاطع التي تتحدث عن تهوم آخذة في اعتبارها هذه الحقيقة يمكنها أن تحتاز الاختبار العملي والدقيق بكونها تحمل مغزى جغرافياً واضحاً لا لبس فيه، وهو مغزى ملموس وغير تصويري. وحيث هناك معنى ملموس لأي نص لا يبقى هناك مجال للبحث عن أي معنى آخر.

هذا، إذن، هو واقع الأمر بالنسبة إلى تهوم التوراة، وهي اليوم ساحل تهامة على البحر الأحمر، من شبه الجزيرة العربية، ومن هنا نبداً.

٧ - مسألة الأردن

«الأردن» (هـ - يردن) لم يكن في التوراة العبرية نهراً (نهر بالعبرية وبالعربية على السواء). وأكثر من ذلك، فإن أهل الاختصاص يعرفون تماماً أن ما من مكان وردت فيه الكلمة في النصوص التوراتية معرفة على أنها اسم نهر^(١). أما كيف أصبح النهر الفلسطيني الشهير يعرف بهذا الاسم فهي مسألة تستحق التمحيص بحد ذاتها، ولكنها ليست المسألة التي ستطرق إليها هنا^(٢). والمسألة المباشرة والأنية هي التالية: إذا كان أردن التوراة العبرية ليس نهراً، فماذا يمكن أن يكون؟

من ناحية علم أصول الكلمات، إن يردن التوراتية هي اسم مشتق من المصدر يرد، الذي يعني «انحدر، هبط، سقط». ومن الجذور التي تقابل يرد بالعربية «ردى» بمعنى «سقط، تهوّر من جبل عال». ومن هذا الجذر على الأرجح يشتق الاسم العربي «رَيْد» وصيغته

(١) انظر سايمونز، الفقرة ١٣٧. ومع ملاحظة أن «أكثر أنهر فلسطين أهمية» لم يشر اليه أبداً في التوراة العبرية على أنه نهر، يضيف سايمونز في هامش أن «مشكلة أصل ومعنى كلمة يردن، التي اختلفت الآراء حولها، ما زالت بلا حل».

(٢) أطلق الجغرافيون العرب في الأصل اسم «الأردن» على أراضي الجليل والأجزاء المجاورة من وادي نهر الأردن وليس على نهر الأردن نفسه الذي يسمّى محلياً «الشربعة»، وليس «الأردن». وهذا الاسم قد يكون المائل لـ يردن العبرية، ولكن ليس بالضرورة. والقواميس العربية تشتق الكلمة من المصدر رَدَنَ (رَدَنَ الجلد، تَقَبَّضَ وتَشَنَّجَ)، مع الإيحاء بأنها تعني الأرض «الوعرة، القاسية، المجمّدة». وحول اشتقاق يردن انظر أدناه.

المؤنثة «رَيْدَة». و«الرِيد» هو «الحرف الناقء من الجبل». وربما «الرَيْدَة»، وهي غير قاموسية، هي «التواء الجبلي»، و«القمة الجبلية»، و«خط لقاء الجبل أو الجرف مع السماء». واستخدام التعبيرين بالعلاقة مع الأرض الجبلية ينحصر من الناحية العملية بغرب وجنوب شبه الجزيرة العربية، حيث ترد رَيْدَة ورَيْدان (ريدن، من ريد، قارن بالعبرية يردن، ولعلّ لاحقة النون هي في الأصل أداة تعريف مائة) كأسماء أمكنة نكرة، أو كتعبيرين جغرافيين يدخلان في تشكل أسماء أمكنة مركبة. وفي عسير وحدها هنالك خمس قرى جبلية على الأقل، في أقاليم مختلفة، تسمى ريدة (أوريدة.. كذا وكذا)، وقرتان على الأقل تسميان ريدان، ناهيك عن ريدة وحصن ريدان التاريخي باليمن.

في الاستعمال التوراتي، تؤخذ كلمة هـ - يردن تقليدياً على أنها اسم النهر المعروف في فلسطين، ولكنها ليست اسماً دوماً بل (كما في العربية) تعبير طوبوغرافي يعني «جرف» أو «قمة» أو «مرتفع». وفي المبنى عبر هـ - يردن («عبر» أو «ما بعد» الـ يردن)، الذي أخذ حتى الآن على أنه يعني «عبر الأردن» (أي «شرق الأردن»)، تشير هـ - يردن بلا استثناء إلى الجرف الرئيسي لسراة عسير الجغرافية (انظر الفصل ٣)، الذي يمتد من السطائف في جنوب الحجاز إلى منطقة ظهران الجنوب قرب الحدود اليمنية. وفي معظم الحالات، تشير عبر هـ - يردن إلى أراضي عسير الداخلية تفريقاً لها عن عسير الساحلية التي كانت أرض يهوذا الاسرائيلية (انظر الفصل ٨). وعلى العموم، فإن هـ - يردن، من دون عبر، يمكنها أن تشير إلى أي جزء من جرف عسير، وهي كثيراً ما تشير أيضاً إلى أي من القمم والمرتفعات التي لا تحصى في الجانب البحري من عسير وجنوب الحجاز، وتشير في الحقيقة إلى قمم الجبال أو إلى الجروف في أي مكان آخر (وعلى سبيل المثال، تلك التي في جبل أبو همدان في إقليم نجران، انظر الفصل

(١٥). وهذا واضح من تراكيب مثل يردن يرحو الذي لا يعني «أردن أريحا» (كما في الترجمة العربية المألوفة)، بل «جرف يرحو»، ويرحو هنا تشير إلى مرتفع من جبل عيسان، في بلاد زهران، حيث يبدأ وادي وَرَاخ (ورخ)، وفيه أيضاً قرية اسمها وراخ على ما يبدو من الخريطة (انظر ما يلي). وحقيقة أنه كانت هنالك أكثر من يردن (وليس «أردن») واحدة تظهر أيضاً في التعبير هـ - يردن هزه («هذا الجرف» أو «هذا المرتفع»، وليس «هذا الأردن») الذي يرد ما لا يقل عن ست مرات في أسفار مختلفة من التوراة (التكوين ٣٢: ١١، التثنية ٣: ٢٧ و ٣١: ٢، يشوع ١: ٢ و ١١ و ٤: ٢٢). ولو كانت هـ - يردن اسماً لنهر معين، أو في هذه الحالة اسماً لجرف أو مرتفع معين، لكان يصعب التفكير بسبب يقضي بالإشارة إليه بهذه الكثرة بالتعبير «هذا الأردن» إلا إذا كانت هنالك أنهر أخرى أو أجراف ومرتفعات أخرى تحمل الاسم نفسه^(٣). وعملياً، إن تعبير هـ - يردن هزه يعني ببساطة «هذا الجرف» أو «هذا المرتفع» أو «هذه القمة»، تفريقاً عن أجراف أو مرتفعات أو

(٣) هناك عدد لا يحصى من الجداول الموسمية والدائمة التي تنبع من الانحاء المختلفة لجرف عسير، وهو ما يفسر التعبير التوراتي مي هـ - يردن أو ميمي هـ - يردن («ماء» أو «مياه» ال يردن، انظر ما يلي). وعلى العموم، فإن تعبير يردن يظهر في بعض الحالات في التوراة بمعنى «جدول ماء» أو «بركة». وبهذا المعنى، تكون الكلمة مشتقة من يرد (وبالعربية وَرَدَ) بمعنى «ذهب إلى الماء». و«الورد» بالعربية هو «النصيب من الماء». وهكذا، فإن هـ - يردن التي «غطس» فيها نعمان الأرامي «سبع مرات» (الملوك الثاني ٥: ١٤) ليعالج نفسه من الجذام كانت بالتأكيد بركة ماء أو نبعاً أو جدولاً. وإذا أخذ في الاعتبار أنها كانت قرب السامرة (شعرون)، التي هي اليوم شمران في منطقة القنفذة (انظر الفصل ١٠)، فإن يردن نعمان كانت بلا شك تشير إلى مجمع مياه في رادي نُعص الذي يجري هناك. وموطن نعمان، المسمى آرام (ورم)، يمكنه أن يكون اليوم وادي وَرَم (ورم) في النهايات السفلى لرجال ألمع. و«دمشق» (دمشق أو دمسق) التي تخصه هناك هي اليوم ذات مسك (ذات مسك) وليس هناك نهر «فرفر» (فرفر) ولا نهر «أبانه» (مين) يتدفق في جوار دمشق الشام. وهذان النهران في موطن نعمان، الذي يقارنها باستحسان مع ال يردن التي عولج فيها، يميلان اسمين هما اليوم لغربيي الرُّقْرُقَة (مع قلب الأحرف) والبنا (بن) في الجوار العام نفسه من عسير الذي هو حوض وادي خلي وروافده الكثيرة.

قمم أخرى.

ولإثبات حقيقة أن «أردن» التوراة لم يكن نهراً بهذا الاسم بل مجرد تعبير طبوغرافي يشير إلى أجراف أو قمم ومرتفعات جبلية في جنوب الحجاز وعسير، سيكون من المفيد تحديد كيفية ورود الاسم بالترابط مع مجموعات مختلفة من أسماء أماكن من غرب شبه الجزيرة العربية في نصوص مختلفة من التوراة. ويمكن أخذ المثال الأول من الرواية المفصلة للعبور الاسرائيلي لـ «أردن» بقيادة يشوع، منذ اللحظة التي انطلق الاسرائيليون فيها إلى العبور من «شطيم»، وحتى الختان الجماعي لـ «شعب اسرائيل» في «تل القلف» (بالعبرية جعبت هـ - عرلوت) (يشوع ١: ٣ و ٥: ٣). في البداية، سيكون من الملائم تحديد النقاط الدقيقة للانطلاق والوصول (انظر الخريطة). ونقطة الانطلاق، «شطيم» (وتهجئتها التوراتية هي هـ - شطيم)، كانت في الظاهر قمة بجوار وادي وَجَّ (يحتمل أن تكون جبل سويقة الحالي، إلى الشمال مباشرة من الطائف) ورد اسمها في الكتابات التاريخية العربية على أنها جبل شتان (شتن)^(٤). ويمكن تأكيد كون موقع «شطيم» يوجد هناك من خلال تحديد المنطقة التي وصلها الاسرائيليون بقيادة موسى، التي شملت بوضوح أجزاء منطقة الطائف الواقعة شرق الشق المائي^(٥). ونقطة الوصول، التي جرى فيها الختان الجماعي

(٤) استناداً إلى المؤرخين العرب، ذهب الرسول محمد (ﷺ) في حجه الأخير من المدينة إلى مكة بطريق جبل شتان والقرية المجاورة كداء، التي ما زالت هناك، واسمها اليوم الكدا.

(٥) استناداً إلى سفر العدد ٣٣: ٤١ - ٤٩، فإن موسى قاد الاسرائيليين في المرحلة الأخيرة من تيهيم من جبل «هور» (هر هـ - هر) إلى «صلمونة» (صلمته)، ثم إلى «فونون» (فونن)، و«أوبوت» (مبت)، و«عبي عباريم» (عبي هـ - عبريم) في تخم «مؤاب» (موب)، و«ديبون جاد» (دين جد)، و«علمون دبلاتاي» (علمن دبلتيم)، و«جبال عباريم» (هري عبريم) أمام «نبو» (نبو)، و«عربات مؤاب» (عربت موب) على أردن أريحا (على يردن يرحو، حرفياً: «على يردن يرحو»). ثم نزلوا (أي خيموا) على الأردن (على يردن، حرفياً: «على الأردن») بين «بيت يشيموت» (بيت هـ - يشمت) و«آبل شطيم» (آبل

للاسرائيليين غير المختونين، هي اليوم قرية ذي غلف، التي يكاد أن يكون اسمها الحالي ترجمة حرفية للاسم التوراتي جبعث هـ- عرلوت، أي «تل القلف» أو «تل الغلف». والقلفة أو الغلفة في العربية هي الغرلة (بالعبرية عرله، وجمعها عرلوت). وفي حين أن جبل شتان يقع شرق الشق المائي لغرب شبه الجزيرة العربية، فإن ذي غلف تقع غربه، في وادي أضم، في مرتفعات منطقة الليث. وللوصول من جبل شتان إلى ذي غلف يجب على المرء أن يتجه جنوباً، ثم أن ينعطف غرباً ليعبر الشق المائي عند مضيق وادي بقران، جنوب الطائف. ومن جبل شتان إلى ذي غلف كان العبور الاسرائيلي للـ «أردن»، كما وُصف في سفر يشوع. ويمكن تتبع هذا العبور حتى في أدق

= هـ شطيم) في «عربات مؤاب» (هربت موب). اه. والأمكنة الثمانية الأولى المشار إليها موجودة في بلاد غامد وزهران، وهي اليوم: «مرتفع» (هر) الهرة (هر)، وسلامان (سلمن)، وجبل النوف، ووادي بات (بت)، والحجارة المكومة (عيم) في العرياء (هرب) في جبل شدا، وما زالت هناك كبلطة حجرية مثلثة مسطحة مرفوعة على ثلاثة أحجار أخرى كبيرة ومبجلة باعتبارها من آثار إبراهيم المقدسة وتسمى «مصل إبراهيم»، والغريتان المتجاورتان بدون (بدون) والغادي (غذ بلا تصويت، قارن مع جد) قرب بلدة قلو، وقريتان أخريان في الجوار الأوسع لقلوة تسميان عملة (عمل، قارن مع علمن) والبدلة (بدلت، قارن مع دهلتم كجمع للاسم أو للنسبة المشتقة منه)، وأخيراً مرتفعات جبل غارب (غرب) في سرة زهران، التي تواجه عملياً نياه (نياه أو نب)، وهي نيو التوراتية في أقصى التواء الجنوبي لقمة الطائف في الشمال. أما بالنسبة إلى عربت موب فهي قرية غرابة الحالية (انظر النص) الواقعة مباشرة إلى الشرق من الشق المائي بين اقليم زهران والطائف، وعبر الـ يردن، أو «الجرف»، مقابل أم الياب (أم يب) التي هي مؤاب التوراتية. وغرابة هذه تقع عملياً على الامتداد نفسه للـ يردن، أو «الجرف»، حيث تقع مرتفعات وادي وراخ، أو وراخ (وأريحا التوراتية، انظر النص). والمنطقة التي استوطنتها الاسرائيليون أخيراً بقيادة موسى كانت امتداد الأرض المرتفعة بين الأئمة (هثمت) في اقليم زهران و«بحرى ماء» (مبل) جبل شتان (شتن)، المسمى اليوم وادي وُج، في اقليم الطائف. وحول المحاولات المرتبكة لتفسير جغرافيا سفر العدد ٣٣: ٤٩-٤١، من خلال «عبر الأردن» (أي «شرق الأردن»)، انظر الصفحة ١٢٤-١٢٥ من دليل كريينغ لجغرافية التوراة.

تفاصيله في مسرح غرب شبه الجزيرة العربية، مع الأخذ في الاعتبار أن أحداً لم ينجح في تتبع مسار هذا العبور في مسرحه المفترض تقليدياً أنه من شرقي الأردن إلى فلسطين، عبر نهر الشريعة (انظر كرلينغ، ص ١٣٢ - ١٣٤). وقد جاء أن الاسرائيليين انطلقوا إلى عبورهم في وقت الحصاد، عندما كانت الوديان على جانبي اليردن، أي «الجرف»، ممتلئة بمياه السيول الغزيرة (٣: ١٥)^(٦). وعندما وصلوا إلى النقطة التي يمكنهم عبورها، تراجعت المياه (أو هي جعلت تتراجع ببناء سدود لتحويل مجراها) لتسمح لهم بالمرور (٣: ١٦). وعن النص الأصلي بالعبرية، نقلت الترجمات العادية الحدث كما يلي:

«وقفت المياه المنحدرة من فوق (م - ل - معله) وقامت نداءً واحداً بعيداً جداً (ندءحد هـ - رحق مءد) عن أدام (ءدم)، المدينة التي إلى جانب صرتان (صرتن)، والمنحدرة إلى بحر العربة (عل يم عربه)، بحر الملح (يم هـ - ملح) انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل أريحا (يرىحو)».

تقليدياً، ترجمت العبرية يم عربه يم هـ - ملح، خطأ، على أنها «بحر عربة، بحر الملح»، وأخذت على أنها تشير إلى البحر الميت الفلسطيني. ومع ذلك، فإن يم العبرية يمكنها أن تعني «بحر» وأن تعني «غرب». ولهذا، فإن الترجمة الصحيحة للجملة عل يم عربه يم هـ - ملح تصبح «غرب عربه (اسم مكان)، غرب هـ - ملح (اسم مكان آخر)». والموقعان موضوع البحث هما غرابة (غرب بلا تصويت) في وادي بقران، مباشرة شرق الشق المائي، والقرية القريبة منها، الملحة

(٦) نهر الأردن لا يفيض في وقت الحصاد، وهو آخر الربيع. وعلى العموم، فإن هذا هو موسم الأمطار الغزيرة في عسير الجغرافية، وهي الأمطار التي يمكنها أن تسبب أحياناً في سيول هائلة. وقد زرت المنطقة في أواخر أيار (مايو) وتأكدت من هذا الأمر بنفسني.

(ملح، مع أداة التعريف العربية، قابل مع الاسم بالعبرية هـ - ملح الذي يحمل هو أيضاً أداة التعريف). وهناك ترجمات أخرى خاطئة في الفقرة المستشهد بها، وهي:

١ - أن م - ل - معله العبرية هي طريقة غير معقولة للقول «من أعلى»، لأنها تعني حرفياً «من إلى أعلى». وبالشكل الصحيح، يجب أن تقرأ م - لمعل، أي «من لمعل» (اسم مكان). ولمعل هذه هي اليوم قرية اسمها المعلة (عل - معله بلا تصويت) في منطقة الطائف، قرب غرابة والملحة.

٢ - أن ند احد العبرية، في هذا الاطار، يجب أن تترجم «سداً واحداً»، وليس «نداً واحداً» بمعنى «أكمة واحدة».

٣ - أن هـ - رحق مء، إذا قرئت فيها مء ككلمة واحدة، تعني حرفياً «المسافة كثيراً»، ولهذا ترجمت «بعيداً جداً». والتركيب «المسافة كثيراً» غير معقول. أما إذا هي قرئت هـ - رحق م - عد، فيمكنها أن تعني «الممتد من عد (اسم مكان)». وء هذه هي اليوم قرية ودّ، في الجزء نفسه من منطقة الطائف حيث توجد غرابة والملحة والمعلّة.

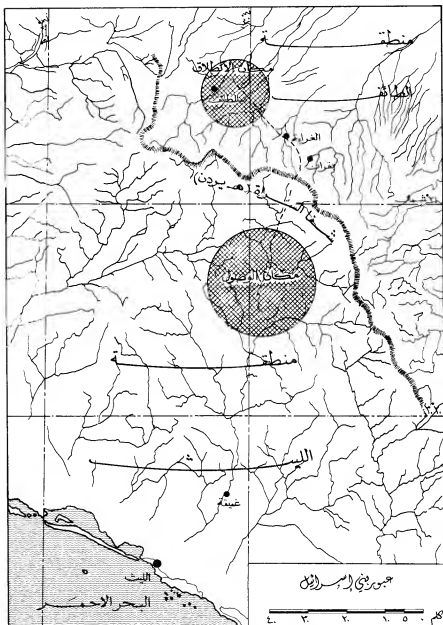
أما الأمكنة الباقية التي هي بحاجة إلى تحديد فهي «أدام» و«صرتان» و«أريحا»، مع الأخذ بعين الاعتبار القرب بين المكانين الأول والثاني. و«أدام» لا بد أن تكون اليوم أضم (ءضم، تحوير عن ءدم التوراتية)، وهي القرية الواقعة غرب الشق المائي إلى الجنوب من الطائف، والتي يسمى باسمها وادي أضم. أما «صرتان» (صرتن) فلعلها الرزنة (تحريفاً عن رصنت، مع قلب الأحرف) الحالية، وهي أيضاً في وادي أضم. وأما بالنسبة لـ «أريحا» (يريمو)، وهي في التهجئة التوراتية غير يرحو التي هي اليوم وراخ، فهي اليوم قرية الرخية في وادي أضم. وعلى ضوء هذا كله يجب أن تترجم جملة يشوع ٣: ١٦ كما يلي:

«المياه المنحدرة من المعللة ارتفعت في سدّ واحد يمتد من ودّ، عند أضّم، المدينة التي هي بجانب الرزنة. وتلك المتدفقة نزولاً غرب غرابة، غرب الملحّة، انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل الرخية».

ومن الواضح أن المياه التي «وقفت» لتسمح لبني اسرائيل بعبور الجرف عند عقبة بقران (وذلك لأنها ووجهت بسدّ أقيم خصيصاً لهذه الغاية، على ما يظهر) كانت مياه سيل وادي أضّم، الذي يجري من الشق المائي غرباً باتجاه البحر. وهكذا تكون نقطة العبور قد حددت في نص سفر يشوع بدقة مذهلة.

وعندما عبر رجال اسرائيل (إذا كان للنص العبري أن يقرأ صحيحاً) عقبة بقران بين غرابة وأضّم، «حملوا اثني عشر حجراً» من الجرف (هـ - يردن) «حسب عدد أسباط بني اسرائيل» (٤ : ٨). وعندما وصلوا «الجلجال» (جلجل)، أخذ يشوع الأحجار الاثني عشر ونصبها كمعلّم لذكرى عبور هـ - يردن هذه («هذا الجرف» أو «هذا المرتفع»). ولا شك في أن هذه الحكاية، كما وردت، تشكل محاولة لتفسير كيفية وجود رابية «جبل جلجل» الصخرية في «سهل جلجل» في وادي أضّم. وما زال السهل والرابية هناك حتى اليوم، باسميهما التوراتيين دون أي تغيير فيهما.

وللوصول إلى سهل جلجل (وهو «الجلجال» في الترجمة العربية المألوفة)، كان بنو اسرائيل قد نزلوا وادي أضّم «مقابل أريحا (يرىحو)» (٣ : ١٦)، أي مقابل قرية الرخية، وهذا صحيح جغرافياً (انظر أعلاه). وجلجل (أو «الجلجال»)، حيث حلوا، كانت «في تخم أريحا الشرقي»، كما جاء في الترجمة العربية (ب - قصه م - زرح يرىحو بالعبرية، ٤ : ١٩). وقصه العبرية أخذت هنا على أنها تعني «تخم»، وزرح على أنها تعني «شرق»، وهما عملياً اسمان لقريتان في وادي



خريطة رقم ٧

أضـم، وهـما «القـصـيـة» و«الـصـرـحـة». وقـد عُرِفَت الثـانـيـة مـنـهـما بـصـرـحـة الرخـيـة (زـرـح يـرـيـحـو)، نـسـبـة إلـى قـريـة الرخـيـة المـجاوـرة لـها، لـتـمـيـزـها عـن قـريـة أـخـرى اسـمـها الصـرـحـة فـي المـنـطـقـة ذـاتـها. وبـالـتـالـي، فـإن التـرجـمـة الصـحـيـحـة للـجـمـلـة يـجـب أن تـكـون: «حـلـوا فـي جـلـجـل»، فـي القـصـيـة، مـن صـرـحـة الرخـيـة»، وهـكـذا يـكـون قـد أُشـير إلـى كـامـل امـتـداد مـكان حـلـولـهـم.

ومثـل قـصـة أحـجار جـلـجـل أو «الجـلـجـال» الأثـني عـشر، هـي قـصـة الـخـتـان الجـمـاعـي لـرـجال اسـرائـيـل غـيـر المـخـتـونـين عـند جـبـعـت هــ. عـرلـوت (الـتي هـي الـيـوم ذـي غـلف، انـظـر أعـلاه)، إذ تـمـثـل هـذه القـصـة مـحاوـلة لـتـفـسـير ظـاهـرة غـيـر مـعـتـادـة، وهـي فـي هـذه الحـالـة الـاسـم الغـريـب لـمـكان يـسـمـى «تـل القـلف». وـليـس مـوضـع الـاهـتـمـام هـنا عـمـلياً مـعـرفـة سـبـب تـسـمـيـة المـكان بـهـذا الـاسـم^(٧). وـالمـهم هـو أن قـريـة ذـي غـلف الـحـالـيـة فـي غـرب شـبه الجـزـيـرة العـربـيـة - مثـل الرخـيـة (أو «أريـحـا») وـجـلـجـل (أو «الجـلـجـال») والقـصـيـة والصـرـحـة - تـقـع فـي وادـي أضـم، وهـو ما يـطـابـق تـمـاماً التـأوـيـل الجـغـرافـي الصـحـيـح للـعـبـور الاسـرائـيـلي لـد «أردن» بـقـيـادـة يـشـوع. أـما لإحـداثـيـات نـقـطـة العـبـور فـي عـقـبة وادـي بـقران، جـنـوب الطـائـف، فـهـي ٢١° شـمال ٤٠° ٣٠' شـرق.

وفـي حـيـن أن «أردن» يـشـوع كان عـقـبة جـبـليـة فـي جـنـوب الحـجاز، عـلى امـتـداد الجـرف الرئـيـسي لـغـرب شـبه الجـزـيـرة العـربـيـة، فـان «أردن» لـوط (التـكوـيـن ١٣ : ١٠ - ١٢) كان قـمـة جـبـل هـروب، عـلى بـعد حـوالـى ٤٥٠ كـيـلـومـتـراً إلـى الجـنـوب - الجـنـوب الشـرقـي، فـي مـنـطـقـة جـيـزان، حـيـث ما

(٧) يـروـي الرـحـالـة الذـيـن زاروا سـاحـل عـسـير فـي القـرن الحـالـي أن الشـباب كانوا يـؤخـذون إلـى رابـيـة خـارج قـريـتـهم ليـخـتـنوا هـنـاك علـناً. والكـلمـة الـتي تـسـتـخـدم مـعـلياً لـفـعـل الـخـتـان هـي «عـلّ»، أي «رـفـع» أو «أخـذ إلـى مـكان عالٍ». وربـما كانـت ذـي غـلف، الـتي كانـت تـسـمـى فـي القـديـم جـبـعـت هــ. عـرلـوت، مـوقـعاً لـرابـيـة كانـت تـسـتـخـدم فـي السـابـق لـطـفـوس خـتـان الشـباب البـالـغـين.

زالت توجد قرية اسمها رِيدَان (قارن بالعبرية هـ - يردن). ويبدو أن جبل هروب بكامله كان يسمّى هـ - يردن (أي «ريدان») في زمن التوراة. وانطلاقاً من نقطة البداية في «النقب» (هـ - نجب)، بين «بيت أيل» (بيت عل) و«عاي» (هـ - عي) (التكوين ١٣ : ٢)، افترق لوط عن عمه أبرام العبري (انظر الفصول ١٢ و ١٣ و ١٥) وذهب ليقيم في منطقة وصفت بأنها ككر هـ - يردن، التي جعلت عادة في الترجمات «دائرة الأردن» أو «وادي الأردن». ومع التسليم بأن ككر تعني «دائرة»، وهو ما يبدو صحيحاً، فإن ككر هـ - يردن يجب أن تكون إشارة إلى «محيط» جبل «ريدان» (أي جبل هروب) الذي ترويه مجاري وروافد وادي صبيا ووادي بيش.

وتعريف ككر هـ - يردن على أنها «محيط» جبل هروب الخصب، في منطقة جيزان، وليس «دائرة الأردن» في فلسطين، يتأكد من مسار تحركات لوط كما وردت في سفر التكوين. والواضح من هذا المسار أن «النقب» التي انطلق لوط منها ليصل إلى ككر هـ - يردن لم تكن إطلاقاً صحراء النقب في جنوب فلسطين، بل كانت قرية النقب، التي ما زالت قائمة حتى اليوم على منحدرات رجال المع، غرب مدينة أ بها وإلى الشمال مباشرة من منطقة جيزان (انظر الفصل ٤). وهنا أيضاً توجد، وحتى يومنا هذا، قريتا البتيلة (بتل)، التي هي «بيت أيل» التوراتية، والغّي (غي مع أداة التعريف العربية. قارن بالعبرية هـ - عي)، التي هي «عاي» التوراتية^(٨). وللوصول إلى ككر هـ - يردن، أي «محيط» جبل هروب، كان على لوط أن يذهب أولاً إلى جبل هروب، ثم أن ينزل من هناك إلى الوديان. وفي سفر التكوين ١٣ : ١٨ قيل عملياً إن لوط ارتحل

(٨) الباحثون التوراتيون حددوا «بيت أيل» التوراتية، زيفاً، بكونها قرية بيتين الفلسطينية على أساس التشابه السطحي بين الاسمين، ولا شيء غير ذلك. وهم يقولون إن «عاي» قد تكون قرية التل الحالية، قرب بيتين. ولمعلومات أوسع حول هذه النقطة، راجع الفصل ١٣، الهامش ٤.

«من قدم» (م - قدم بالعبرية) ليصل إلى مبتغاه. وقدم هي اليوم مورد، أي مكان سقاية، يسمى الغمد قرب ريدان، في جبل هروب. ولم يكن مترجمي التوراة ان يعرفوا أن قدم كانت اسم مكان، وبالتالي كان لديهم عذر ليأخذوها حرفياً على أنها تعني «شرق». وعلى العموم، وبافتراض أن لوط انطلق من فلسطين، وأنه كان عليه بالتالي أن يتجه شرقاً ليصل إلى ككر هـ - يردن، التي اعتقد بأنها وادي الأردن، فإن هؤلاء المترجمين أساءوا عن قصد ترجمة م - قدم العبرية لتعني «شرقاً»، أي «باتجاه الشرق»، وهم على علم كامل بأنها لا يمكن أن تعني إلا «من الشرق»، إذا كانت قدم تعني «شرق». وليس بسبب قلة الأمانة، بل أكثر من ذلك بسبب الجهل بالواقع، ترجم هؤلاء القصة قيد البحث بكاملها (التكوين ١٣: ١٠ - ١٢) لتقرأ تقريباً كما يلي:

«فرع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن (ككر هـ - يردن) أن جميعها سقي (كله مسقه)، قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة (ل - فني شحت يهوه ءت سدم و - ءت عمره)، كجنة الرب (ك - جن يهوه)، كأرض مصر حينما تحيى إلى صوغر (ك - ء رص مصريم ب - ء كه صعر). فاختر لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقاً (م - قدم) . . . ولوط سكن في مدن الدائرة (عري هـ - ككر) ونقل خيامه إلى سدوم (و - يءهل عد سدم).

وبغض النظر عن انتقائية أخذ ككر هـ - يردن على أنها «دائرة الأردن»، أي وادي الأردن، وعن الترجمة المقصودة الخطأ ل - م - قدم على أنها «شرقاً» وليس «من الشرق» (وهي تعني عملياً «من الغمد»)، فإن مترجمي هذه الفقرة فهموا يهوه العبرية، التي وردت مرتين في الفقرة كصيغة مضارع لفعل هيه أي «كان» (انظر الفصل ٦، الهامش ٩)، على أنها اسم إله إسرائيل (يهوه، والمترجم عادة «الرب»). وكذلك، فقد أخذ

هؤلاء المترجمون شحت العبرية على أنها فعل ماضٍ يعني «أخرب» أو «خرب»، في حين أنها ترد عملياً في النص كاسم مكان (انظر أدناه). ولوضع ترجمة الأصل العبري، الذي له مغزاه التام كما هو، في نصاب البنية الجغرافية المتصورة في فلسطين، لجأ المترجمون إلى التلاعب بالنص الأصلي، فترعوا الجملة لـ «فني شحت يهوه عت سدم و- عت عمره من موقعها الصحيح، الذي يأتي في الأصل مباشرة بعد كله مسقه أو «جميعها سقي»، ليضعوها بعد ك- عرص مصريم ب- عكه صعر، وهذا ليس موقعها في الأصل العبري. وأكثر من ذلك، فقد اعتبروا أن من المسلم به كون عرص مصريم تعني «أرض مصر». وفي الجملة الأخيرة افترضوا كلهم، وبلا استثناء، أن عري ه- ككر تعني «مدن الدائرة» أي مدن وادي الأردن، في حين أن الأصل العبري يشير إلى «كهوف» مكان معين (بالعربية غار، أي «كهف») أو «وديان» (بالعربية غور، أي «المان العميق» أو «الوادي»). والمرجح أن عري في إطار النص تعني «الكهوف»، نظراً لأن لوط وصف بكونه قد عاش في كهف، أو «مغارة»، وهو في هذه الحالة معره^(٩)، في سفر التكوين ١٩ : ٣٠ . ونورد فيما يلي إعادة ترجمة للنص نفسه، محافظين على أسماء الأمكنة المذكورة بصيغتها العبرية الأصلية، من أجل تحديدها لاحقاً:

«فرع لوط عينيه ورأى أن كل ككر ه- يردن مسقي باتجاه شحت (ل- فني شحت)، وهي بجانب سدم وعمره (يهوه عت سدم و- عت عمره). انها كجنة (ك- جن يهوه)، كأرض مصريم باتجاه صعر. ولهذا اختار لوط لنفسه كل ككر ه- يردن، وارتحل لوط من قدم... وسكن لوط في كهوف ال ككر، ونصب خيامه حتى سدم».

(٩) عملياً عر (وليس عبر، أي «مدينة») هي مفرد عري (أو عريم) في النص، ويقابلها بالعربية «غار» أو «غور». ومعره (بالعربية «مغارة») مشتقة من الجذر نفسه، وهو «غور». يقال بالعربية «غار في الشيء» أي دخل فيه، و«غار الماء» أي ذهب في الأرض وسفل فيها.

وهذه الترجمة الجديدة للنص العبري المكتوب بالأحرف الساكنة تقدم مجموعتين من أسماء الأمكنة، أحدهما تشير إلى ثلاثة مواقع في «دائرة ريدان» (ككر هـ - يردن)، أي محيط جبل هروب، وهي شحت وسدم وعمره، والثانية تشير إلى موقعين في أنحاء أخرى، هما مصريم وصعر. ومواقع المجموعة الأولى تقارن إيجاباً مع مصريم بأنها «جنة» في الخصوبة. والمواقع الخمسة كلها ما زالت توجد بأسمائها في عسير اليوم، وتقع الثلاثة الأولى في منطقة جيزان، حيث يتوقع الباحث أن يجدها، ويقع الموقعان الأخيران في جوار أبها الشديد الخصوبة، وهو الجزء من السراة الذي يحظى بمعظم الأمطار. ونورد فيما يلي تحديداً للمواقع الخمسة بأسمائها الحالية:

١ - شحت: هي اليوم الشخيت (شخت بلا تصويت)، في جبل بني مالك، جنوب شرق جبل هروب، وشرق وادي صبيا مباشرة.

٢ - سدم، أو «سُدوم»: ما زال الاسم موجوداً، وقد طرأ عليه تبديل في مواقع الأحرف فأصبح «دامس» (دمس بلا تصويت)، ووادي دامس هو الرافد الأقصى غرباً لوادي صبيا (انظر الفصل ٤).

٣ - عمره، أو «عمورة»: الغمر (غمر)، على منحدرات جبل هروب فوق وادي دامس.

٤ - مصريم: من الأكيد أن الاسم هنا لا يشير إلى «مصر» وادي النيل، بل إلى ما هو حالياً قرية المِصرمة (وتلفظ محلياً المِصرامة) في جوار أبها (انظر الفصل ٤).

٥ - صعر أو «صوغر»: الصعراء (صعر)، أيضاً في جوار أبها. وهناك أكثر من «صوغر» أخرى في أنحاء مختلفة من عسير.

ونورد هنا بعض التعليقات المضاف لتحديد هوية المكان قيد البحث. استناداً إلى سفر التكوين ١٩ : ٢٤، فإن «سُدوم» و«عمورة» دمرت

خلال حياة لوط بمطر من «كبريت» و«نار موت من السماء» (انظر الفصل ٦، الهامش ٩)، والواضح أن المقصود هو ثورة بركانية. وهناك «سدومات» عديدة محتملة أو ممكنة في عسير، أحداها هي سُدومة (سدم بلا تصويت، تماماً كما في التوراة)، في منطقة بني شهر. لكن ليست هناك آثار بركانية بالقرب من أي منها. أما وادي دامس فليس كذلك، إذ أن مساره الأدنى يعبر حقل حم براكين عكوة. ولا بد من تذكير علماء الآثار التوراتيين الذين ما زالوا يبحثون عن بقايا سدوم (أو بقايا عمورة) بالقرب من البحر الميت في فلسطين بأنه لم يعثر هناك بعد على أية آثار لنشاطات بركانية قديمة. وهاتان البلدتان لا بد أن تكونا قد دفتتا تحت حم وادي دامس في منطقة جيزان، عند سفح جبل هروب، بالرغم من وجود قرية اسمها الغمر (غمر)، وهو اسم «عمورة» (عمره) التوراتية بالذات، على منحدرات جبل هروب^(١٠). وهـ - يردن أو «الأردن» الذي ربط به المكانان اللذان ورد اسمهما في قصة هجرة لوط لا يمكنه أن يكون إلا جبل هروب، الذي ما زالت قرية ريدان تحمل إلى اليوم اسمه التوراتي (الذي يعني «الجرف» أو «المرتفع»). و«الدائرة» (ككر) التي تلي لا بد أنها كانت تشير في الأزمنة التوراتية إلى الشعاب التي تشكّل حوضي وادي صبيا ووادي بيش في محيط جبل هروب، كما ذكرنا. وكذلك، فإن قدم لوط ليست «الشرق» بالتأكيد، بل مورد الغمد قرب ريدان جبل هروب^(١١).

(١٠) يحتمل أن تقع الغمر هذه خارج محيط التساقط البركاني لعكوة. وهذا هو الأمر بالنسبة لـ «عمورة» أخرى في منطقة جيزان، التي هي الغمرة في جبل بني مالك. و«عمورات» عسير (سواء بالغين أو بالعين) أكثر عدداً من أن تحصى.

(١١) اخترع الباحثون التوراتيون تعبير «بتسابوليس»، أي «المدن الخمس» لـ «سهل الأردن»، إشارة إلى «سدوم» و«عمورة»، و«أدمة» و«صبويم» (انظر الفصل ٤) و«بالع - صوغر» (التكوين ١٤)، على أنهم لم ينجحوا في تحديد موقع أي من هذه «المدن الخمس» في وادي الأردن الفلسطيني. انظر سايونز، الفقرة ٢٧١.

وبالنسبة الى أسم المكان مصريم، لا بد من لفت الانتباه إلى أنه نادراً ما استخدم في التوراة العبرية للإشارة إلى «مصر»، كما يفترض عادة^(١٢). وحيث لا تشير الكلمة إلى المِصرمة في جوار أبها وخميس مشيط (انظر الفصل ٤ والفصل ١٣)، فهي تشير إلى مَصر في وادي بيشة، أو إلى المَصرُوم (مُصرم) في مرتفعات غامد، أو إلى آل مصري في منطقة الطائف^(١٣) (انظر الفصل ١٤). و«فرعون» التوراتي (فرعه)، كما سيذكر لاحقاً، لم يكن ملك مصر، بل يبدو أنه كان الحاكم المتسلط في وقت ما على «المِصرمة» وجوارها، امتداداً إلى «مصر» وجوارها في حوض وادي بيشة. وفرعا (فرعء) اسم لقبيلة ما زالت موجودة في وادي بيشة إلى اليوم. واسم هذه القبيلة لا يختلف في اللفظ عن فرعه التوراتية، ولعلّه استمرار في الوجود للقب حكام هذه الناحية في الأزمنة الغابرة.

وعندما يتم الاعتراف بأن «الأردن»، أي هـ- يردن التوراتية، ليست اسماً لنهر ما، بل لفظة تعني «الجرف، القمة، المرتفع»، أو هي اسم مكان مثل ريدان يحمل المعنى نفسه، يصبح سهلاً فهم تعابير توراتية مركبة أخرى تظهر فيها اللفظة نفسها. وقد لوحظ سابقاً أن يردن يرحو (سفر العدد ٢٦: ٣ و٦٣، ٣١: ١٢، ٣٣: ٤٨ و٥٠، ٣٥: ١، ٣٦: ١٦) ليست «أردن أريحا»، بل هي «مرتفع وراخ» في بلاد زهران. وإلى جانب يردن يرحو، هناك تعابير توراتية أخرى تظهر فيها نسبة مماثلة

(١٢) بالنسبة للشكوك القديمة لدى علماء التوراة حول كون مصريم التوراتية تشير، بلا استثناء، إلى مصر، انظر:

Zeitschrift für Assyriologie, 37:67; *Reallexikon der Assyriologie* (ed. E. Ebeling and B. Meissner, Berlin, 1928), I, 255a; Harri Torczyner, *Die Bundeslade und die Anfänge der Religion Israels* (Berlin, 1930), pp. 67f.

(١٣) بالحكم من خلال توزيع أسماء الأمكنة هذه في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن مرص مصريم التوراتية (أي «أرض المصريين») كانت تشمل كامل حوض وادي بيشة، بالإضافة إلى حوض وادي رنية إلى الشمال.

إلى يردن، ولا بد من دراستها. إن معبروت هـ- يردن (القضاة ٣: ٢٨، ١٢: ٥ و٦)، مثلاً، لم تكن «مخاوض الأردن»، بل كانت «شعاب الجرف»^(١٤). وسفت هـ- يردن (الملوك الثاني ٢: ١٣) لم تكن «شاطيء الأردن»، بل «شفا الجرف». والشفا (قابل سفه بالعبرية) هو «حرف كل شيء وحده». وما زالت «الشفا» تستعمل في المصطلح المحلي للدلالة على حرف السراة في جنوب الحجاز وعسير. وجليلوت هـ- يردن (يشوع ١١: ٢٢) لم تكن «دائرة الأردن»، بل «أجلال الجرف» (جمع جلّ، والجل من الأرض «القطعة ذات جدار وحدّ معلوم»). والأجلال هي المدرجات الزراعية في الأراضي الجبلية.

وأخيراً، فمن الأكيد أن جءون هـ- يردن (ارميا ١٢: ١٥، ١٩: ٤٩، ٤٤: ٥٠، زكريا ١١: ٣) لم تكن «كبرياء الأردن» (أو «أدغال الأردن»، كما في معظم الترجمات الأوروبية). وكلمة جءون العبرية مثبتة بمعنى «مرتفع»، وما من سبب غير جموح الخيال يمكن أن يجعلها تعني «كبرياء»، أو «أدغال» بمعنى «الشجر الشامخ المرتفع». وعبرة جءون هـ- يردن يمكنها أن تشير إلى «مرتفع ريدان» (أي مرتفع جبل هروب). لكن الواقع هو غير ذلك. فهناك واديان في منطقة جيزان يسمى كل منهما اليوم وادي غَوَان (غوء ن). الأول منها واد ساحلي يصب في البحر عند بلدة الشَّقِيق، والثاني أبعد جنوباً، وهو من روافد وادي بيش، وينبع من النهاية الشمالية لقمة جبل هروب (يردن أو ريدان لوط) ويتصل بجداول مياه أخرى هناك. وللتفريق بين وادي «غوان الجرف» أو «غوان ريدان» هذا، ووادي غوان الساحلي إلى شماله، يسميه النص التوراتي المشار إليه جءون هـ- يردن. وهذا هو الأمر،

(١٤) فؤاد حمزة، الذي زار عسير سنة ١٩٣٤، أحصى ٢٤ من أمثال هذه الشعاب التي تعبر الجرف من النماص جنوباً، بغض النظر عن تلك التي بين النماص والطائف. انظر كتابه في بلاد عسير (الرياض، ١٩٦٨)، ص ٩١-٩٣.

بكل بساطة، بشأن هذه العبارة التوراتية التي حيرت حتى اليوم عقول
المفسرين.

إن إعادة النظر بنص واحد يتحدث عن جءون هـ - يردن هذا
سيكون كافياً هنا. وفي الترجمة العربية المعتمدة لهذا النص، وهو وارد في
سفر النبي زكريا ١١ : ١ - ٣، يقرأ محتواه كما يلي :

«افتح ابوابك يا لبنان (لبنون) فتأكل الأرض أركك (ء رز).
وَلُول يا سـرو لأن (كي) الأرز سقط، لأن (ء شر) الأعزاء
(ء دريم) قد خربوا. وَلُول يا بلوط (ء لون) باشان (بشن) لأن
الوعر المنيع (يعر هـ - بصور) قد هبط. صوت (قول) ولولة
الرعاة (ءللت هـ - رعيم) لأن فخرهم (ءدرتم) خرب. صوت
(قول) زجـرة الأشبال (شء جت كفـيريم) لأن كبرياء الأردن
(ج ء ون هـ - يردن) خربت».

وهناك غموض في هذه الترجمة. فمن هم «الأعزاء» الذين خربوا؟
وما هو «الوعر المنيع»، ناهيك عن «كبرياء الأردن»؟ وما هو الفعل أو
الخبر المحذوف المتعلق بـ «صوت وَلُولَة الرعاة» و«صوت زجـرة الأشبال»
في الجملتين الأخيرتين الناقصتين في حلتها العربية على الأقل؟ وما على
الباحث إلا أن يقابل هذا النص بالأصل العبري حتى تتضح الأخطاء
اللغوية التالية فيه :

أولاً، إن ءشر في العبرية تختلف عن كي التي تعني «لأن»، وهي
اسم موصول تقابله بالعربية عبارة «الذي». ولذلك فالجملة العبرية في
الأصل، هـلل بروش كي نفل ءرز ءشر ءدريم شددو، هي جملة واحدة
وليست جملتين كما في الترجمة. وهي تعني حرفياً: «وَلُول يا سـرو لأن
(كي) الأرز الذي (ءشر) أخربته ءدريم قد سقط (نفل)».

ثانياً، ءدريم بالعبرية هي جمع مذكّر للفظ ءدر، والجذر منها يقابله
في العربية ذرو ويفيد معنى الشموخ والارتفاع. ويقابل لفظ ءدر

بالعربية «الذروة»، أي «القمة». ولذلك فكلمة عدريم بالعربية تفيد معنى «الذرى» أي «القمم» قبل أن تفيد معنى «الاعزاء». والقمم التي تسبب خراب الاشجار بالنار (كما هو واضح من النص) هي الذرى البركانية، لا غيرها (انظر الملاحظات الجغرافية لاحقاً).

ثالثاً، يعر هـ - بصور هي في العبرية نكرة مضافة إلى معرفة، وليست نكرة موصوفة بنكرة، أو معرفة موصوفة بمعرفة، لكي تعتبر نعتاً ومنعوتاً. ولذلك فالعبارة لا يمكن أن تعني «الوعر المنيع»، حتى لو سلمنا بأن هـ - بصور تعني المنيع، وهي بالأكيد لا تعني ذلك.

رابعاً، إن لفظة قول بالعبرية تعني «صوت» أو «صراخ»، لكنها أيضاً فعل أمر بمعنى «اسمع». وترجمة قول كفعل أمر يستقيم التركيب النحوي في الجملتين الأخيرتين الغامضتين من النص.

خامساً، بناء على أن عدر تعني «الذروة»، فلفظة عدرتم معناها «ذروتهم» أو «قمتهم» أو «جبلهم» وليس «فخرهم»، والضمير هنا يرجع إلى رعيم، وفي الترجمة «الرعاة».

سادساً، إذا كانت كفيريم (جمع كفير) تعني «الشبل»، فالترجمة الصحيحة لعبارة شءجت كفيريم هي «زججرة أشبال» وليس «زججرة الاشبال»، لأن كفيريم لا تحمل أداة التعريف في العبرية. ولعل المعنى بلفظة كفيريم شيء آخر تماماً.

وبالإضافة إلى هذه الملاحظات اللغوية، هناك ملاحظات جغرافية تتعلق بالنص تلخص بما يلي:

١ - هناك جبل لبنان المعروف بالشام، والشجر فيه هو الارز. وهناك أيضاً لبنان بالحجاز، وقد ذكر الجغرافيون العرب (ومنه ياقوت الحموي) انه «جبلان قرب مكة يقال لهما لُبْنُ الأسفل ولُبْنُ الأعلى». وإضافة إلى ذلك هناك لبنان في شمال اليمن، في جوار منطقة

نجران، وهو من «أسرار» (أي أراضي أو وديان) منطقة همدان اليمنية. وللبينان هذا ذكر في «صفة جزيرة العرب» للهمداني. والمرجح أن لبينان (وليس لبنان الشام أو لبنان الحجاز) هو لبنون الذي يشير إليه سفر زكريا. والأرز لا وجود له في تلك المنطقة، والشجر الذي يكثر في جوارها هو العرعر. والقواميس العربية تفيد بأن الأرز قد يكون العرعر. وليس هناك ما يمنع كون عرز لبنون التوراتي «عرعر لبينان»، لا «أرز لبنان».

٢ - في جوار لبينان بشمال اليمن مجموعة من القمم البركانية تسمى جبل حطاب. وقد وصفها فان بادانغ (ص ١٤ - ١٦) بأنها تقع على ارتفاع حوالي ٢٩٠٠ متر عن سطح البحر، وأنها تتألف من حوالي ٦٠ مخروطاً بركانياً، معظمها من عصور جيولوجية حديثة. وذلك يعني أن هذه البراكين كانت ناشطة في العصور التاريخية. وفوهات هذه البراكين وحقول حممها تنتشر حول جبل حطاب في كل الاتجاهات. وعند الحد الجنوبي لجبل حطاب توجد حتى اليوم قرية اسمها ضروان. والرأي السائد بين مفسري القرآن الكريم بأن ضروان هذه كانت اللجنة المذكورة في سورة القلم. ويقول الطبري في تفسيره: «ذكر أن اصحاب اللجنة كانوا أهل كتاب». ويقول الفخر الرازي في تفسيره، «قيل كانوا من بني اسرائيل». وفي هذا ما يشجع على الاعتقاد بأن براكين جبل حطاب المجاورة ربما كانت معروفة لدى زكريا وغيره من انبياء بني اسرائيل. وربما كانت الـ «دريم»، أي «الذرى» التي احترق عرز لبنون، أي «عرعر لبينان»، هي ذاتها الذرى البركانية الكثيرة المجتمعة في جبل حطاب.

٣ - إذا اعتبرنا أن لبنون سفر زكريا هو لبينان اليمن، وليس لبنان الشام، لا تعود هناك أية مشكلة بالنسبة الى موقع بشن (وهي «باشان» في الترجمة العربية، وقد ساد الاعتقاد حتى الآن بأنها تشير

إلى مرتفعات «البثنية» بين حوران والبلقاء، في جنوب الشام).
ويشن هذه لا بد أنها اليوم «البثنة» في جبل فيفا، بداخل منطقة
جيزان. وشجر (علون) ذلك الجوار ليس البلوط بل لعله البطم.

٤ - إذا كان عرز لبنون في النص يشير إلى «عرعر لبنان»، وعلون بشن
إلى «بطم البثنة»، فلعل الترجمة الصحيحة للعبارة الغامضة يعر
هـ - بصور هي «وعر الصابر» أو «غابة الصابر»، اعتباراً أن هـ -
بصور (مع أداة التعريف العبرية) هي قرية «الصابر» (مع أداة
التعريف العربية) في مرتفعات بني الغازي من منطقة جيزان (قابل
صابر، مع بصور).

٥ - إذا قرئت لفظة رعيم في عبارة ءللت هـ - رعيم على أنها جمع رعي،
بمعنى «راعي»، وجب ترجمة العبارة «ولولة الرعاة». لكن رعيم قد
تكون جمع رعي كنسبة إلى مكان اسمه رع، فتعني «أهل رع» أو
«سكان رع». وهناك في ناحية بني الغازي من منطقة جيزان وإد
صغير اسمه ريع (رع) ينزل من أحد جوانب جبل يسمّى مَصِيْدَة. وفي
ذلك ما يفسّر عدرتم (أي «ذروة» أهل وادي ريع) بأنها جبل مصيدة
هذا بالذات.

٦ - لعل كفيريم (وهي جمع مذكّر كفير) هي أيضاً اسم مكان وليس
كلمة عادية تعني «أشبال». وقد سبق أن جءون هـ - يردن هو وادي
غَوَان في جبل هروب المسمى قديماً ريدان (يردن). وفي جبل هروب
قرية تسمى «الرفقات» (جمع لصيغة المؤنث من رفق، قابل مع كفير)
قد تكون هي كفيريم سفر زكريا.

ويستخلص من جميع هذه الملاحظات اللغوية والجغرافية وجوب
إعادة النظر في ترجمة النص العبري لكامل هذا المقطع من سفر زكريا.
وربما كان المقصود به هو الآتي:

«افتح ابوابك يا لبينان فتأكل النار عرعرِكَ . وَلَوْلِ يا سرو
لأن العرعر الذي أخربته الذُّرى قد سقط . وَلَوْلِ يا بطم البثنة
لأن غابة الصابر قد سقطت . اسمع ولولة أهل ريع لأن ذروتهم
خربت . اسمع زججرة الرفقات لأن غَوَّان ريدان قد خرب» .

ومهما كانت الحقيقة في النهاية، فهناك شيء واحد أكيد بشأن هذا
المقطع من التوراة، وهو انه لا يتحدث إطلاقاً عن «كبرياء الأردن» .

٨ - أرض يهوذا

كانت أرض «يهوذا» في الأزمنة التوراتية تشمل الجانب البحوي من عسير الجغرافية، من الشق المائي لامتداد السراة (هـ - يردن الرئيسية للتوراة العبرية، انظر الفصل ٧) وحتى صحراء تهامة الساحلية (تهوم التوراتية، انظر الفصل ٦). وقد جرى التلميح إلى هذا كله قبلاً، ولكن ما هو البرهان؟

«يهوذا» في التوراة هو سبط من «أسباط اسرائيل»، أي قبائل بني اسرائيل، وقد أخذ هذا السبط اسمه من جدّه الأعلى يهوذا، بن يعقوب المدعو ايضاً اسرائيل. و«يهوذا» ايضاً اسم المملكة التي استمرت تحت حكم بيت داود بعد وفاة سليمان. ومن اسم هذه المملكة جاء اسم «اليهودية» كدين، لأن عبادة يهوه البدائية تحوّلت الى دين خلقي مصقول على ايدي «الأنبياء» الذين رعاهم ملوك «يهوذا».

والواضح أن «يهوذا» كان اسماً جغرافياً قبل أن يصبح اسماً لقبيلة من بني اسرائيل (حول القبيلة وموطنها، انظر الملحق)، وصيغته العبرية يهوده هي اشتقاق من يهد، المماثلة للعربية وهد، وهو جذرٌ يفيد معنى «الانخفاض». ومن الجذر وهد بالعربية الوَهْد والوَهْدَة، بمعنى «المنخفض» أو «الهوّة» في الأرض. ويهود^(١) ويهوده التوراتيتان تأتيان من

(١) يهود كانت الاسم التوراتي لمقاطعة «يهوذا» في أيام الأخمينيين.

العبرية يهد، ولا بد أنها كانتا تعبيرين طبوغرافيين ساميين قديمين يحملان المعنى نفسه .

والواقع ان الأرض الهضبية الممتدة على الجانب البحري من عسير الجغرافية ليست مجرد أرض تحتوي على قمم وسلاسل متضافرة فيما بينها، بعضها يبرز من الامتداد الرئيسي للسراة، وأخرى تقف معزولة هنا وهناك، بل هي تحتوي أيضاً على «وهاد» منخفضة تتعرج بين هذه القمم والسلاسل (انظر الفصل ٣) . ولا شك أن هذا هو ما أعطى «يهودا» القديمة اسمها^(٢) .

ويمكن للباحث أن يدرس أمثلة كثيرة من النص التوراتي لكي يبرهن أن أرض «يهودا» التوراتية، كموطن لبني اسرائيل على وجه العموم وليس لقبيلة «يهودا» وحدها (انظر الملحق)، كانت تضم المنحدرات البحرية لعسير وجنوب الحجاز حتى مرتفعات الطائف . وأحد الأمثلة الواضحة يأتي من روايتين في سفر عزرا ٢ : ٣ - ٦٣ وسفر نحميا ٧ : ٨ - ٦٥ عن عودة بني اسرائيل في أيام الأخمينيين من الأسر في بابل إلى أرض «يهودا» . وهذان النصان، وباختلافات ضئيلة، يدرجان أسماء المجموعات العائدة من بني اسرائيل استناداً إلى البلدان والقرى الأصلية لها، وليس استناداً إلى القبيلة أو الأسرة في أية حال، كما اعتقد حتى الآن^(٣) . وباستعراض

(٢) استناداً إلى سفر التكوين ٢٩ : ٣٥ و ٤٩ : ٨ ، فإن الاسم يهوده يعني «ليمجد يهوه» (نحت من يهوه يده) . وهذا التفسير الميثولوجي للاسم هو من نسج الخيال، ولا يقره علم اللغة . وحتى الآن لم يجد العلماء لهذا الاسم تفسيراً ناجحاً، وقد افترض عموماً أنه كان في الأصل اسم قبيلة وليس اسم موطن . وفي العادة تسمى القبائل بأسماء مواطنيها، مع أن هنالك حالات تحمل فيها المواطن أسماء القبائل التي تسكنها . ولعل قبيلة «يهودا» الاسرائيلية كانت تحمل في زمانها اسم أرض «الوهد» من تهامة جنوب الحجاز وعسير، من وادي أضم شمالاً حتى مشارف منطقة جيزان جنوباً، فتسمت على اسم الأرض، ولم تتسم الأرض باسمها .

(٣) حتى الآن، اتجه الباحثون التوراتيون إلى الاعتقاد بأن الأسماء الواردة في اللائحتين والمسبوقه بكلمة بني، أي «ابناء»، كانت عموماً أسماء قبائل أو أسر، وأن تلك المسبوقه =

النصين، يمكن للباحث المزود بخريطة مفصلة لشبه الجزيرة العربية، وبالمعاجم المتوفرة عن أسماء الأماكن بالعربية كموجّه مضاف، أن يعثر بسهولة على الأكثرية العظمى من البلدان والقرى التي أورد ذكرها سفراً عزرا ونحميا، كمواقع ما زالت موجودة وتحمل الأسماء نفسها، أو بصيغ من هذه الأسماء يسهل التعرف إليها بشكل آني ومباشر، وذلك في أجزاء من غرب شبه الجزيرة العربية تمتد، بشكل تقريبي، من جوار الطائف والليث شمالاً وحتى منطقة جيزان في الجنوب. وحتى تلك الأسماء التي افترض أنها أسماء لـ «كهنة» أو «لاويين» أو «مغنين» أو «بوابين» أو «خدم المعبد» أو «عبيد سليمان»، هي أسماء تشير في الواقع إلى جماعات آتية من مناطق معينة في الإقليم العام نفسه ومن مناطق مجاورة في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً من منطقة نجران وجوارها. وهذا هو التعريف الجغرافي بهذه الفئات الست الأخيرة من الأسرى العائدين، التي لم تكن على الإطلاق مجموعات من «الكهنة» أو «اللاويين» أو «المغنين» أو «البوابين» أو «خدم المعبد» أو «عبيد سليمان» كما درج اعتبارها حتى الآن:

آ - «الكهنة» (هـ - كهنيم)، الفئة التي يقال أنها تعد اجمالياً ٤٢٨٩ (حوالي عشر عدد الاسرائيليين العائدين، والذي كان حوالي أربعين ألفاً)، وتقسم كما يلي (عزرا ٢ : ٣٦ - ٣٩، نحميا ٧ : ٣٩ - ٤٢):

١ - «بنو يَدْعِيَا (يدعيه).

٢ - «بنو إِمِير (إمير).

= بـ «نوشي، أي «شعب»، كانت بشكل رئيسي أسماء أماكن. وفي المصطلح العبري القديم، كما في العربية الحديثة، ينسب الناس إلى مكان تواجدهم كـ «أبناء» هذا مكان، أو كـ «شعب» (أو «أناس») المكان. واستخدام التعبيرين الاثنين في النص العبري نفسه كان - بلا شك - تبادلاً يهدف إلى أناقة النص، وليس إلى التفريق النوعي بين «الأبناء» و«الأناس».

٣ - «بنو» فشحور (فشحور).

٤ - «بنو» حاريم (حرم).

وكلمة كهنييم التوراتية هنا يجب ألا تؤخذ على أنها صيغة الجمع لكلمة كهن، أو «كاهن»، بالعبرية. ومن الصعب تصور أن واحداً من كل عشرة رجال من الاسرائيليين العائدين كان كاهناً. وبدلاً من ذلك، فإن كهنييم هنا يجب أن ينظر إليها على أنها جمع لـ كهني، منسوبة إلى كهن كاسم مكان، لتعني «شعب كهن». ويبدو أن الموطن الأصلي لـ كهنييم هو اليوم قهوان (قهن بلا تصويت، تعريباً لـ كهن التوراتية)، من قرى وطن سَلُوا بمنطقة نجران. وقد أدرج عزرا ونحميا أسماء الـ كهنييم (أي شعب قهوان) العائدين حسب اسماء بلداتهم الأصلية أو مناطقهم الأصلية (وليس أسماء أسرهم) كما يلي:

١ - يَدْعِيَا (يدعيه)، التي هي اليوم، بوضوح، الموطن القبلي «وَادْعَة» (ودع بلا تصويت)، في وادي نجران. ويتحدث عزرا (٢ : ٣٦) ونحميا (٧ : ٣٩)، كلاهما، عن بني يدعيه لـ بيت يشوع، المترجمة عادة «بنو يدعيّا من بيت يشوع» ولكنها تعني فعلاً «شعب وادعة إلى بيت يشوع (اسم مكان)»، نظراً لأن اللام كحرف جرّ في العبرية تعني «إلى» وليس «من». والمجتمع المشار إليه كان بلا شك سكان منطقة تمتد من موطن الوادعة الأساسي، في قلب وادي نجران، إلى واحة «وسيع» (قارن بالعبرية يشوع)، عند النهاية الشرقية لمنطقة اليمامة في وسط شبه الجزيرة العربية.

٢ - إُمَيْر (امر)، التي هي اليوم في الظاهر واحة «الأمار» (امر بلا تصويت)، في منطقة اليمامة في وسط شبه الجزيرة العربية، شمال شرق منطقة نجران.

٣ - فشحور (فشحور)، التي هي اليوم، بوضوح، وطن
الحرشف (بقلب الأحرف) من قرى يام نجران، أو
الحرشف من قرى وادي حبونا، شمال وادي نجران.

٤ - حاريم (حرم)، التي هي اليوم وادي حريم، عند الحدّ
الغربي لمنطقة اليمامة.

من هذا، يتضح ان كهنيهم كان اسماً أطلق في زمن التوراة على مجتمع
امتد موطنه من وادي نجران باتجاه الشمال حتى وادي حبونا، وباتجاه
الشمال الشرقي الى منطقة اليمامة في وسط شبه الجزيرة العربية.
والامتداد الواسع لهذه الأراضي قد يفسر لماذا كان الـ كهنيهم العائدون،
استناداً الى كل من عزرا ونحميا، بهذه الكثرة في العدد. ونظراً لوجود
أرض الـ كهنيهم في منطقة داخلية، فقد كانت، ولا شك، منطقة ملحقة
بأرض «يهودا» أكثر مما كانت جزءاً منها.

ب - «اللاويون» (هـ - لويم)، يقسمون كما يلي (عزرا ٢ : ٤٠
ونحميا ٧ : ٤٣):

١ - «بنو» يشوع (يشوع).

٢ - «بنو» قديمييل (قديميءل، أو قديميءل).

٣ - «بنو» هودويا (هودويه في عزرا، وهودوه في نحميا).

واللويم (جمع لوي، النسبة إلى لو أو لوه)، لم يكونوا «لاويين»
كهنوتياً، بل كانوا مجتمعاً يعود في أصوله الى ما هو اليوم قرية لاوة (لوه
بلا تصويت) في وادي أضم. وفي وادي أضم نفسه ما زالت هناك اليوم
قرية تسمى هُدْيَة، وهي ليست إلا «هودويا» المذكورة في كل من عزرا
ونحميا. وفي نصي عزرا ونحميا، يميز شعب هودويا، في وادي أضم،
عن مجموعتين أخريين من اللويم، يأتي الكلام عنهما معاً على أساس

أنهما «بنو يشوع وقدميثيل». وهذا لأن «يشوع» و«قدميثيل» كانا مكانين متجاورين قرب بلدة غُمَيْقَة الحالية في منطقة الليث، على مسافة ما الى الأسفل من وادي أضْم. وفي هذا الجوار تتمثل «يشوع» اليوم بقرية شَعْيَة (قارن مع يشوع التوراتية)، بينما تتمثل «قدميثيل» بقرية القَدَمَة (عل - قدم، قارن مع قدمي عل التوراتية).

ج - «المغْنُون» (هـ - مشرريم)، بمن فيهم «بنو آساف» (ءسف) (عزرا ٢ : ٤١، نحميا ٧ : ٤٤).

ولا شك أن هؤلاء كانوا مجتمعاً ينتسب الى قرية مَسْرَة (مسر)، في منطقة بارق غرب منطقة المجاردة من عسير. والى الشرق من مَسْرَة، في منطقة بُلْسَمَر، توجد قرية آل يوسف (يسف بلا تصويت)، وهي ولا شك «آساف» (أو ءسف) التوراتية.

د - «البَوَّابُون» (هـ - شعريم)، ويقسمون كما يلي (عزرا ٢ : ٤٢، نحميا ٧ : ٤٥):

- ١ - «بنو» شُلُوم (شلوم).
- ٢ - «بنو» أَطِير (ءطر).
- ٣ - «بنو» طلمون (طلمن).
- ٤ - «بنو» عَقُوب (عقوب).
- ٥ - «بنو» حَطِيْطَا (حطيطة).
- ٦ - «بنو» شوباي (شبي).

وهؤلاء الـ شعريم لم يكونوا «بوابين»، بل كانوا في الأصل من أهل المكان المسمى حالياً «الشعارية» (شعري بلا تصويت) في منطقة الطائف. وكل القرى المواطن للـ شعريم، كما أدرجت لدى عزرا ونحميا، يمكن العثور عليها في الجوار العام نفسه من هذه المنطقة. وهي: الشُّمُول (شلوم التوراتية)، و«وترة» (ءطر التوراتية)، والمنَّطَلَة

(طلمن التوراتية)، وعَقِيب أو عقوب (عقوب التوراتية)، والحَوِيط (ويبدو أنها صيغة معربة من حطيطاء التوراتية)، والثوابية (شبي التوراتية).

هـ - «خدم المعبد» (الترجمة المعتمدة باللغات الأوروبية للفظـة العبرية نَتِينِيم، والتوراة العربية لم تترجمها فأبقتها «النَتِينِيم»)، وقد أدرجوا على أنهم «بنو» أي أهالي ٣٥ مكاناً مختلفاً (عزرا ٢ : ٤٣ - ٥٤، نحميا ٧ : ٤٦ - ٥٦).

ومن الأكيد أن هؤلاء الـ نَتِينِيم، لم يكونوا «خدم معبد»، بل كانوا قبيلة منتشرة في مواقع مختلفة من مناطق جيزان، ورجال ألمع، وقنا والبحر. والمناطق الثلاث هذه متاخمة لبعضها البعض في جنوب عسير. وربما كان موطن القبيلة الأصلي إحدى قريتين تسميان اليوم طُناطن (طنطن، قارن مع العبرية نَتِين) في منطقة جيزان. وفي ما يلي القرى الـ ٣٥ التي جاؤوا منها:

١ - صِيحَا (صِيحء في عزرا، وصحء في نحميا): إما الصخية أو الصخي في رجال ألمع.

٢ - حَسُوفَا (حسوفء): الحُشَيْفَة، في منطقة جيزان.

٣ - طَبَاعُوت (طبعوت): ربّما كانت تُعَابَة في رجال ألمع، أو عَثَبَة في منطقة جيزان، والاسم الأقرب (بصيغة جمع المؤنث، كما بالعبرية) هو اسم قرية العثايبات، في منطقة القنفذة.

٤ - قِيروس (قرس): كِرس، أي من تسع قرى تحمل الاسم نفسه في منطقة جيزان، إلا إذا كانت كُروس (كروس) في المنطقة نفسها.

٥ - سِيَعَهَا (في عزرا)، سِيَعَا (في نحميا)، (سيعهء في عزرا،

وسيع في نحما، وفي الحالين مع أداة التعريف الأرامية
اللاحقة، تاركة الاسم سيعه أو سيع: السعي (سعي،
مع أداة التعريف العربية السابقة) في منطقة جيزان.

٦ - فادون (فدون): الفدنة. في منطقة جيزان.

٧ - لبانة (لبنه): اللبانة (لبنه بلا تصويت) في منطقة جيزان.

٨ - حجابة (حجبه): الحقة في منطقة جيزان، والحقة في
رجال ألمع.

٩ - عقوب (عقوب): العقبة في منطقة جيزان (تفريقاً عن
عقوب منطقة الطائف التي هي اليوم عقيب أو عقوب،
انظر أعلاه).

١٠ - حاجاب (حجب): الحاجاب في قنا والبحر، او الحجاب
(الحجاب المسيل) في رجال ألمع.

١١ - شُملاي (شملي): الشُملاء (شملء)، احدى قريتين
تَحملان الاسم نفسه في منطقة جيزان.

١٢ - حانان (حنن): حنينة (حنن بلا تصويت)، أو ربما الحنيني
(حنن بلا تصويت) في منطقة جيزان.

١٣ - جدیل (جدل): الجدل في قنا والبحر.

١٤ - جَحَر (جحر): جُحر، أو ربما الجُحرة في منطقة جيزان.

١٥ - رآيا (رءيه): راية في منطقة جيزان.

١٦ - رَصِين (رصين): بين امكانات عديدة، الاحتمال الأكبر
هو رضوان (رضون بلا تصويت) في منطقة جيزان، إلا إذا
كانت الرازنة (رزن بلا تصويت) في رجال ألمع.

- ١٧ - نقودا (نقوده أو نقود إذا أهملت أداة التعريف الآرامية اللاحقة): ناجد (نجد بلا تصويت) في منطقة جيزان.
- ١٨ - جَزَام (جزم): الجزايم (جزم بلا تصويت) في منطقة جيزان، إلا إذا كان هذا اسم جيزان (جزن بلا تصويت) نفسها.
- ١٩ - عَزَا (عزه): الغَزَوَة (غزو) في منطقة جيزان.
- ٢٠ - فاسيح (فسح): الصافح (صفح بلا تصويت)، واحدة من قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقة جيزان.
- ٢١ - بيساي (بسي): بَصوة في منطقة جيزان.
- ٢٢ - أَسَنَة (أسنه): الوَسَن (وسن) في قنا والبحر.
- ٢٣ - مَعُونِيم (معونيم، جمع معون أو معوني): المعاني (بصيغة الجمع العربية)، قريتان بالاسم نفسه في رجال ألمع، إلا إذا كانت الإشارة هنا إلى وادي المعائن (الجمع العربي لـ «مَعِين») في منطقة جيزان.
- ٢٤ - نفوسيم (نفيسيم، مثنى أو جمع نفيس): نَصِيفان (مثنى نصيف) في وادي أضم. ولا بد أن الاسرائيليين من أهالي هذه القرية القدماء كانوا قد وصلوها في الأصل قادمين من مكان يحمل الاسم نفسه في منطقة جيزان لم يعد موجوداً.
- ٢٥ - بقبوق (بقبوق): جُبْجُب في منطقة جيزان.
- ٢٦ - حَقَوْفا (حقوفه، مع أداة التعريف الآرامية اللاحقة): الحجفة (مع أداة التعريف العربية السابقة) في منطقة جيزان.
- ٢٧ - حَرَحُور (حرحور): لا يمكن العثور عليها كاسم لمكان

واحد، ولكنها ربما كانت الحُرَّ (خر)، المعرفة توراثياً
بالعلاقة مع الخيرة (خيره) المجاورة في رجال ألمع (أي «خرَّ
الخيرة») لتفريقها عن مكان آخر اسمه «حر» في منطقة
جيزان.

٢٨ - بصلوت (بصلوت): : يحتمل انه اسم قبيلة في صيغة
جمع المؤنث الكثيرة الشيوخ في العربية، مأخوذ عن اسم
المكان بصل، قارن مع البلاص (بلص بلا تصويت) في
رجال ألمع. وترجيحي أنه الاسم القديم لقبيلة بني صلب
الحالية في رجال ألمع. وإلا فهو صُلْبِيَّة (صليبي أو
صلبيت) في منطقة جيزان.

٢٩ - حَيْدَا (حميدة): ربما هي حميدة، في منطقة جيزان. لكن
المرجح أنها الحميداء (حميدة، مع الاحتفاظ بلاحقة
التعريف الآرامية الواردة في الاسم التوراتي)، في منطقة
البرك المحاذية لساحل جيزان.

٣٠ - حرشا (حرشء مع لاحقة التعريف الآرامية): الحُرْش
(مع أداة التعريف العربية السابقة) في منطقة جيزان.

٣١ - بَرْقُوس (برقوس): إما الكرباس أو الكُربوس في منطقة
جيزان. وهناك اليوم أيضاً قبيلة بالرقوش (ب- رقوش) في
سراة زهران، والاسم يطابق الاسم التوراتي تماماً.

٣٢ - سَيْسَرَا (سيسرء): لعلها وادي شرس (بقلب الأحرف من
سسر) في شمال اليمن. وهناك قرية اسمها شرسى
(شرسء) في منطقة الطائف.

٣٣ - تَامَح (تمح): الطمحة في منطقة جيزان.

٣٤ - نَصِيح (نصيح): نضوح في رجال ألمع.

٣٥ - حطيفا (حطيفاء): خطفا (خطفاء)، محافظة على لاحقة التعريف الآرامية دون أداة التعريف العربية) في منطقة جيزان.

من هذه التحديدات للقرى مواطن الـ نتييم، المتمركزة في جوار واحد من جنوب عسير، ومعظمها في منطقة جيزان، يبدو في غاية الوضوح أن هؤلاء لم يكونوا «خدم معبد»، بل قبيلة تسمت باسم مكان هناك (انظر أعلاه). والأمـر نفسه ينطبق على الفئة التالية:

و- «عبيد سليمان» (عبيدي شلمه)، الاسم الذي أدرج كـ «بني»، أي شعب أو قوم، من عشرة أمكنة (لا أسر) مختلفة.

وبدلاً من أن يكون هؤلاء «عبيد سليمان»، كان الـ بني عبيدي شلمه، أي بنو عبيدي (م) شلمه، قبيلة تعود في أصولها إلى ما هو اليوم قرية آل عبدان (عبدن) في ناحية فيفا من منطقة جيزان، والقرية هذه مُعرّفة توراتياً بالنسبة إلى قرية في الناحية ذاتها اسمها آل سلمان يحيى، واسم سلمان (أو سليمان) تعريب للاسم التوراتي شلمه. وقد عُرِفَت آل عبدان هذه بأنها «عبدان سلمان» لتمييزها عن موقع في ناحية بني الغازي من منطقة جيزان اسمه أيضاً عبدان. وهذه كانت مواطن هذه القبيلة في مختلف المناطق:

١ - سوطاي (سطي): ربّما هي آل صُوت (صت)، في منطقة جيزان، لكن الأرجح أنها الطويسة (بقلب الأحرف) من قرى يام نجران.

٢ - هَسُوفَرَت (هـ - سفرت): رَصَفَة في منطقة جيزان، وتبدو مختلطة نصاً مع آل سَفَرَة في منطقة بَلَسمر.

٣ - فَرُودا (فروء مع لاحقة التعريف الآرامية): ربما كانت

الفردة (مع أداة التعريف العربية)، في رجال ألمع،
والأرجح هوانها الرفداء (رفداء)، في بلسمر، لأن اسم
هذه القرية يحتفظ بلاحقه التعريف الآرامية.

٤ - يَعْلَة (يعله): ربما كانت عالية (عليه، بقلب الأحرف)،
أحدى قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقة جيزان، لكن
الأرجح انها الوَعْلَة، في منطقة القنفذة.

٥ - دَرْقُون (درقون): ربما كانت الدَرْق في منطقة جيزان،
مختلطة نصاً مع قَرْدَان (قردن) في منطقة الطائف.
والأرجح أنها الجرذان (جرذن، بقلب الأحرف)، من قرى
منطقة بلسمر.

٦ - جَذِيل (جدل): الجَذْلُ، في منطقة قنا والبحر (انظر
أعلاه).

٧ - شَفْطُيا (شفطية): الشُطَيْفِيَّة، أي من ثلاث قرى متجاورة
تحمل الاسم نفسه في منطقة جيزان.

٨ - حَطِيل (حطيل): تبدو أنها ساحل الحُلُوطي (حلطى،
بقلب الأحرف)، وتدعى أيضاً ساحل أبي عُلُوط (بالعين
بدلاً من الحاء)، في منطقة جيزان.

٩ - فُوخَرَة الظُّباء (فكرت هـ - صبيم، باعتبار كون صبيم
تصوت عادة على أنها مثنى صبي، أي «غزال»، انظر
الفصل ٤): الفَقَرَة، من قرى صبيا في منطقة جيزان،
وهي معرفة توراثياً بالنسبة إلى البلدتين التوأمين صبيا
والظبية. وهذان الاسمان هما الاسم ذاته، الأول بالصيغة
الآرامية، والثاني بالصيغة العربية.

١٠ - آمي أو آمون (ءمي في عزرا، وءمون في نحemia):

الاختلاط هنا هو بين اليامية (يمي بلا تصويت) ويماني
المروى (يمن بلا تصويت)، والاثنتان في منطقة جيزان.

إن تحديد مواطن من افترض حتى الآن انهم ابناء «الكهنة»
و«اللاويين» و«المغنين» و«البوابين» و«خدم المعبد» و«عبيد سليمان»
العائدون من الأسر البابلي الى أرض «يهوذا»، والذين كانوا في الحقيقة
ست مجموعات قبلية عرفت بأسماء أماكنها الأصلية، يكفي بحد ذاته
إلى الإشارة الى المكان الذي كان في الواقع أرض «يهوذا» التوراتية، قبل
الأسر البابلي وبعده. ولا ضرر من تحديد الأماكن المتبقية، من تلك
الواردة في عزرا ٢ ونحميا ٧ كمواطن أصلية للإسرائيليين العائدين من
بابل، وكلها في غرب شبه الجزيرة العربية. وتسهلاً، سيجري تحديد
هذه الأماكن حسب المناطق، انطلاقاً من الجنوب إلى الشمال:

آ - منطقة جيزان:

١ - آرح (مرح): رَحْ، إلا إذا كانت الرّحَا أو الوَرُخَة في
أقليم الطائف.

٢ - زُتُو (زتو، مع أداة التعريف الآرامية اللاحقة): ربما
كانت الزاوية (بلا تصويت زويت مع أداة التعريف
العربية السابقة)، والمسألة فيها نظر.

٣ - آطير (عطر، في عزرا فقط): وَتَر، إلا إذا كانت الوَتْرَة أو
الوتيرة (وتر بلا تصويت) في منطقة الطائف.

٤ - ببصاي (بصي): بَصْوَة (بصو) أو البُزَة، إلا إذا كانت
بَضَا (بضء) في منطقة الطائف.

٥ - حاريم (حرم): خُرْم، إلا إذا كانت عَرَبَات حارِم
«غدير» حرم بلا تصويت) في منطقة محایل.

٦ - تل حَرْشًا (تل حَرْشَه، أي «هَضْبَة» حَرْشَه) وتل ملح (تل ملح): جبل الحُشْر (بقلب الأحرف من حَرْش) وحَمِيل (حمل، بقلب الأحرف من ملح). والأخيرة في مرتفعات الحُرث.

٧ - أَدَان (في عزرا) أو أَدُون (في نحميا) (ءدن وءدون): الاختلاط في الظاهر هو بين قريرتين في منطقتين متجاورتين، أحدهما هي حالياً الأذن (ءذن) والأخرى هي الوَدَانَة (ودن).

٨ - حاريف (حريف، في نحميا فقط): الحَرْف، أي من خمس قرى تحمل الاسم نفسه. وهناك أيضاً حَرْف في رجال ألمع، وأخرى في منطقة بَلْسَمَر، وثالثة في منطقة القنفذة. ويمكن أيضاً أن تكون حَرْفًا في منطقة الطائف.

٩ - عناثوث (عتوت): عنطوطة.

١٠ - عزموت (عزموت في عزرا) أو بيت عزموت (بيت عزموت، أي «معبد» عزموت، في نحميا، والاسم بصيغة جمع المؤنث): العُصِيْمَات (مع الاحتفاظ بصيغة جمع المؤنث).

١١ - أدونيقام (ءديقم، وفي الظاهر ءدي قم، أي «أرباب» أو «أسياد» قم): أي من عدد من القرى في المنطقة التي تحمل اسم «القائم» (قءم).

ب - منطقة رجال ألمع:

١ - نطوفة (نطفه): قعدة آل ناطف (نطف بلا تصويت).

٢ - بيت إيل (بيت ءل): البَتِيلَة، حددت قبلاً في الفصل

السابع . وقد تكون ايضاً بتول في منطقة جيزان ، أو
البتلة في ناحية تنومة بالسراة .

٣ - عاي (هـ - عي) : الَغْي (غي) ، حددت قبلاً في
الفصل ٧ .

٤ - بَرَزَلَاي الجلعادي (برزلي هـ - جلعدي ، كلاهما في
صيغة النسبة ، والمنسوب اليه برزل و جلعدي) :
البرصة (هي في الظاهر عل برص ، وفيها تحوير عن
برز عل المختصرة إلى برزل) ، وهي معرفة توراتياً
بالنسبة الى موقع مجاور هو الجعد (عل - جعد ، وهي
تحوير عن جلعدي ، انظر الفصل ١١) .

ج - منطقنا قنا والبحر والبرك :

أ - عَزَجْد (عزجد ، وهي في الظاهر عز جد) : ربما كانت
عَزَ ، في منطقة البرك ، معرفة بالنسبة الى الجدة (جد) ،
في منطقة القنفذة المجاورة . والمسألة فيها نظر .

٢ - حبايا (حبيه) : الحُبوة في منطقة قنا والبحر ، إلا إذا
كانت القرية التي تحمل الاسم نفسه في منطقة بني
شهر ، أو الحَبِيَّة في منطقة جيزان . وفي حالات
أقل احتمالاً : حبوى والخبوا في وادي أضم .

د - منطقة محابيل :

١ - عادين (عدين) : عدينة .

٢ - عيلام (عيلام) : علامة ، إلا إذا كانت آل العَلَم
في ناحية تنومة ، أو غيلان في سراة غامد .

هـ - منطقة بلّحمر - بلّسمر :

- ١ - كروب (كروب) : ربما كانت الكَرْبَة (كرب) ، ويحتمل أيضاً أن تكون القرية (قرب) في منطقة جيزان ، أو قرية أخرى في منطقة الطائف .
- ٢ - باباي (بيي) : الباب (بب) ، على سفح جبل ضيرم .
- ٣ - التميم (تميم) : آل تَمَام (تمم) .

و - منطقة بارق :

- ١ - فرعوش (فرعش) : ربما كانت الجعافر (جعفر ، ولعلها تحويل عن فرعش بتحويل الشين لفظاً إلى جيم) ، إلا إذا كانت الجعافر في منطقة القنفذة المجاورة ، أو عجرة (عجرف) في منطقة قنا والبحر ، أو العرافجة (عرفج) في مرتفعات غامد .

ز - منطقة المجاردة :

- ١ - جبعون (جبعون في نحميا فقط) : آل جبعان (جبعن) .
- ٢ - نبو (نبو) : نبيه (نب) ، إلا إذا كانت النباة (نب) في منطقة الطائف (انظر الفصل ٧ ، الهامش ٤) ، أو نباة أخرى على سفح جبل ضيرم ، في منطقة بلّسمر .

ح - منطقة القنفذة :

- ١ - جَبَّار (جبر ، في عزرا فقط) : جُبَّار (جبر بلا تصويت) ، أو أيّاً من أماكن متعددة تحمل الاسم نفسه أو متفرعات عنه في أجزاء أخرى من عسير وجنوب الحجاز .
- ٢ - حاديد (حديد) : حذيد ، إلا إذا كانت حَدَاد (حدد) في

منطقة الطائف، أو وادي حديد في منطقة جيزان.

٣ - الأوريم (عوريم): الرّيام، إلا إذا كانت الرّيامة في منطقة بني شهر.

٤ - قرية عاريم (قرية عريم) وكفيرة (كفيره) وبثيروت (بعروت): النص الوارد في يشوع ٩: ١٧، حيث تذكر الأمكنة الثلاثة معرّف بعضها البعض الآخر، وبالترافق مع جبعون (انظر أعلاه، تحت منطقة المجاردة)، تشير بوضوح إلى منطقة القنفذة وجوارها حيث هناك قرية عامر (قرية عريم) والقفرة (كفيره)، ورثة التي ربما كانت بعروت. ورثة هذه من منطقة المجاردة المحاذية لمنطقة القنفذة.

ط - وادي أضم (منطقة الليث):

١ - فحث مؤاب (فحث موءب): الفاتح (فتح بلا تصويت) معرفة بالنسبة أم الياب المجاورة (أم يب) التي هي مؤاب التوراتية (انظر الفصل ٧)، لتمييزها عن الفاتح في منطقة قنا والبحر.

٢ - يشوع (يشوع): شعية (شعي). وقد أورد كل من عزرا ونحميا «يشوع» هذه كتابعة لـ «فحث مؤاب» (حول التابعة الأخرى «يؤاب»، انظر تحت منطقة الطائف).

٣ - يوره (يوره، في عزرا فقط): ورية.

٤ - بيت لحم (بيت لحم، أو «معبد» لحم، ولحم تعني حرفياً «خبز» أو «طعام» أو «تموين»، وهي في الظاهر اسم لاله للمؤمن): أم لحم (أم لحم، وتعني «أم»، أي

«إلهة» الـ «خبز، طعام، تموين»^(٤).

٥ - الرّامة (هـ - رمه، مع أداة التعريف): ذا الرامة^(٥).

٦ - جبع (جبع): هذا الموقع الذي يترافق اسمه في التوراة مع «الرّامة» و«خمّاس» (انظر أسفل) هو بالتأكيد العقبة (عقب، قابل مع جبع) في وادي أضّم، وليس جبع في وادي حلي، على كون الموقع الثاني يحمل الاسم التوراتي بدون تحريف.

٧ - خمّاس (مكمس): مَقْمَصُ^(٦).

٨ - مغبيش (مجيّش): مشاجيب (بقلب الأحرف).

ي - سائر منطقة الليث وبلاد غامد وزهران :

١ - طوبيا (طوبيه): يبدو أنها بويط (بقلب الأحرف) في وادي الجائزة.

٢ - أونو (ءونو): أوان في وادي مدركة، إلا إذا كانت وئنة

(٤) الأمر الذي يفرض تحديد بيت لحم التوراتية بكونها أم لحم، في وادي أضّم، وليس أي مكان آخر، هو توافق اسم بيت لحم في العديد من النصوص التوراتية مع اسم المكان «أفراته» (ء فرت) الذي هو اليوم فُرت (فرت) قرب أم لحم، في وادي أضّم نفسه. وخذ، على سبيل المثال، ميخا ٥ : ١ : «أما أنت يا بيت لحم أفراته، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا». . . انظر أيضاً الفصل ٩.

(٥) هذه هي «الرامة»، قرب «بيت لحم»، التي دفنت فيها راحيل زوجة يعقوب، حسب سفر التكوين. وهي «الرامة» المذكورة في إرميا ٣١ : ١٥ : «صوت سمع في الرامة، نوح بكاء مرّ. راحيل تبكي على أولادها وتبكي أن تتعزّى عن أولادها لانهم ليسوا بموجودين». وحول راحيل، انظر الملحق.

(٦) لاحظ التوافق بين «جبع» و«خمّاس» مع «الرامة» (انظر الهامش ٦) في اشعيا ١٠ : ٢٨ - ٢٩ (وخمّاس وردت في اشعيا خمّاش في الترجمة العربية).

(وين) في منطقة بني شهر.

٣ - يؤاب (يوعب): الياب، في بلاد غامد قرب بَلْجَرَشِي .
وقد ذكرت في عزرا وفي نحميا كتابعة لـ «فحث مؤاب» (انظر تحت وادي أضم). ويؤاب الأخرى
الممكنة الأقرب الى «فحث مؤاب» هي بواء في منطقة
الطائف. وعلى العموم، فان الاسمين يؤاب (ي.ع) والياب (ي.ع) يتطابقان تماماً.

٤ - عيلام الآخر (عيلم ءحر): الاشارة هنا هي الى جبل
العلماء (علم) ووادي يَحْر في تهامة زهران، واسم
الجبل منسوب توراتياً الى اسم الوادي (بالعربية «علماء
يحر»). وليست المسألة هنا مسألة «عيلام آخر» أو
«أخرى».

ك - منطقة الطائف:

١ - زكاي (زكي): المرجح انها الضيق، إلا إذا كانت
الضيقة بمنطقة غميقة. وهناك امكانات أخرى.

٢ - باني (بني، في عزرا) أو بنوي (بنوي، في نحميا):
والاختلاط هو بين مكانين في منطقة الطائف، هما
قريتا البني والبنيا.

٣ - لود (لد): اللد، إلا إذا كانت اللدة في وادي الجائزة،
في منطقة الليث.

٤ - أريحا (يرحو): ورخة (ورخ)، إلا إذا كانت مثل
«أريحا» (يريمو ويرحو) التي نوقش امرهما في الفصل
٧، وهما الرّخية في وادي أضم، ووادي وراخ في

من بين أسماء الأماكن الـ ١٣٠ الواردة في لوائح عزرا ونحميا، والمحددة بقرى غرب شبه الجزيرة العربية الواردة أعلاه، هناك أماكن قليلة قد تبقى غير مؤكدة. وبالمقابل، ليس هنالك إلا قلة ضئيلة جداً من هذه الأسماء نفسها حددت بأماكن موجودة في فلسطين. وربما كانت هذه الأسماء أربعة فقط، وهي بيت لحم ولدّ ونبو وأريحا (انظر مقابلات الاسماء التوراتية المطروحة هنا بأسماء المواقع الفلسطينية في سايمونز، الفقرة ١٠١١ وما يلي). وهذا وحده له أن يقود الى الاستنتاج بأن الأرض التي تسمّيها التوراة «يهوذا» (وهي غير «اليهودية» في فلسطين المذكورة في الأنجيل)^(٧) يجب البحث عنها في غرب شبه الجزيرة العربية، وليس في أي مكان آخر. والأراضي التي كانت أراضي «يهوذا» هذه تشمل المنحدرات البحرية لجنوب الحجاز وعسير، من منطقة الليث في الشمال الى منطقة جيزان في الجنوب ضمناً، وكذلك منطقة الطائف عبر الشق المائي من منطقة الليث. ويمكن للباحث أن يحلّل نصوصاً توراتية أخرى تتعلق بجغرافية أرض «يهوذا» لزيادة البرهان أن هذه الأرض كانت في عسير وجنوب الحجاز، وليس في فلسطين. لكن مثل هذا العمل لا نهاية له، وما ورد في هذا الفصل يكفي لاثبات الحد الأدنى من الواقع.

(٧) «اليهودية» في فلسطين، وهي منطقة القدس والخليل، اتخذت اسمها في العصرين الهليني والروماني من سكانها اليهود، وليس من اسم شعب أو أرض «يهوذا».

٩- أورشليم ومدينة داود

كان الملك داود هو الذي أخذ «أورشليم» و«حصن صهيون» من اليوسيين، ونقل إليها عاصمته من «حبرون» في السنة الثامنة من ملكه على «يهوذا» (صموئيل الثاني ٥ : ٥ - ١٠). هذا ما يعرفه كل قارئ للتوراة. وهناك خمسة أمكنة تسمى حبرون ما تزال موجودة تحت اسم خربان (خربن، بقلب الأحرف) على المنحدرات البحرية لعسير، ومن بين هذه الأمكنة الخمسة يحتمل أن عاصمة داود الأولى كانت قرية الخربان الحالية في منطقة المجاردة، التي كانت ذات يوم «حبرون» أبرام، أي ابراهيم (انظر الفصل ١٣) (١). وكما سنرى، لا بد أن «أورشليم»

(١) ليست هنالك عملياً أية «حبرون» في فلسطين. وفي فلسطين أطلق اليهود والمسيحيون الاسم على بلدة الخليل الواقعة في الأراضي المصيبة جنوب «أورشليم» الفلسطينية، أي القدس. ونظراً لأن «حبرون» التوراتية ترتبط بسيرة حياة ابراهيم، الذي يصفه القرآن الكريم (٤ : ١٢٥) بأنه «خليل» الله أي «صديقه»، فقد قبلت التقاليد الإسلامية التعريف اليهودي والمسيحي للخليل الفلسطينية على أنها «حبرون» ابراهيم. عملياً، اسم المكان «الخليل» لا يعني «الصديق»، بل هو تعريب لاسم مكان «سامي» قديم هو خليل (من حلل في العبرية، أي «جَوْف»، قارن بالعربية حلل، أي «اخترق، نفذ إلى») وتعني «كهف» أو «مغارة». ولا بد أن البلدة الفلسطينية كانت قد أخذت اسمها في الأصل من الكهف المعروف المجاور لها (والذي أورد ذكره الجغرافيون العرب)، والذي كرس في التقاليد التالية على أنه ضريح ابراهيم. ويمكن تحديد كون خربان منطقة المجاردة المحاذية لمنطقة القنفذة كانت عاصمة داود الأولى من خلال تحديد مواقع أسماء أمكنة أخرى مترافقة معها، مثل «جبعون» (جبعون) التي هي اليوم آل جبعان، =

كانت تقع على مسافة ما صعوداً باتجاه الشرق، في جوار النماص أو تنومة، أي في مرتفعات السراة عبر جرف عسير. ويظهر ان اليوسيين (هـ - يوسي، نسبة الى ييوس)، الذين كانوا يسيطرون على البلدة في الأصل، كانوا احدى القبائل أو الأقوام العديدة التي سكنت غرب شبه الجزيرة العربية في الزمن القديم (انظر الفصل ١٥). وبين أمكنة أخرى، ما زالت هناك ثلاثة تستمر في حمل اسمهم بوضوح، وهي: قرية يياسة في وادي أضم، ومنخفض وادي يئس أو يئيس على الجانب البحري من بلاد غامد، وقرية يئس في منطقة المظيلف. ومع ذلك، يبقى السؤال: وماذا عن «أورشليم»؟

نبدأ هنا بالتدقيق في النص العبري لصموئيل الثاني ٥: ٦ - ١٠ الذي يتحدث عن كيفية استيلاء داود على «أورشليم». وقد ابدى الباحثون التوراتيون العجب لما اعتبروه ضالة مذهلة في المعلومات التي يقدمها هذا النص، خصوصاً وأنه يعالج حدثاً كبير الأهمية في تاريخ بني اسرائيل (على سبيل المثال، انظر كرايلينغ، ص ١٩٥ - ١٩٧). والواقع هو أن هذه الضالة في المعلومات ليست ناتجة عن تقصير في النص المذكور، بل عن الطريقة التي قرئ بها هذا النص وفهم تقليدياً من قبل الباحثين والمترجمين. وعلى سبيل المثال، فإن الترجمة العربية للنص تورده كما يلي:

«وذهب الملك ورجاله الى أورشليم الى اليوسيين (هـ - يوسي) سكان الأرض، فكلّموا داود قائلين: لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج، أي لا يدخل داود إلى هنا (لـ)»

= «وَجَلَقْتُ مَصُورِيمَ» (حلقت هـ - صريم) التي هي اليوم الحلق والصرام (والأولى منسوبة توراتياً الى الثانية) في المنطقة نفسها (انظر صموئيل الثاني ١٦: ٢). ويستبعد جداً أن يكون اسم «خربان» من «الخراب»، كما يتصور البعض، خصوصاً وأنه يرد كاسم مكان في ثلاث من خمس حالات بدون أداة التعريف العربية، وفي ذلك ما يدل على أن الاسم معرّب من أصل غير عربي.

تبوء هنه كي عم هسيرك هـ - عوريم و - هـ - فسحيم ل - عمر
 لء ييوء دود هنه). وأخذ داود حصن صهيون (و - يلكد دود
 ءت مصدت صيون). هي مدينة داود. وقال داود في ذلك
 اليوم إن الذي يضرب اليوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج
 والعمي المُبغضين من نفس داود (والجملة بالعربية ناقصة،
 وهي في الأصل العبري: و - يءمر دود بـ - يوم هـ - هوء كل
 مكه ييوسي و - يجع بـ - صنور وءت هـ - فسحيم و - ءت هـ -
 عوريم سنء و نفس دود). لذلك يقولون لا يدخل البيت
 أعمى أو أعرج (عل كن يءمرو عور و - فسح لء ييوء ءل
 هـ - بيت). وأقام داود في الحصن (بـ - مصده) وسماه مدينة
 داود. وبني داود مستديراً (سبيب) من القلعة فداخلاً (من
 هملاء و - بيته، وتقرأ تقليدياً من هـ - ملوء و - بيته، باعتبار
 الهاء في هملاء أداة تعريف). وكان داود يتزايد متعظماً والرب إله
 الجنود معه (و - يهوء ءهي صبءوت عمو)».

ولإظهار جلية ما يقوله هذا النص في أصله العبري، لا بد من
 الملاحظات التالية بشأنه:

أولاً، يقول النص أن الملك داود ورجاله ذهبوا «إلى أورشليم» وإلى
 اليبوسيين الذين كانوا هناك. وهذا لا يعني بالضرورة أن داود ورجاله
 ذهبوا «إلى أورشليم» بقصد فتحها. ولا يذكر النص في أي مكان آخر
 أن داود «أخذ أورشليم»، بل يقول بكل وضوح، وحتى في الترجمة
 العربية، أن ما «أخذه» هو «حصن صهيون» وليس «أورشليم». والواقع
 هو أن بني إسرائيل كانوا قد فتحوا «أورشليم» في أيام «القضاة»، أي في
 زمن سابق لزمن داود، وقد سمحوا لليوسيين الذين كانوا في البلدة
 بالبقاء فيها آنذاك. وكان اليبوسيون ما زالوا مقيمين في «أورشليم» عندما
 كتب سفر القضاة، وذلك بعد زمن داود بوقت طويل (انظر سفر القضاة

ثانياً، النصّ لا يقول أن «حصن صهيون» (في الأصل العبري مصدت صيون) كان في «أورشليم» بالذات أو في جوارها. وسيُتضح فيما بعد أن «صهيون» (والتهجئة في الترجمة العربية مأخوذة عن الصيغة السريانية للاسم التوراتي) لم يكن على الإطلاق اسم حصن «أورشليم»، بل كان اسماً لمكان آخر بعد عن «أورشليم». وتعرّف صيون في عدة مقاطع من التوراة على أنها هر صيون، أي «جبل» أو «هضبة» (وفي كلام أهل عسير «قوة») صيون. والهضبة هذه موجودة الى اليوم في مرتفعات رجال ألمع، غرب أبها، وبها قرية تحمل اسم هر صيون بالذات، وهي «قوة الصيان». ومصدت صيون قد تترجم بالعربية «حصن الصيان». لكن هناك في جوار قوة الصيان قرية اسمها الصمد، وأخرى اسمها أم صمدة (أم صمد، و أم البداية هي في العادة أداة التعريف في لهجة أهل عسير). ولعلّ أم صمدة، وليس الصمد، كانت هي مصدت أو «حصن» الصيان. وقد حرف اسمها التوراتي، واعتبرت ميم البداية فيه أم التعريف في اللهجة العسيرية (قابل «أم صمدة» مع مصدت).

ثالثاً، يقول النصّ بكل وضوح ان مصدت صيون، أي حصن الصيان، أو أم صمدة الصيان، «هي مدينة داود». ولا يقول النصّ إطلاقاً أن مدينة داود كانت «أورشليم».

رابعاً، تُرجم المقطع العبري و - يءمر دود ب - يوم ه - هوء كل مكه ييوسي و - يجع ب - صنور على أنه جملة واحدة: «وقال داود في ذلك اليوم إن الذي يضرب اليبوسيين و يبلغ الى القناة». والترجمة هذه لا تجوز لأن مقول القول فيها ناقص الفعل، كما هو ظاهر، وبالتالي فهو ليس جملة كاملة. والمقطع هذا هو في الواقع جملتان، لأن و - يجع ب - صنور الأخيرتين تشكلان جملة كاملة، ومعناها «ووصل إلى صنور» (انظر أسفل). أما الجملة الأولى من المقطع، وهي في الأصل و - يءمر دود

ب- يوم ه- هـ كل مكه ييوسي، فمعناها «وقال داود: في هذا اليوم تمت هزيمة اليبوسيين» (ومقول القول هو حرفياً، «في هذا اليوم كل هزيمة اليبوسيين»، وهو جملة اسمية كاملة، والمبتدأ فيها مؤخر). والواضح من النص ان داود قال هذا القول مباشرة بعد أخذه مصدت صيون. ويستنتج من ذلك أن مصدت (أي أم صمدة) وصيون (أي قعوة الصيان)، في مرتفعات رجال المع، كانت عند الحد الأقصى من أرض اليبوسيين.

خامساً، يستفاد من الترجمة العربية للنص الذي يجري البحث عنه هنا أن سكان «أورشليم» اليبوسيين اشترطوا على داود نزع «العميان والعرج» من البلدة. وهذا كلام لا معنى له. أما إذا أخذنا النص الأصلي، وتحفظنا تجاه ترجمة ه- عوريم و- ه- فسحيم بـ «العميان والعرج»، فيكون المفهوم منه ما يلي: «فكلموا داود قائلين: لا تدخل الى هنا ما لم تتخلص من الـ عوريم والـ فسحيم». والواضح أن كلام اليبوسيين هذا كان نصحاً لداود وليس تحدياً له. وفي الترجمة العربية للمقطع و- يجع ب- صنور وء ه- فسحيم وء ه- عوريم سنء و نفس دود ما يوحى بأن داود أمر رجاله بالهجوم على «أورشليم» عن طريق «القناة» (صنور)، حيث كان «العرج» و«العميان» المُبغضين من داود. والواقع هو أن صنور في هذه الجملة هي اسم مكان. وبناء على ذلك، فالترجمة الصحيحة للجزء الأول من هذا المقطع هي: «ووصل (داود) الى صنور والى الـ فسحيم والى الـ عوريم». أما الجزء الثاني، فلا يمكن أن يعني «المُبغضين من نفس داود» لأن سنء و بالعبرية هي فعل ماضٍ، معلوم لا مجهول، والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره هم، وليس هو، ويرجع الى الـ فسحيم والـ عوريم، وليس إلى داود. والجملة التي تلي سنء و نفس دود في الأصل هي، عل كنيء مرو عور وفسح لء ييوء ل ه- بيت، ومعناها حرفياً- «لذلك يقولون عور وفسح لا يدخل الى

البيت»، ويبدو ان الإشارة هي الى قولٍ أو مثل مألوف (قابل مع المثل العربي، «لا تدلّ البدوي على باب الدار»). وبذلك تكون ترجمة المقطع بكامله كما يلي: «كرهوا شخص داود. لذلك يقال عور وفسح لا يدخل البيت». وفي المقطع، على ما يظهر، محاولة لتفسير مثل شائع عن طريق ربطه بحدث تاريخي.

سادساً، يقول النصّ بكل وضوح ان داود، بعد وصوله إلى صنور وكسرتة لشوكة الـ عوريم والـ فسحيم، جعل إقامته بـ مصدت («في الحصن» أو «في أم صمدة») وليس في «أورشليم»، وأنه أسمى هذا المكان وليس غيره «مدينة داود». ويضيف النصّ، بالترجمة العربية، أن داود بنى «مستديراً» (سبب) من «القلعة» (هملوء، مقروءة هـ - ملوء، باعتبار هاء البداية كأداة تعريف كما سبق). والواضح هو أن ما بناه داود لم يكن «مستديراً» بل «سوراً». أمّا هملوء، فليست «القلعة» بل اسم مكان ما زال موجوداً في مرتفعات رجال ألمع، وهو اليوم قرية الهامل (مع الاستعاضة عن الهمزة الأخيرة في الاسم التوراتي، وهي لاحقة التعريف الآرامية، بسابقة التعريف العربية). والخلاصة هي أن ما بناه داود في جوار قعوة الصيان كان سوراً يبتدىء من الهامل ويمتدّ داخلًا، أي باتجاه «مدينة داود»، وهي على الأرجح أم صمدة كما ذكرنا^(٢).

سابعاً، تقول الترجمة العربية ان «الرّب إله الجنود» كان مع داود. والأصل العبري يقول، و- يهوه (فعل بمعنى «كان» وليس «يهوه»، أي «الرّب») ءلّهي صبءوت عمو، أي «وكان إله صبءوت (اسم مكان، وليس «الجنود») معه». وصبءوت التوراتية هي اليوم الصّبيّات في جوار النماص من سراة عسير.

(٢) من الضروري التحقّق من مدى التقارب بين قرى قعوة الصيان والهامل وأم صمدة، في رجاك ألمع، قبل البت نهائياً في هذا الأمر. وقد تعذّر عليّ أن أفعل ذلك شخصياً.

يبقى النظر في قضية صنور والـ عوريم والـ فسحيم . والواضح أن الأول هو اسم مكان بالمفرد والثاني والثالث جمع عور وفسح ، أو جمع نسبة الى عور وفسح (أي جمع عوري وفسحي) . والأكيد أن الكلمتين لا تردان في النص المطروح بمعنى «العميان» و«العرج» . ولا بد أن الإشارة في الاسمين هي الى قبيلتين من القبائل التي كانت تناصب بني اسرائيل أشدّ العداء . ويفيد النصّ بأن هاتين القبيلتين كانتا في جوار مكان اسمه صنور .

ويقول سفر القضاة ان بني اسرائيل عندما استولوا على «أورشليم» قبل زمن داود كانوا قد سعوا الى إخضاع «الجنوب» (هـ - نجب) ، وكذلك «البلاد الهضبية» أو «الجبل» (هـ - هر) و«الأراضي المنخفضة» أو «السهل» (هـ - شفه) ، من أراضي الكنعانيين (قضاة ١ : ٩) ، ولكن بلا نجاح على ما يظهر ، لأن سفر القضاة لا يذكر مثل هذا النجاح . ويستنتج من ذلك أن داوداً كان عليه أن يتّجه جنوباً من «أورشليم» ليستولي على باقي أرض اليبوسيين حتى قعوة الصيان وأم صمدة والهامل في رجال ألمع ، فيقول بعد أخذه لهذه المواقع : «في هذا اليوم تمّت هزيمة اليبوسيين» . وكان على داود ايضاً أن يستمرّ في الاتجاه جنوباً من هذه المواقع ليصل الى صنور ويكسر شوكة الـ عوريم والـ فسحيم ، وهما المبغضين لداود ، والذين كان يضرب بهم المثل بالازعاج فيقال عنهم انهم «لا يدخلون الى البيت» ، أي انهم شعب غير مرحّب به في البيوت . والواقع هو أن صنور التوراتية هي اليوم قرية الصرّان على سفح جبل هروب في شمال منطقة جيزان ، الى الجنوب من رجال ألمع . والباحث عن موطني الـ عوريم والـ فسحيم يجده في ذلك الجوار بكل سهولة ، فهما جبل عوراء (عور) الى الشمال من جبل هروب ، وصُخَيْف (صحف) ، من قرى جبل الحشر ، جنوب جبل هروب .

وهكذا تصبح جغرافية النصّ المطروح واضحة تماماً : داود اتجه

جنوباً من «أورشليم» ليستولي على جوار قعوة الصيان في رجال ألمع، ثم استمرّ في الاتجاه جنوباً الى الصرّان، في جبل هروب، وضرب «العورائين» و«الصحيفيين» (وليس «العميان» و«العرج») في ذلك الجوار، وذلك بناء على النصّح الذي تلقّاه من أهالي «أورشليم» اليبوسيين. ثم عاد من حملته هذه إلى رجال ألمع فحصّن «مدينة داود» في أم صمدة، بجوار قعوة الصيان، وجعل مقامه هناك ليبقى ساهراً على حدوده الجنوبية المهدّدة. وهكذا، فإن المعلومات التي يوردها سفر صموئيل الثاني عن أخذ داود لـ «مدينة داود» (وليس لـ «أورشليم») ليست ضئيلة، كما اعتقد علماء التوراة حتى اليوم، بل هي في غاية الدقّة والتفصيل. ويبدو أن التحصينات التي اقامها داود في جوار قعوة الصيان (وليس «جبل صهيون»)، بين الهامل وأم صمدة، لحماية مملكته من جهة الجنوب، كانت بالنسبة الى زمانها على جانب كبير من المناعة. وها هو ما قيل في وصفها في المزمور ٤٨ : ١٢ - ١٣ :

«طوفوا بصهيون (صيون) ودوروا حولها، عُدّوا أبراجها،
ضعوا قلوبكم على متارسها، تأملوا قصورها لكي تحذثوا بها
جيلاً آخر»^(٣).

ولا بد من الاشارة هنا إلى أنه، خلافاً للانطباع السائد، فإن التوراة العبرية لم تقل في الواقع، في أي مكان منها، ان «صهيون»، أو «مدينة داود» التي كانت بالتأكيد في جوارها، كانت جزءاً من «أورشليم». وذكر «صهيون» إلى جانب «أورشليم» في عدد من المقاطع التوراتية (مثل: المزامير ١٠٢ : ٢١، ١٢٥ : ١ و٢، ١٣٥ : ٢١، ١٤٧ : ١٢) لا يتضمن بالضرورة قرباً جغرافياً أو تعريفاً لأحد المكانين بالآخر. ومن نصوص

(٣) هذا المزمور منسوب الى «بني قورح» (بني قرح) الذين ما زال اسمهم حياً لم يمس، بكونه لقريني القرحة (قرح) في جبل قَيْفَا، والقرحان (قرحن) في جبل بني مالك، وكلاهما في منطقة جيزان، بعيداً الى الجنوب من رجال ألمع. وفي جملة سابقة من المزمور نفسه (٤٨ : ٢) بوصف «جبل صهيون» عملياً بكونه «في أقاصي الشمال».

مزامير عديدة (مثل : ٦٥ : ١ ، ٧٤ : ٢ ، ٧٦ : ٢ ، ١٣٢ : ١٣ ، ١٣٥ : ٢١) ، يمكن للباحث أن يجمل أن داود كان قد كرّس «صهيون» أو «جبل صهيون» - بغض النظر عن كونها الهضبة التي وجدت فيها مدينة داود - كمكان عبادة أو مقام مقدس بديل ، فيما يظهر ، لمقام أقدم اسمه «سالم» (شلم ، انظر الفصل ١٢ ، وليس «أورشليم» ؛ انظر المزمور ٧٦ : ٢) . ولا بد أن موقع مقام «صهيون» ، المختلف عن «مدينة داود» ، كان المرتفع الذي تقع فيه القرية الحالية قعوة الصيان . وبعوض التنقيب الأثري ، يمكن لحقائق القضية أن تزداد وضوحاً .

وفي ضوء ما قيل حتى الآن يجب البحث عن «أورشليم» التوراتية (يروشليم بالعبرية ، وتُعَرَّب يروشليم)^(٤) في منطقة ما الى الشمال من قعوة الصيان (وهي «جبل صهيون» في رجال ألمع) ، لأن داود اتجه جنوباً من «أورشليم» ليصل الى «حصن صهيون» كما سبق . والأرجح هو أن «أورشليم» هذه (المختلفة عن «أورشليم الفلسطينية» ؛ انظر الفصل ١) يمكن أن يعثر عليها فوراً على مسافة حوالي ٣٥ كيلومتراً إلى الشمال من بلدة النماص في سراة عسير ، شمال أبها . انها القرية التي تسمى اليوم آل شريم (عل شريم) ، التي يحتوي اسمها على بعض التحريف التعريبي عن الأصل يروشليم (تغيير موقعي الحرفين الراء واللام بين قسمي الاسم المركب)^(٥) . ووقوع منطقة النماص على ارتفاع حوالي ٢٥٠٠ متر عن

(٤) لقد اعتبر اسم يروشليم حتى الآن لغزاً . والأرجح هو أنه يعني «مقر» أو «مسكن» (الاسم يرو ، قارن مع مصدر الفعل بالعربية عري ، أي «سكن» أو «أقام») شليم (قارن مع الاسم القبلي الحلي «سَلِيم» في مرتفعات عسير) . والمصدر من الفعل عري يظهر في أسماء أمكنة أخرى في غرب شبه الجزيرة العربية ، كما في أزواء (عرو) وأروى (عرو) . وإذا لم يكن الاسم شليم اسم قبيلة (وربما قبيلة فرع من اليوسيين) ، فيحتمل أنه كان اسم إله محلي ، وربما تنوع في شلم (انظر الفصل ١٢) . وبالتالي فإن اسم المكان يروشليم يعني «مقر سَلِيم» ، أو «مقر شلم» (اسم الاله) .

(٥) ويحتمل أيضاً أن يكون الاسم يروشليم جمعاً لاسمين حاليين لقريتين ، هما : أروى (عرو) وآل سلام (سلم) في جوار تنسومة من السراة ، غير بعيد الى الجنوب من =

سطح البحر، كموقع مقترح لـ «أورشليم» التوراتية، يجعله في موضع استراتيجي للسيطرة سواء على الأراضي الداخلية أم على المنحدرات البحرية لعسير. وهناك طريق قديمة، يمتد مسارها فوق الجرف وعلى امتداد الشق المائي للسراة، تصلها بأبها وخيس مشيط في الجنوب، وبيلاذ غامد وزهران والطائف في الشمال، أي بكامل امتداد الأراضي القديمة لـ «إسرائيل» و«يهودا». وتتميز المنطقة بغناها الخاص بالبقايا الأثرية التي لم تستكشف بعد. وكانت توجد هنا، في الزمن التوراتي، أقداس ومقامات لا تحصى (انظر الفصل ١٢)، ومن بينها مقام ما يسمى «رب الجنود» («إله الصّبيات»، انظر أعلاه، والصّبيات هي اليوم من قرى النماص، وهي ليست بعيدة عن آل شريم). وللوصول الى «أورشليم» هذه في جوار النماص، من عاصمته الأصلية «حبرون» وهي الخربان في منطقة المجاردة (انظر أعلاه)، لم يكن على داود إلا أن يتجه صعوداً عن طريق وادي خاط، فيقطع المسافة في يومين بسهولة. وكعاصمة لمملكة تضم معظم عسير، كان موقع «أورشليم» (أي آل شريم) في مرتفعات النماص أفضل بكثير من موقع «حبرون» (وهي الخربان) في منحدرات المجاردة.

وبالرغم من أن داود اعتبر «أورشليم» هذه، بالقرب من مقام صباءوت (أي الصبيات)، عاصمته الرسمية على ما يظهر، يحتمل أنه أقام معظم وقته في عاصمته الثانية، وهي «مدينة داود» في رجال ألمع، ليراقب حدوده الجنوبية عن قرب. وهناك مات، أو هناك دفن على الأقل (الملوك الأول ٢ : ١٠). واستمر ابنه وخليفته سليمان، الذي يبدو أنه كان معه عند موته، في الإقامة في مدينة داود (أي في أم صمدة في رجال ألمع) «إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها» (الملوك

= النماص. وفي هذا الحال، ربما نسبت أروى الى قرية آل سلام المجاورة لتمييزها عن قرية آل عمر أرواء في المنطقة ذاتها. وهناك حاجة الى علم الآثار للبرهان على هذه النقطة بما لا يدع مجالاً للشك.

الأول ٣ : ١). وعندها فقط ذهب الى مقام «جبعون» (آل جبعان الحالية، في منطقة المجاردة) لتقديم الضحايا، ثم تابع سيره صعوداً من هناك ليدخل «أورشليم» (الملوك الأول ٣ : ٤ و ١٥). ويصادف هنا أن رحلة سليمان من «مدينة داود» إلى «أورشليم» عبر «جبعون» تبدو متكاملة في مغزاها الجغرافي. وعملياً، فإن إحدى الطرق التي تقود من رجال الملع الى منطقة النماص تمر عبر منطقة المجاردة^(٦).

وعندما تتضح للباحث حقيقة أن «أورشليم» التوراتية لم تكن «أورشليم» الفلسطينية أي القدس، بل على الأرجح قرية آل شريم الحالية في منطقة النماص من سرة عسير، أو مكان آخر قريب من آل شريم هذه (انظر الهامش ٥)، يمكن له ان يحدد فوراً، وبدرجات مختلفة من التأكد، ما هو مترافق مع أورشليم في النصوص التوراتية. و«أبواب» (سعر هو المفرد بالعبرية) أورشليم هي إحدى الحالات البارزة، إذ يمكن تحديدها حسب الأماكن التي سميت بأسمائها، والتي يحتمل ان تشير إلى الاتجاهات التي تفتح عليها:

١ - باب «بنيامين» (بن يمن، ارميا ٣٧ : ١٣، ٣٨ : ٧، زكريا ١٤ : ١٠): بين احتمالات عديدة، ربما كانت ذات يومين (يمن بلا تصويت) في منطقة بلسمر وبلحمر.

(٦) قصة خلافة سليمان، كما رويت في الملوك الأول، توحى بوضوح بأن «مدينة داود» و«أورشليم» كانتا مكانين مختلفين، يبعد أحدهما مسافة عن الأخرى. عملياً، ان المسافة المباشرة بين أم صعدة، في رجال الملع، وآل شريم، في منطقة النماص، تقارب ٨٠ أو ٩٠ كيلومتراً، أما مسافة السفر بينها عبر الطرق الجبلية المختلفة فأبعد بكثير. وعلى العكس من أبيه داود، قام سليمان بتجميل وتحصين «أورشليم» وجعل منها مقر إقامته الدائم. ومع اعتبار كون «مدينة داود» و«أورشليم» مكانين مختلفين، فإن «الدرج النازل من مدينة داود» الى أورشليم (هـ - معلوت هـ - يوردوت م - عبر دود) يجب ألا يشوش الموضوع، لأن هذا «الدرج»، أو «الدرجات» كانت «مذابح» أو «منصات» (معلوت) جلبت (يوردوت، وبالعبرية «واردات») من مدينة داود الى «أورشليم» (نحميا ٣ : ١٥)، وربما في أيام سليمان.

٢ - باب «الزاوية» (هـ - فته، الملوك الثاني ١٤ : ١٢، قارن مع أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ٢٣، أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٩، إرميا ٣١ : ٣٨، زكريا ١٤ : ١٠) : هي في الظاهر النِّبَافَة (بقلب الأحرَف، ومع أداة التعريف العربية بدلاً من العبرية) في منطقة بني عمرو في السراة.

٣ - باب «الدَّمَن» (هـ - شفت، نحemia ٢ : ١٣، ٣ : ١٣ و ١٤، ١٢ : ٣١) : بين احتمالات عديدة، ربما كانت الشُّفوة أو الشَّافِية (كلاهما شفت بلا تصويت) في رجال المَع.

٤ - باب «الشرق» (مزرح، وقد تقرأ م - زرح، أي «من مكان الشروق»، نحemia ٣ : ٢٩) : آل محرز (بقلب الأحرَف من مزرح)، احدى قريتين تحملان الاسم نفسه في منطقتي بني شهر وبلحمر، غرب النماص.

٥ - باب «أفرايم» (ء فريم، الملوك الثاني ١٤ : ١٣، قارن مع أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ٢٣، نحemia ٨ : ١٦، ١٢ : ٣٩) : الوُفْرَيْن (مثل ءفريم في المثنى) في منطقة بني شهر.

٦ - باب «السّمك» (هـ - دجيم، أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٤، نحemia ٣ : ٣، صفنيا ١ : ١٠) : ذات الدماغ (دمغ)، في حوض وادي بيشة، وقد ذكرها أحمد بن عيسى الرّداعي في أرجوزة الحج اليميني (انظر الهمداني، «صفة جزيرة العرب»، ص ٤٣٠). ويبدو أنه لم يعد لها وجود اليوم بهذا الاسم.

٧ - باب «العين» (هـ - عين، نحemia ٢ : ١٤، ٣ : ١٥، ١٢ : ٣٧) : والاشارة قد تكون الى ينبوع محلي، وإلا فهي الى القرية الحالية «العين» في السراة، في منطقة بَلَسمر، وهي القرية الأقرب الى النماص بهذا الاسم.

٨ - باب «الحليل» (هـ - سوسيم، نحما ٣ : ٢٨، إرميا ٣١ : ٤٠) : الإشارة هنا يمكن قد تكون إلى قرية السُوسِيَّة (الجمع بالعربية من سوس) في بلاد زهران، لكن الأرجح ان المقصود هو السُوس (تحويل بقلب الأحرف عن سوسيم) في رجال ألمع .

٩ - باب «العَدَّ» (هـ - مفقد، نحما ٣ : ٣١) : الأكثر احتمالاً هو الميناء الحالي القنفذة، الذي هو الميناء الأقرب الى منطقة النماص وجوارها، والذي يمكن لاسمه أن يكون تحريفاً تعريبياً لـ هـ - مفقد، مع تحويل أداة التعريف العبرية الى أداة التعريف العربية، كما في معظم الأحوال المشهودة.

١٠ - الباب «الأوسط» (هـ - توك، إرميا ٣٩ : ٣) : الطوق مع أداة إلتعريف العربية، في رجال ألمع .

١١ - الباب «إلتعيق» (هـ - يشنه، نحما ٣ : ٦، ١٢ : ٣٩) : ياسينة (يسنه بلا تصويت)، في منطقة القنفذة .

١٢ - باب «السجن» أو «الحرس» (هـ - مطره، نحما ١٢ : ٣٩) : ماطر (مطر بلا تصويت) في منطقة محایل .

١٣ - باب «الضَّان» (هـ - صون، نحما ٣ : ١ و ٣٢، ١٢ : ٣٩) : آل زَيَّان (زين بلا تصويت، الرديف فونولوجياً لـ صون)، في منطقة بلحمر .

١٤ - باب «بنيامين الأعلى» (بن يمن هـ - عليون، إرميا ٢٠ : ٢) : لا شك بأنها آل يمانِي (يمن بلا تصويت) في سراة بلقرن، شمال النماص، وهي منسوبة توراتياً الى قرية عليان المجاورة .

١٥ - باب «الوادي» (هـ - جيء، أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٩، نحما ٢ : ١٣ و ١٥، ١٣ : ١٣) : بين احتمالات عديدة،

الأرجح هي الجية (جي مع أداة التعريف) في منطقة النماص، إلا إذا كانت الجوّ (جو ومع أداة التعريف أيضاً) في منطقة بلسمر غرب النماص.

١٦ - باب «الماء» (هـ - ميم، عزرا ٨ : ١، نحميا ٣ : ٢٦، ٨ : ١ و ٣ و ١٦، ١٢ : ٣٧) : يحتمل أنها المومية في منطقة قنا والبحر المحاذية لرجال ألمع، ويحتمل أيضاً أنها المايّين (المثني بالعربية من «ماء») في منطقة المدينة، على امتداد طريق القوافل الرئيسية لغرب شبه الجزيرة العربية المتجهة الى الشام، إلا إذا كانت اشارة عملياً الى «ماء» محلية.

١٧ - الباب «وراء السعاة فتحرسون حراسة البيت» (ء حر هـ - رحيم و - شمرتم ءت مشمرت هـ - بيت مسه، الملوك الثاني ١١ : ٦) : والترجمة الأصح للأصل العبري هي : «حر ال رحيم وشمرتم بجانب برج الحراسة ل بيت مسه». والاشارة هي الى الأماكن الأربعة التالية، وجميعها في منطقة القنفذة وجوارها المباشر: اليُحور (بحر بلا تصويت)، وَصَروم (تحويل بقلب الأحرف عن رصيم)، والسَمَرَة (سمرت)، ولاحقة الميم في شمرتم العبرية هي ضمير الجمع المضاف اليه للغائب، ويعود الى بحر ورصيم)، وِحْلَة مصوى («مستوطنة»، نظراً ل بيت العبرية، أو «منزل» مصو، قارن مع مسه التوراتية). وبذلك يستقيم المعنى الجغرافي على الوجه الآتي: «باب يحور وَصَروم وحلّة مصوى المنسوبة اليهما».

١٨ - باب «بين السورين» (بين هـ - حميم، الملوك الثاني ٢٥ : ٤، قارن مع إرميا ٣٩ : ٤، ٥٢ : ٧) : الاشارة هنا الى «بين» (أي «ناحية» أو «مرتفع») آل حماطان في سراة

زهرا ن . والصيغة المعربة للاسم هي في صيغة المثنى ، كما في الأصل العبري (٧) .

١٩ - باب «شَلْكَة» (شَلَكْتَ ، أخبار الأيام الأول ٢٦ : ١٦) :
شقلة في منطقة القنفذة .

٢٠ - باب «السور» (هـ - يسور ، الملوك الثاني ١١ : ٦ ، أخبار الأيام الثاني ٢٣ : ٥) : آل يسير في منطقة تنومة ، جنوب النماص ، في اتجاه أبها .

٢١ - باب «يشوع رئيس المدينة» (يهوشع سر هـ - عير ، الملوك الثاني ٢٣ : ٨) هنا تبدو القرية الحالية شوعة (شوع) ، في منطقة قنا والبحر ، معرفة تورائياً بالنسبة الى قريتي السَّر (سر) والغار (غر) ، في منطقة رجال ألمع المجاورة بالعربية ، «شوعة سِرّ الغار» .

٢٢ - باب «الفَخَّار» (هـ - حسروت ، إرميا ١٩ : ٢) :
لعلّها الخريزات (تحويل بنقل الأحرف وقلب السين الى زين عن حسروت ، وهي أيضاً بجمع المؤنث كما بالعبرية) في جوار حلي من منطقة القنفذة .

٢٣ - «باب الرب الجديد» (سعر يهوه هـ - حدش ، إرميا ٢٦ : ١٠) أو «باب بيت الرب الجديد» (سعر بيت يهوه هـ - حدش ، إرميا ٣٦ : ١٠) : تبدو الإشارة هنا الى مقام قديم

(٧) الصيغة العبرية المفردة من الاسم حمت (كما في سفر العدد ١٣ : ٢١ و ٢٩ وأماكن أخرى من التوراة العبرية) استمرت في الوجود أيضاً في جنوب الحجاز وعسير كاسم لقرية تسمى ذوي حمط ، وست قرى تسمى حمطة . والخلط بين اسم المكان التوراتي هذا واسم حماء (حمه أو حمت) الواقعة في وادي العاصي في الشام فعل الكثير في ابعاد الفهم التقليدي للجغرافيا التوراتية عن مرماه . ولا بد من إعادة النظر بعناية بمضمون الاسم نفسه كما ورد في السجلات المصرية وفي السجلات الآشورية والبابلية القديمة .

كان مكرساً في زمن التوراة للربّ يهوه في القرية الحالية التي تدعى الحديثة (الترجمة العربية للكلمة العبرية هـ - حدش)، في منطقة القنفذة.

٢٤ - «الباب الأعلى لبيت الرب» (سعر بيت يهوه هـ - عليون، أخبار الأيام الثاني ٢٧ : ٣؛ والترجمة الأفضل هي «باب هـ - عليون بيت الرب») : والمقام المذكور لا بدّ أنه كان في آل عليان (ءل علين، أي «إله» علين) في منطقة النماص (انظر الفصل ١٢).

٢٥ - «الباب الأول» (سعر هـ - رءشون، زكريا ١٤ : ٤) : يحتمل أنها الرؤشن في وادي بيشة، وأقل احتمالاً كونها ريشان أو الروسان في منطقة الطائف^(٨).

ويمكن للباحث ان يتابع تحديد أماكن كثيرة وردت بأسمائها في التوراة العبرية بالعلاقة مع «أورشليم» (أقسام السور، الأبراج، الينابيع، الحقول، المباني، المدافن، الخ) حسب أسماء المواقع التي ما زالت هناك، ومعظمها في الجوار المباشر لآل شريم في منطقة النماص وما يليها من سرة عسير. وأحد الأمكنة التي لم أستطع بعد تحديدها بالاسم هو «جبل الزيتون» (هر هـ - زيتيم) الذي قدام أورشليم من الشرق» (زكريا ١٤ : ٤، كما في الترجمة التقليدية). والمكانان الآخران اللذان ارتبط اسماهما في النصوص التوراتية بـ «أورشليم» لم يكونا عملياً في الجوار المباشر للمدينة، والنصوص التي أوردتهما لم تقل أنها كانا كذلك :
١ - وادي هنوم أو ابن هنوم (بن هنم). واذا قرىء الاسم على

(٨) قارن بين تحديدات أسماء أبواب أورشليم هنا وتلك الواردة في كتاب ج. سايمونز :

J. Simons, *Jerusalem in the Old Testament* (Leiden, 1952).

وتحديدات سايمونز تعتمد فقط على المكتشفات الأثرية في أورشليم الفلسطينية، من دون أية أدلة اسمية تدعمها.

أنه هـ - نم، باعتبار هاء البداية أداة تعريف، يمكن لاسم هذا «الوادي» (جيء بالعبرية) ان يحدد فوراً بكونه النامة (نم بلا تصويت، مع أداة التعريف العربية) في منطقة بلّحمر، بين منطقة بني شهر ورجال ألمع. وهذا هو تماماً حيث يحدد الموقع في نص يشوع ١٥ : ٨ : «الى جانب اليبوسي (أي اورشليم) من الجنوب». واستناداً إلى الملوك الثاني ٢٣ : ١٠، فقد كان هناك في هذا الوادي مكان يسمى «توفة» (هتفت وتقرأ خطأ هـ - تفت). وليست هذه اليوم إلا قرية الهطّفة (هطفت) في الجوار نفسه (قارن مع سايمونز، الفقرة ٣٦). ويسمى الوادي حيث تقع قرية النامة اليوم وادي صَبَح.

٢ - جدول (أو غدير) قدرون (نحل قدرون): وهذا يجب ان يكون وادي بني عمر الأشاعيب، على المنحدرات البحرية من بلاد زهران، حيث توجد هناك قرية تسمى قدّران، وهو الاسم التوراتي «قدرون» بالذات. وفي الملوك الثاني ٢٣ : ٤ و٦، جاء بالعبرية: م - حوص ل - يروشلیم ب - شدموت قدرون، وم - حوص ل - يروشلیم ءل نحل قدرون. وفي الترجمة العربية المألوفة: «خارج اورشليم في حقول قدرون»، و «خارج اورشليم الى وادي قدرون». وهنا جاءت حوص في الواقع كاسم مكان هو اليوم حَوّاز (حوز بلا تصويت) في نفس الوادي الذي توجد فيه قدّران، في تهامة زهران. وباعادة ترجمة المقطعين هذين من الملوك الثاني ٢٣ يستقيم المعنى كما يلي: «من حَوّاز إلى اورشليم في حقول قدّران»، و«من حَوّاز إلى اورشليم، إلى وادي قدّران». وهذه الترجمة تطابق الاطار الجغرافي لذكر قدّران وحَوّاز في التوراة بشكل كامل: بأوامر من الملك

يوشيا ملك «يهوذا»، جمعت كل الأصنام الوثنية، لا من «أورشليم» وحدها، بل من كل المنطقة بين حوَّاز و«أورشليم»، وأخذت إلى حقول قِدران، أو إلى وادي قِدران، حيث أحرقت (حول التحديد التقليدي الواهي لـ «قدرون» خارج «أورشليم» الفلسطينية، انظر سايمونز، الفقرة ١٣٩).

في يوم ما، قد يؤكد علم الآثار التحديد المقترح لموقع «أورشليم» التوراتية باعتبارها القرية الحالية آل شريم، في مرتفعات النماص. والشيء الأكيد، هو أن «مدينة داود»، التي هي اليوم أم صمدة، في رجال ألمع، كانت مكاناً مختلفاً تماماً عن «أورشليم» هذه. وكما لوحظ سابقاً، كانت «مدينة داود» قد بنيت كبلدة حصينة لتحرس الحدود الجنوبية لمملكة داود. والسبب في اختيار مكان مثل آل شريم ليصبح عاصمة لهذه المملكة، بغض النظر عن كونه معقلاً جبلياً، كان - أولاً - موقعه المركزي بين وادي أضم وأقليم الطائف في الشمال، ورجال ألمع في الجنوب، نظراً لأن أراضي المملكة كانت تمتد بين هاتين المنطقتين، وكان - ثانياً - وقوع البلدة على امتداد الطريق الرئيسية الجبلية شرق جرف عسير، وهي الطريق التي تتصل عند نقاط عدة بطرق القوافل الداخلية شرقاً، وبالطريق الساحلي غرباً، والتي ما زالت تستخدم كطريق رئيسية بين الطائف وحدود اليمن الى اليوم. وعندما بُنيت داود نفسه في «أورشليم» هذه، لم يعد يحكم «يهوذا» وحدها، بل «كل اسرائيل» (صموئيل الثاني ٥: ٥)، كما فعل ابنه سليمان من بعده. واستناداً الى الملوك الأول ٤: ٢٥ (في الترجمات العادية)، امتدت الأراضي التي حكمها سليمان «من دان الى بئر سبع»، أي من الدنادنة في تهامة زهران جنوب وادي أضم (انظر الفصلين ١٠ و ١٤ والملحق) الى شباعة في مرتفعات خميس مشيط شرق رجال ألمع (انظر الفصل ٤). وبعد موت سليمان، انقسمت مملكة «كل اسرائيل» هذه إلى «مملكتين»

متنازعتين ، تسميان على التوالي «يهوذا» و«اسرائيل» . أما ما كانه «اسرائيل» في الأصل بالنسبة لـ «يهوذا» ، وما أدى اليه انقسام مملكة سليمان بعد موته ، فأمران يستحقان المعالجة على حدة . وهما المسألتان اللتان تشكلان الموضوع الرئيسي للفصل التالي .

١. اسرائيل والسامرة

إذا كانت «يهوذا»، أو يهوذا، أرض الشعاب والوهاد على امتداد الجانب البحري لجنوب الحجاز وعسير (انظر الفصل ٨)، فلا بد أن «اسرائيل» (يسرءل) كانت في الأصل مرتفعات السراة هناك. وقد كتب الكثير عن أصل الاسم، ولكن النتائج كانت مدعاة للتشويش أكثر منها مدعاة للتنوير. والقول في سفر التكوين ٢٨: ٣٢ بأن الاسم يعني «يجاهد مع الله» أو «الله يجاهد» (يسره ءل) ما هو إلا تفسير ميثولوجي من نسج الخيال. إن كون الاسم يسرءل مركباً من يسره وءل هو أمر مؤكد. ومع ذلك، فإن يسره هنا ليست المضارع من الفعل العبري سره بمعنى «جاهد، ناضل، قاتل»، بل هي اسم قديم من الفعل نفسه بمعنى الكلمة العربية سرو أو سري، و«السرو» هو «ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل»، و«السراة» (من سري) «أعلى كل شيء». ويتضح من ذلك أن الجذر من الاسم، كما هو مشهود بالعربية، يفيد معنى العلو والارتفاع والشموخ. وبالتالي، فإن الجزء الأول من يسرءل، أي يسره، هو اسم على وزن «يفعل» مشتق من سره بمعنى «شمخ، ارتفع»، ويقابله بالعربية اسم «السرو» أو «السراة» من الجذر ذاته. ويتضح من ذلك أن الاسم بكامله هو يسره ءل، أي «سراة الله»، والاشارة هي ولا شك الى مرتفعات السراة بين الطائف واليمن.

وكتعبير يعني «سراة الله»، لا بد أن الاسم يسرءل، أو «اسرائيل»،

كان اسماً جغرافياً قبل أن يصبح اسماً لشعب، وأخيراً لمملكة في غرب شبه الجزيرة العربية مختلفة عن مملكة «يهودا». والظاهر أن «إله السراة»، أي إله المرتفعات في جنوب الحجاز وعسير في القدم، كان يدعى «إله يسره». وهذه لائحة لمواقع في الحجاز وعسير ما زالت تحمل اسم «إله يسره هذا، أي «إله السراة»، إلى اليوم^(١):

- ١ - اليَسْر (إله - يسر) في منطقة محابيل.
- ٢ - اليَسْرِي (إله - يسر) في منطقة النماص.
- ٣ - اليَسْرِي (إله - يسر) في منطقة الطائف.
- ٤ - يَسْرَة (يسر) بجوار أبها.
- ٥ - آل يسير (إله يسر) بجوار تنومة.
- ٦ - اليسيرة (إله - يسر) في الحجاز، كاسم لقريتين.
- ٧ - يسير (يسير) في الحجاز.
- ٨ - آل ياسر (إله يسر) في منطقة القنفذة.
- ٩ - آل سِرَة (إله سره، محافظة على صيغة المصدر العبرية) في منطقة أبها.
- ١٠ - السَّرِيَة (إله - سري) في جوار خميس مشيط، شرق أبها.
- ١١ - أبو سَرِيَة (سري) في منطقة الطائف.
- ١٢ - السَّرِي (إله - سري)، الموقع غير محدد في المعاجم الجغرافية.

وهناك أسماء أخرى يمكن أن تضاف إلى تلك أعلاه مشتقة من سرو كتوزيع لـ سري بالمعنى ذاته. وما يكاد يماثل تماماً الكلمة العبرية يسره (مع «إله» لاحقة وليس سابقة) هو الاسم سُرْيُول (وهي في الظاهر تحريف

(١) إني مقتنع شخصياً بأن الـ طء نثر (أو «أرض الله») لدى المصريين القدماء هي أرض يسره التوراتية بالذات، أي سراة عسير الجغرافية. وبالنسبة إلى هوية «إله يسره» وإله السراة، انظر الحاشية التالية.

لـ (سري عل)، وهو اسم قرية في أواسط نجد^(٢).

وشعب «اسرائيل» لا بد أنه كان في الأصل مجموعة من قبائل بلاد السراة في غرب شبه الجزيرة العربية . وقد اتحدت هذه القبائل في زمن ما فأصبحت شعباً استوطن أرض «يهودا» ، وأقام لنفسه هناك مملكة في أواخر القرن الحادي عشر أو مطلع القرن العاشر قبل الميلاد . وكانت الظروف السياسية والاقتصادية في تلك الفترة ملائمة لظهور مثل هذه المملكة في غرب شبه الجزيرة العربية . فقد كان هنالك تراجع في الضغوط الخارجية على شبه الجزيرة العربية من جهة العراق والشام ومصر بعد حوالى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد ، مما مهد الطريق أمام ظهور دول محلية مستقلة في شبه الجزيرة . وقد جاء هذا التراجع في الضغوط الخارجية نتيجة لانحيار الدولة الحثية في شمال الشام في ذلك الوقت ، وضعف الدولة القائمة آنذاك في مصر ، بينما كانت الدولة الآشورية في العراق ما زالت في بدايتها . ومن ناحية أخرى ، كان هنالك ازدهار في تجارة القوافل العابرة لشبه الجزيرة العربية ، مما انعكس باستبدال الحمار بالجمل وجعله وسيلة النقل الرئيسية المعتمدة لهذه التجارة ، وذلك في مرحلة ما بين ١٣٠٠ و ١٠٠٠ قبل الميلاد . لكن مملكة «كل اسرائيل» (انظر الفصل ٩) التي ظهرت في حينه لم تعمّر طويلاً ، وسرعان ما فقدت وحدتها السياسية . وبحلول النصف الثاني للقرن العاشر قبل الميلاد ، كانت تسيطر على أراضيها سلالتان متنازعتان من الملوك : ملوك «يهودا» ، وعاصمتهم في آل شريم (الموقع المقترح لـ «أورشليم» التوراتية ، انظر الفصل ٩) ، وملوك

(٢) يفسر الاسم محلياً على أنه تصغير لكلمة «سروال» العربية، وهو تفسير غير مقنع من الناحية اللغوية . ولا بد أن عبادة عل يسره ، أو «اله السراة» ، كانت منتشرة في القدم في مناطق كثيرة من الجزيرة العربية . وربما كان الاله المصري القديم «أوسيريس» (واسمه بالمصرية القديمة «وسير» هو هذا الاله بالذات (قابل وسير مع اسم المكان «آل يسير» بجوار تنومة ، ومع سائر اسماء الأماكن المدرجة أعلاه) . ولعلّ وسير هذا كان الـ نتر (أي الإله) الذي كانت تنسب اليه طه نتر (أي «أرض الله») عند المصريين القدماء .

«اسرائيل». وكانت قد بدأت محاولات جديدة آنذاك للسيطرة الخارجية على غرب شبه الجزيرة العربية، أولاً من جهة مصر، وثانياً من جهة الدولة الآشورية ثم البابلية في العراق. وقد كان هذا، ولا شك، من العوامل التي أدت إلى قيام ودوام هذا الانقسام بين مملكتي «يهوذا» و«اسرائيل». (انظر الفصل ١).

وكان الباحثون التوراتيون، الذين يفكرون من خلال فلسطين، قد تحدثوا تقليدياً عن مملكتي «يهوذا» و«اسرائيل» المتنازعتين على اعتبار أنها المملكتين «الجنوبية» و«الشمالية» هناك، وافترضوا بالأخيرة أنها تركزت حول بلدة نابلس في شمال فلسطين. وفي غرب شبه الجزيرة العربية، كانت مراكز قوة «اسرائيل» الأصلية بالفعل شمال «يهوذا»، كما سيظهر لاحقاً. لكن الحدود الجغرافية بين هاتين المملكتين لم تكن ثابتة أو واضحة. والواقع هو أن الانقسام بين «يهوذا» و«اسرائيل» لم يكن جغرافياً بقدر ما كان انقساماً في الولاء السياسي والديني بين أبناء الشعب الواحد والأرض الواحدة. ويبدو أن ملوك «يهوذا» و«اسرائيل» كانوا يسيطرون في أحوال كثيرة على مواقع مختلفة في المناطق ذاتها. وكثيراً ما كانت هذه المواقع قريبة جداً من بعضها البعض. وكانت هذه بالتأكيد حالة أراضي «يهوذا» المركزية في منطقة القنفذة وجوارها من عسير. وكانت هي الحالة أيضاً في شمال البلاد، أي في منطقتي الليث والطائف (أنظر أدناه).

وكان أول من نصّب نفسه ملكاً على «اسرائيل»، بعد موت سليمان، هو «يربعام بن ناباط» الذي وصف بأنه «فرتي من هـ - صرده»، التي أخذت تقليدياً على أنها تعني «أفرايمي من صرده» (الملوك الأول ١١ : ٢٦). ومن الأمور ذات المغزى أن داود، مؤسس الأسرة التي استمرت في حكم «يهوذا»، وصف أيضاً بأنه ابن «رجل إفراي» (عفرتي)

من «بيت لحم» (سفر صموئيل الأول، ١٧ : ١٢). والنسبة «فرقي» هذه لا يمكنها أن تعني «أفرايمي»، كما هي مترجمة بالنسبة الى يربعام، وهذا مؤكد. و«أفرايمي» بالعبرية تكون «فريمي»، من «فريم» (مثنى «فر»)، وهي اليوم الوُفْرَيْن (مثنى «فر»)، في بني شهر (انظر الفصل ٩). والواقع أن «فرت» (والنسبة إليها هي «فرقي») ما زالت موجودة كاسم لقرية «فرت» (فرت) في وادي أضم، في منطقة الليث. وكما لوحظ سابقاً، فإن «بيت لحم» كانت قرية أخرى في وادي أضم نفسه، هي اليوم أم لحم (الترافقة مع «فرت» أيضاً في ميخا ٥ : ٢، راعوث ١ : ٢، ٤ : ١١). و«صردة»، البلدة موطن يربعام في جوار فرت، هي اليوم الصدرة (صدره مع أداة التعريف كما في العبرية)، وهي أيضاً في منطقة الليث. ولا شك في أن الصراع بين يربعام وبيت داود يعود في أصوله إلى تنافس أو نزاع قديم بين أسرتين من زعماء قبائل فرت وجوارها بوادي أضم، في منطقة الليث، وقد تطور هذا النزاع فيما بعد ليجري على مسرح سياسي أوسع.

وكان يربعام قد بدأ سيرته السياسية في خدمة سليمان، ثم انقلب عليه واضطر الى الهرب الى مصر، حيث طلب اللجوء عند الملك شيشانق الأول ويسمى في التوراة شوشق وشيشق (انظر الفصل ١١). وبعد موت سليمان، عاد يربعام من مصر الى «يهودا» ليتحدى خلافة رحبعام لأبيه سليمان بن داود، وينصب نفسه ملكاً منافساً على «اسرائيل» (انظر الملوك الأول ١١ : ٢٦ - ١٢ : ٢٠). ويقول سفر الملوك الأول ان يربعام «بنى شكيم (شكم) في جبل أفرايم («فريم») وسكن بها» (الملوك الأول ١٢ : ٢٥). ومع الأخذ في الاعتبار أن «أفرايم» التوراتية، كما لوحظ سابقاً، هي الوفرين، في منطقة بني شهر في الجوار العام لمنطقة القنفذة، فإن «شكيم» التي بناها يربعام وجعلها عاصمة له (وهي غير «شكيم» سفر التكوين) يمكنها أن تكون سُقَامَة (سقم) الحالية في وادي سقامة، على المنحدرات الجنوبية الغربية من بلاد زهران، وسقامة غير

بعيدة الى الشمال من بني شهر. لكن الأرجح أنها كانت القاسم (قسم) الحالية، في منطقة القنفذة^(٣).

بعد ذلك مباشرة، عمل يربعام على «بناء» (وربما تعني «تحصين») بلدة «فنوئيل» (فنبول، الملوك الأول ١٢: ٢٥)، التي ربما هي اليوم النفلة (نفل) في منطقة الطائف، إلا إذا كانت النُوف (عل - نوف)، وهو اليوم اسم جبل في بلاد زهران. ولمنع أتباعه من الذهاب للعبادة في «أورشليم»، جعل يربعام لهم مقامات جديدة في «بيت إيل» و«دان» (الملوك الأول ١٢: ٢٩ وما يلي). و«بيت إيل» (انظر أدناه) هي اليوم البطيلة، في سراة زهران. ولا شك في أن «دان» (دن) هي اليوم قرية الدنادنة في تامة زهران، حيث أن «دنادنة» بالعربية هي جمع النسبة الى اسم المكان الأصلي دن (انظر الفصل ١٤).

وبالرغم من أن عاصمته كانت «شكيم»، يبدو أن يربعام سكن أيضاً أحياناً في «ترصة» (ترصه، الملوك الأول ١٤: ١٧)، بجوار مكان آخر أدنى منها يدعى «جَبْثُون» (الملوك الأول ١٦: ١٧). ولا بد أن «جَبْثُون» (جبتون) هذه كانت موقعاً في وادي «النقبات» (نقبت) في بلاد غامد. وفي المرتفعات المجاورة لهذا الوادي من جهة الشمال، هناك قرية صغيرة تسمى اليوم الزير (زر بلا تصويت). ولعل هذه القرية كانت ترصه التوراتية. وجدير بالملاحظة أن المنطقة هناك غنية جداً بالخرائب والآثار.

وقد أقام ملوك «إسرائيل» الذين خلفوا يربعام عواصم لأنفسهم أولاً في «ترصة»، ثم في «يزرعيل» (إزدريلون) في السبعونية اليونانية)، ثم

(٣) ان شيلوه التوراتية (شله، وتهجاً أيضاً شلو أو شيلو)، التي كانت مقاماً تزوره زوجة يربعام (الملوك الأول ١٤: ٢ وما يلي)، هي اليوم إما آل أم شلوى (شلو) في رجال ألمع، أو (وهي الأرجح) أم شَلْوَة (شلو) في منطقة القنفذة، مع الأخذ في الاعتبار ان «أم» في الاسمين هي أداة التعريف في لهجة عسير الحالية.

في «السامرة» (الملوك الأول ١٥: ٣٣، ١٨: ٤٥، ٢٠: ٤٣). وكانت هذه الأخيرة، أي «السامرة»، مدينة قام ملوك اسرائيل أنفسهم بينائها على هضبة قريبة من «يزرعيل» اشتروها من «شمر»، ومن هنا جاء الاسم الذي أعطوها، وهو بالعبرية شمرون. و«يزرعيل» (وهي مغربة يزراع، «ل» «ليزرع الله» أو «زرع الله») هي بالتأكيد آل الزرعي (عل زرع) الحالية، في أسفل وادي الغليل، الى الجنوب الشرقي من القنفذة. وهكذا، فإن «يزرعيل» هو، ولا شك الاسم القديم لوادي الغليل. وقد افترض علماء التوراة حتى الآن أنه مرج ابن عامر الذي يفصل بلاد فلسطين عن الجليل في الشام، وهو افتراض لا يرتكز على شيء. والأكثر احتمالاً هو أن «شمر» (شمر)، المالك الأصلي للهضبة التي بنيت فوقها «السامرة» (شمرون)، لم يكن شخصاً، بل قبيلة شمran (شمرون)، وقد استمر وجود اسمها في غرب شبه الجزيرة العربية الى يومنا هذا. والأرض الحالية لشمran تضم الأراضي الداخلية من منطقة القنفذة وما يليها شرقاً، وتمتد بلاد شمran هذه عبر الجرف والشق المائي الى وادي بيشة. وكانت «السامرة»، بلا شك، ما هو اليوم قرية شمran في منطقة القنفذة، على مسافة ما صعوداً من آل الزرعي، أو «يزرعيل». وللحقيقة، فإن شمran الحالية تقوم بميزة على هضبة وحدها، تماماً كما هي موصوفة في التوراة، وقد عاينتها بنفسي.

ولا ضرورة هنا إلى الغوص في كل أسماء الأمكنة التوراتية الواردة باعتبارها تخص ملوك «اسرائيل»، لاظهار كيف أن هؤلاء الملوك، ومنافسيهم ملوك «يهودا»، فرضوا سلطتهم في مناطق كثيرة على بلدات وقرى متجاورة في عسير وجنوب الحجاز. بل يكفي تبيان كيف أن معظم المواقع التي قام رحبعام بن سليمان بتحصينها للدفاع عن مملكته «يهودا» ما زالت مستمرة في الوجود بأسمائها التوراتية الأصلية في مناطق تمتد من جوار القنفذة باتجاه الشمال، حيث كانت توجد المراكز الرئيسية للملوك «اسرائيل» (انظر سفر أخبار الأيام الثاني ١١: ٦ - ٩). وهذه هي لائحة

بالمواقع المذكورة:

- ١- «بيت لحم»، حددت قبلاً بكونها أم لحم في وادي أضم، في منطقة الليث (انظر أعلاه).
- ٢- «عيطام» (عيطم)، ربما هي غُطْمَة، في منطقة الليث (وهناك ثلاث «عيطامات» أخرى ممكنة في عسير الجغرافية).
- ٣- «تَقْوَع» (تقوع، على وزن «تفعل» من قوع): وَقِيعَة (وقعت بلا تصويت) في وادي أضم. وربما كانت يقعة (يعقت) أو القعوة (قعوت) في رجال ألمع.
- ٤- «بيت صور» (بيت صور، «بيت» أو «معبد» صور): ربما آل زهير في منطقة بَلْسَمَر، لكن المرجح أن تكون الصَّار (صر) أو الصُّور (صر) في منطقة الليث، أو الصُّور أو الصُّورى (صر) في منطقة القنفذة.
- ٥- «سوكو» (سوكو): المرجح أنها سبكة (سك) في منطقة الطائف. والاحتمالات الأخرى تشمل الساق (سق) والسوقة (سق) في وادي أضم.
- ٦- «عَدْلَام» (عدلَم): الدَعَالِمَة (دعلم بلا تصويت) في منطقة الطائف. وهناك معيدَل (معدل بلا تصويت) في منطقة أبها.
- ٧- «جَتَّ» (جت): غُطِيط (غطط) في تهامة زهران وأخرى في وادي أضم، أو القَطِيط (قطط) في وادي أضم، أو القطيطة (قطط) في منطقة القنفذة.
- ٨- «مَرِيْشَه» (مرشه): المَشَار (مشر) في منطقة بني شهر، أو المشاري (مشر) في منطقة القنفذة، وهذه غير بعيدة عن شمران. وهناك احتمالات أخرى لكنها غير مرجحة جغرافياً.
- ٩- «زَيْف» (زيف): الصيفا (صيف) في منطقة القنفذة،

ويحتمل أيضاً أن تكون صياغة (صيف) في منطقة النماص.

١٠ - «أدورايم» (عدوريم، تصوت عادة كمثنى «دور»): الدارين (مثنى «دار» بالعربية)، وهي اسم لثلاث قرى في منطقة الطائف ولقرية في مرتفعات زهران.

١١ - «لخيش» (لكيش): بالتأكيد ليست تل الدوير الفلسطينية (انظر الفصل ٥). وتربط المكان مع «جبعون» و«مجدو» و«حبرون» و«عجلون»، التي هي اليوم آل جبعان ومقدي والخربان وعجلان في منطقة القنفذة وجوارها العام، يشير بشكل مميز إلى آل قياسي (عل قيس) أو قياسي (قيس) أو بني قيس (قيس) في الجوار ذاته.

١٢ - «عزيقة» (عزقه): العزقة في منطقة القنفذة.

١٣ - «صُرْعَة» (صرعه): بين احتمالات عديدة، الأرجح هي الزرعة في تهامة زهران.

١٤ - «أيلون» (ايلون): إما أليان (ايلين) في منطقة الليث، أو أيلاء (ايل) في منطقة القنفذة. واسم الأولى هو المطابق تماماً للاسم التوراتي.

١٥ - «حبرون» (حبرون): الخربان (خربن) في منطقة المجاردة (انظر الفصلين ٩ و١١).

من الواضح أن مملكتي «إسرائيل» و«يهودا» كانتا ترتبطان إلى حد ما على الأقل بأرض واحدة، وأنها ضمتا شعباً واحداً مقسوماً في ولائه بين ملوك بيت داود في آل شريم (أي «أورشليم»)، وزعماء آخرين من أسر مختلفة تعاقبوا على الحكم في «شكيم» (القاسم؟) و«ترصه» (الزير؟) ثم في «السامرة» أي شمرون (وهي شميران)، فانكروا على بيت داود

مشروعية حكمهم، كلّ بدوره، واطلقوا على انفسهم لقب «ملوك اسرائيل». وجنباً الى جنب مع الانقسام السياسي، كان هناك انقسام ديني بين المذهب «اليهودي» الذي تمسك به ملوك «يهودا»، والبدعة «السامرية» التي نشأت بين اتباع ملوك «اسرائيل». وقد تطوّرت عبادة الربّ يهوه بين يهود «يهودا» الى دين توحيدي مصقول ومنفتح لا يقتصر على شريعة موسى كما وردت في التوراة فحسب، بل يأخذ في الاعتبار ايضاً تعاليم الانبياء المتأخرين (النبى عيم) الذين نشطوا في ظلّ مملكة «يهودا». وقد شهد النفوذ الديني لهؤلاء الانبياء مقاومة من قبل ملوك «اسرائيل» واتباعهم، الذين يبدو أن مفهومهم لعبادة يهوه بقي قليلاً، ومن هنا جاء استعدادهم للقبول بالوهية آلهة القبائل والشعوب الأخرى التي عاشوا بينها. وهذا ما تؤكده الأسفار التاريخية من التوراة.

وليس موضوع البحث الذي نناقشه هنا مسألة كيفية تطور نزعة «اسرائيل» الدينية الى «سامرية» الأزمنة اللاحقة، ويكفي القول بأن السامريين، كطائفة، استمروا في تسمية أنفسهم بني يسرعل، أي «شعب اسرائيل»، أو هـ - شمريم. وهذا الاسم الأخير يؤخذ عادة على أنه يعني «الحراس» (بمعنى «اليقظين»)، ولكنه يعني عملياً «أهل شمر». والاشارة في الاسم هي الى أراضي شمران القبلية القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية التي ما زالت موجودة هناك باسمها. ويطلق اليهود على السامريين إسم هـ - شمرونيم، أي أهل شمرون وهي «السامرة» التي كانت ذات يوم عاصمة ملوك «اسرائيل» وقد استمرت في الوجود كقرية شمران في غرب شبه الجزيرة العربية كما سبق.

وعندما انتشرت عبادة يهوه، بطريقة أو بأخرى، من غرب شبه الجزيرة العربية الى فلسطين وغيرها من بلاد الشرق الأدنى، فعلت ذلك بصيغتها اليهودية والسامرية، خصوصاً في فلسطين. وهناك أقام السامريون لأنفسهم «سامرة» جديدة فيما هو اليوم سبسطية، بالقرب من

مدينة نابلس الحديثة . وهناك عرّف السامريون هضبتين محليتين بأنها جبل «جرزيم» (جرزيم) وجبل «عيبال» (عيبال) التوراتيين، وقالوا بقديسيتهما. والنصوص التوراتية التي تتحدث عن هذين الجبلين تعطي الانطباع بأنها كانا شديدي القرب واحدهما من الآخر.

ويأتي ذكر جبل «جرزيم» وجبل «عيبال» في يشوع ٨ : ٣٣ بعد الحديث عن فتح الاسرائيليين لـ يريحو وهـ - عي («أريحا» التي هي «الرُّحْيَة» الحالية في وادي أضم، انظر الفصل ٧، و«عاي» التي هي اليوم عوياء، وهي عي بلا تصويت، في منطقة الطائف، وليس الغي في رجال ألمع، أنظر الفصل ٧ و١٣). أما بيت ءل، أو «بيت إيل»، المترافقة مع هـ - عي في هذا السياق، فهي البطيلة في سرة زهران، الى الجنوب من عوياء، وليست البتيلة في رجال ألمع. والبطيلة هذه تسيطر على واحد من المعابر الرئيسية للجرف (أو اليردن، انظر الفصل ٧) في المنطقة. واستناداً الى سفر التثنية ١١ : ٣٠، فإن جبل «جرزيم» وجبل «عيبال» كانا يقعان «عبر اليردن وراء طريق غروب الشمس». ونزولاً من البطيلة على المنحدرات الغربية لبلاد زهران توجد القمتان التوأمان لجبل شدا وهما شدا الأعلى وشدا الأسفل. ولا بدّ أن شدا الأعلى هو «جرزيم» التوراتي، وما زال هذا الاسم موجوداً على سفحه في قرية صُقْران (صقسن، محرفة باستبدال الأحرف عن جرزيم، مع تعريب لاحقة الجمع العبرية في الصيغة الحالية للاسم). أما شدا الأسفل، فلا بدّ انه جبل «عيبال» التوراتي، وهو اسم غير موجود هناك عملياً، ولكنه ما زال حياً في الجوار الأوسع لتهامة زهران، كما في وادي عُليب، وكذلك في قرى العباله، والعبلاء، والعبلة، والقرية والربوة الرملية المسماة البُلْعلاء (بلعل) حيث هنالك أيضاً قرية تسمى اللعباء (لعب). ولم يكن لربوة البُلْعلاء الرملية أن تكون جبل «عيبال» التوراتي لأنها تقع شرق الجرف والطريق وليس غربهما.

واستناداً الى التثنية ١١ : ٢٩ ، فإن جبل «جرزيم» كان الجبل الذي باركه الاسرائيليون ، وجبل «عيبال» هو الجبل الذي لعنه الاسرائيليون . والواقع أن جبل شدا الأعلى هو جبل كثير الخصوبة «يزرع فيه الحنطة والشعير إضافة الى البنّ والموز والخوخ والرمان والتفاح والبرتقال ، الى جانب نبات أشجار العرعر والزيتون والحناء وأنواع الرياحين» (والكلام لعلّي بن صالح السلوكي الزهراني) . أما شدا الأسفل فهو جبل قاحل «لا يوجد به شيء من نباتات السراة كجبل شدا الأعلى» . وفي سفر القضاة ٩ : ٧ جاء ذكر جبل «جرزيم» مترافقاً مع «شكيم» (شكم) . وهذه الأخيرة هي اليوم قرية سقامة (سقم) في وادي سقامة ، الذي يجري عند السفح الشرقي لجبل شدا الأعلى . وعلى هذا الجبل نفسه (انظر الفصل ٧ ، الهامش ٥) هناك «مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديثاً» (يشوع ٨ : ٣١ ، قارن مع التثنية ٢٧ : ٢ - ٨) . وهناك مذابح أخرى مماثلة لهذا يمكن العثور عليها في أجزاء أخرى من بلاد زهران ، أحدها ما زال يحمل كتابة منقوشة لم تفك رموزها بعد (قارن مع يشوع ٨ : ٣٢) . وقد نظر أهل عسير واليمن تقليدياً الى المذبح الموجود على جبل شدا الأعلى (أي جبل «جرزيم» التوراتي) كمقام له قدسية خاصة ، وهو يسمّى «مصلّى ابراهيم» . ويفيد السلوكي الزهراني أن هذا المصلّى الحجري «كان يفد اليه يمنيون» ، وأن هؤلاء كانوا «لا يَمْرَوْنَ بالقرى بل يتوجّهون اليه ويبقون عند هذا المصلّى أياماً ، ويعودون الى بلادهم» . وقد توقفت هذه الزيارات التقليدية لمصلّى شدا الأعلى في العصر الحاضر .

هذا بالنسبة الى التعرّف الى «جرزيم» و«عيبال» في تهامة زهران . ومهما كان شأن الهضبتين المقدستين لدى السامريين الفلسطينيين في نابلس ، فانهما بالتأكيد ليستا جبل «جرزيم» وجبل «عيبال» المذكورين في التوراة .

١١ - مسار حملة شيشانق

إن للتوراة العبرية من الأهمية بالنسبة للإنسان الغربي المعاصر ما جعل التاريخ القديم للشرق الأدنى بأسره يُدرس في ضوءها، وإلى حدّ كبير بهدف إثبات تاريخية مضمونها. وهكذا فإن سوء التأويل التقليدي للجغرافيا التوراتية قد نتج عنه سوء تأويل للجغرافيا التاريخية للشرق الأدنى القديم عموماً. وفي الفصل ٥ من هذا الكتاب بعض الأمثلة الفاضحة على ذلك. وفي هذا الفصل عرض كامل لسوء التأويل الذي تعرّضت له السجلات الطبوغرافية المصرية المتعلقة بحملة شيشانق الأول ملك مصر (حوالي ٩٤٥ - ٩٢٤ قبل الميلاد) ضد مدن «يهوذا»^(١)،

● Sheshonk بالانكليزية، بناءً على التهجئة المصرية القديمة ششنق، وعلى التهجئة المصونة سوسينقو وشوشنقو في الكتابات المسمارية. وفي التوراة المترجمة إلى العربية ورد الاسم على أنه «شيشق». وفهرس أعلام «المنجدة» يورده على أنه شيشانق (المترجم).
(١) حول هذه السجلات، انظر:

J. Simons. *Handbook for the study of Egyptian topographical lists relating to Western Asia* (Leiden, 1973). pp. 178 - 187.

وقارن مع:

K. A. Kitchen. *The third intermediate period in Egypt. 1100 - 650 B. C.* (Warminster, 1973). pp. 293 - 300, 432 - 447.

وفي الكتابين مراجعة لما كتب في الموضوع حتى اليوم. وفي هذا الفصل سأقوم بنقل تهجئة الأحرف الساكنة المصرية لأسماء الأماكن المدرجة في جداول شيشانق اعتماداً، بالتقريب، على النظام نفسه الذي اتبع في نقل أسماء الأماكن بالعبرية والعربية، لتسهيل الأمور أمام القارئ العادي. أما بالنسبة إلى شيشانق الأول، فهو من ملوك الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصر في القدم.

وهي حملة تورّد لها التوراة العبرية ذكرًا موجزًا في روايتين مختلفتين (الملوك الأول ١٤ : ٢٥-٢٦ ، وأخبار الأيام الأول ١٢ : ٢-٩) . وقد جرت دراسة أسماء الأماكن المدرجة في جداول حملة شيشانق حتى الآن على أساس الافتراض بأنها تشير إلى مواقع في فلسطين أخضعها شيشانق ، أو مرّ بها ، خلال حملته على بلاد «يهودا» . وقد لجأ الباحثون إلى أساليب ملتوية في معالجتهم لهذه الأسماء في تهجتها المصرية الواضحة ، لجعلها تتطابق مع المشهد الفلسطيني ، افتراضاً منهم بأن المصريين القدماء لم تكن لهم القدرة على نقل هذه الأسماء السامية إلى لغتهم بدقة . والواقع هو أن لغة المصريين القدماء لم تكن بعيدة عن السامية ، ولم يكن لدى هؤلاء المصريين أية صعوبة في ضبط أسماء الأماكن السامية بشكل واضح في كتابتهم . لكن هذه الأساليب الملتوية من قبل الباحثين لم تف بالغرض المطلوب ، وبقي التطابق بين أسماء الأماكن المدرجة في جداول شيشانق وخريطة فلسطين قسرياً ، مما أثار وما يزال يثير الجدل العقيم حول الموضوع . وفي هذا الفصل سنبين كيف أن هذه الأسماء ، كما جاءت في التهجة المصرية على علاقتها ، تطابق تماماً خريطة غرب شبه الجزيرة العربية وتوضح مسار حملة شيشانق هناك الى حدّ مذهش . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن دراسة الجداول المصرية الطوبوغرافية الأخرى ، وكذلك الجداول الطوبوغرافية الآشورية والبابلية ، يمكنها أن تعطي النتائج نفسها (أنظر ، مثلاً ، التعليقات الواردة حول «كرشيمش» و«كركرة» في الفصل ١ الهامش ١٢ ، وكذلك حول فتوحات سرجون الثاني ورسائل العمارة في الفصل ٥) .

الروايتان التوراتيتان لحملة شيشانق (شوشق أو شيشق بالعبرية) ضد «يهودا» لا تعطيان أية تفاصيل جغرافية . والرواية الأطول منها (رواية سفر أخبار الأيام الثاني ١٢ : ٢ - ٩) تفيد ببساطة أن الملك المصري وصل بجيش كبير ، «وأخذ المدن الحصينة التي ليهودا وأق إلى اورشليم» ، من دون أن يأخذ عملياً هذه المدينة . ويظهر أن ملك

«يهودا»، الذي كان رجبعام بن سليمان، تمكن من إقناع الغازي بالعدول عن أخذ «أورشليم» باعطائه «خزائن بيت الرب (أي المعبد) وخزائن بيت الملك». وهذا ما قد يفسر عدم ظهور «أورشليم» بين الأسماء القابلة للقراءة في جداول شيشانق. وربما كان الاسم قد ظهر أصلاً في الأجزاء الضائعة أو المشوهة من هذه الجداول.

ويظهر أن شيشانق عبر البحر الأحمر، ونزل إلى اليابسة على ساحل الحجاز قرب بلدة الليث. ومن هناك تابع صاعداً ليخضع ستة أمكنة في منطقة الليث وبلاد زهران ومنطقة الطائف (الأرقام ١١ - ١٦ في جدول شيشانق الأكبر في معبد آمون في الكرنك). وأربعة من أسماء هذه الأمكنة ما زالت مقروءة بوضوح، وهي:

١٠ - مططع: مطيع (مطع بلا تصويت) في وادي أضم، أو المتعة (متعت) في وادي الجائزة إلى الجنوب من وادي أضم. والأولى هي المرجحة.

١٣ - ربت: الرباط (ربط بلا تصويت) في تهامة زهران، أو الرباط في وادي الشاقة، إلى الجنوب من الأولى.

١٤ - تعنكي^(٢): «تعنك» (تعنك) التوراتية، وهي اليوم الكعنة (كعنت) في تهامة زهران^(٣).

(٢) أن اللاحقة يـ في هذا الاسم، كما في غيره من الأسماء التالية، تبدو وكأنها كانت تقوم أحياناً مقام هاء التانيث في العبرية (والتاء المربوطة بالعربية، أنظر «الملاحظات اللغوية» في بداية الكتاب). وكما لوحظ سابقاً، فإن عدداً من أسماء الأماكن التوراتية التي تحمل هذه اللاحقة ما زال موجوداً حتى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية في صيغة المؤنث المضافة فيها لاحقة التاء المربوطة. ولعل هذه اللاحقة كانت تلفظ أحياناً بالتاء وليس بالهاء في الأصل.

(٣) في سفر القضاة ١: ٢٧ و٥: ١٩ - ٢١، تأتي «تعنك» هذه مترافقة جغرافياً مع «بيت شان» (بيت شمن) و«دوره» (دور) و«يلعام» (يلعم) و«مجدو» (مجدو) و«نهر قيشون» (نحل قيشون). ومن هذه الأماكن الخمسة تبقى «يلعام» وحدها غير محددة بقرية ما في =

١٥ - شنميء^(٤): مَشْنِيَّة في سراة زهران.

١٦ - شنريء: شريان من قرى بني مالك، أو شريان من قرى ميسان، وكلاهما في منطقة الطائف.

ثم عاد شيشانق من سراة زهران ومرتفعات الطائف إلى تهامة زهران أو إلى وادي أضم، حيث استولى على مكان آخر هو التالي:

١٧ - رحييء: وادي رَحْبَة، وهو تجمع قرى في تهامة زهران، أو الرُحْبَة في وادي أضم، والمرجح جغرافياً أنها الأولى. ولعلها أيضاً الرحبة في منطقة القنفذة.

بعد ذلك، تابع شيشانق سيره باتجاه الجنوب إلى وسط أراضي «يهودا»، في منطقتي القنفذة والبرك، ويمكنه أن يكون قد اتبع في سيره إما الطريق الساحلية أو تلك التي تسير بمحاذاة الخط الأول للهضاب. وقد توقف شيشانق هنا وهناك في هذه المرحلة من حملته ليقوم بغزو المناطق الجبلية صعوداً باتجاه السراة (انظر الخريطة). ومن بين المواقع السبعة عشر التي أغار عليها في هذه المناطق، هناك خمسة عشر اسماً ما زالت مقروءة، ويمكن تحديدها بدرجات مختلفة من اليقين وهي:

١٨ - حفرميء (مُعْرَبَة حفر ميء): الحَفَر (حفر) محددة بالنسبة

= جنوب الحجاز. وهي يمكن أن تكون بعلوم (بلعم بلا تصويت) التي هي اليوم واحة في منطقة القصيم، على مسافة ما إلى الشمال الشرقي من الطائف. والأماكن الأربعة الأخرى، وكلها في منطقة الطائف، هي اليوم قرى الشَّنِيَّة (شن)، وأي من قرى عديدة تسمى الدار (در)، والمُعْدَة (مغد) وقيسان (قيسن). وتُعْنَى المذكورة في الكتابات الجغرافية العربية لا يمكنها أن تكون «تعنك» التي هي قيد البحث لأنها تشير إلى موقع في شمال الحجاز وليس في جنوبه، مما يجعلها بعيدة جداً إلى الشمال.

(٤) ليست هي «شونم» (شونم) المقترحة ثوراتياً حتى الآن، والتي يحتمل أن تكون اليوم سُنُومَة في رجال ألمع، أو نَشَام وريماً النشيم (بقلب الأحرف) في منطقة جيزان، أو ذي نَشَام (أيضاً بقلب الأحرف) في منطقة بَلْسَمَر، بغض النظر عن الاحتمالات الأخرى، وهي كثيرة

إلى المُوَيَّة (مويه)، في جوار القنفذة، لتمييزها عن مواقع أخرى كثيرة اسمها حَفَر أو الحفر في المنطقة نفسها وفي مناطق أخرى^(٥). والحفر المذكورة هي حالياً من قُرى إمارة المُوَيَّة التابعة إدارياً لمنطقة مَكَّة المكرمة.

١٩ - يدرم، تقرأ أيضاً عدرم: المرْداء (مردء) في منطقة المجاردة.

٢١ - شُود: الظاهر أنها الدِيش في منطقة حلي. وقد تكون السودة في منطقة بارق، أو السودة في منطقة القنفذة، في جملة امكانات أخرى.

٢٢ - محنم: «محنایم» (محنیم) التوراتية، وهي اليوم قرية أم مَناحي (بصيغة الجمع، كما بالعبرية) في منطقة القنفذة^(٦).

٢٣ - قبعن: آل جُبعان، وهي «جبعون» (جبعون) التوراتية في منطقة المجاردة.

٢٤ - بت ح(و)رن : الرُّوحان (روحن بلا تصويت)، وهي «بيت حورون» (بيت حورون) التوراتية، في منطقة القنفذة، إلا إذا كانت هذه الأخيرة خَيْران (خيرن) في وادي أضم.

٢٥ - قدتم: لا يمكن تحديدها بسهولة، وربما كانت الغِمْدَة (غمدت)، في سراة غامد، أو ذروة آل دغمة (دغمت)،

(٥) ليست هي «حفارایم» (حفریم، يشوع ١٩ : ١٩) المقترحة توراتياً والتي يجب أن تكون اليوم الحرفان (مثنى حرف، كما في العبرية حفریم هي مثنى حفر) في رجال الملع.

(٦) الاسم العبري يعني الـ «غميمين»، أو (مع فارق في التصويت) الـ «غميمات». وقد يكون الاسم العربي الحالي لهذا المكان محاولة لترجمة الاسم أكثر منه تحريفاً، باعتبار أن الكلمة العربية مَناحي هي جمع منحي، التي تعني «غميم».

في رجال الملع .

٢٦ - بيرن : الرُّون في منطقة حلي^(٧) .

٢٧ - مكديء : مقدي في منطقة القنفذة ، وهي إحدى الأماكن الثلاثة المسماة في التوراة مَجْدُو (مجدو) ، والإثنان الآخران هما المغدة في منطقة الطائف (انظر أعلاه ، الهامش ٣) وشعيب المقدة (أي «وادي» مقد) في وادي أضم .

٢٨ - يدر : وَذَرَة في منطقة بني شهر .

٢٩ - يد همرك (مُعَرَبَة هـ - مرك) : ان يد في الاسم مشهودة بالعبرية على أنها تعني «الوادي» (ود بلا تصويت) . وهـ - مرك ، مع أداة التعريف العبرية ، هي اليوم المَرَاكَة (مرك بلا تصويت ، مع أداة التعريف العربية) في وادي العرضية الشمالية من منطقة القنفذة . ولعلَّ مرك كان الاسم الأصلي لهذا الوادي ، أو اسم لأحد روافده حيث تقع اليوم قرية المراكَة .

٣١ - حنم وتقرأ أيضاً حءيء نم : حَوْمَان (حومن أو حمن بلا تصويت) في منطقة القنفذة ، أو آل حَوْمَان في منطقة بَلْسَمَر ، أو حَوْمَان الظهرة في منطقة محایل .

٣٢ - عرن : عَرِين (عرن بلا تصويت) ، وهي «عِرْن» (عرن) التوراتية في منطقة القنفذة ، إلا إذا كانت هذه الأخيرة هي

(٧) ليست «أيلون» (أيلون) المقترحة توراتياً حتى الآن ، والمحددة في الفصل ١٠ . وقد قرئت بيرن حتى الآن على أنها «أيلون» لأنَّ حرف اللام غير وارد في الكتابة المصرية القديمة ، وقد يستعاض عنه بحرف الراء أو بحرف النون ، كما سبق . والواقع أنه هناك رون في منطقة حلي ، وهناك أليان (ألين) في وادي الجائرة ، في غرب شبه الجزيرة العربية ، واسم رون هو الأقرب من التهجئة المصرية بيرن . وعلى كلِّ حال ، ليست هناك «أيلون» في فلسطين .

آل غُرَّان (غرن بلا تصويت) في منطقة بني شهر.

٣٣ - برن وتقرأ أيضاً برم: البرمة في منطقة القنفذة، إلا إذا كانت بُرَّان (برن بلا تصويت) في تهامة زهران.

٣٤ - ذت فتر وتقرأ أيضاً ذ دفتر^(٨): هي إما الفَترَة (عل - فتر أي «إله» فتر) في رجال المع، أو الدفرة (مقروءة عل - دفتر) في منطقة قنا والبحر، إلا إذا كانت الإشارة هنا إلى الدفرة الأخرى في جبل فَيْفا من منطقة جيزان (انظر أدناه).

ويجب أن يكون شيشانق قد عبر الجرف في هذه المرحلة بالذات من حملته وتقدم للهجوم على آل شريم في منطقة النماص، وهي «أورشليم» المقترحة في هذه الدراسة، من دون أن يدخل المدينة. وعندما وصل إلى ذت فتر أو ذ دفتر، كان شيشانق قد أصبح فعلاً في طريقه إلى الجنوب للقيام بعملية اكتساح سريعة في منطقة جيزان، أو ربما كان فعلاً قد وصل إلى هناك (انظر الرقم ٣٤). والأماكن الأربعة التي لا بد أنه أخضعها في منطقة جيزان كانت التالية:

٣٥ - يحم: وَحَم في ناحية المسارحة.

٣٦ - بت عرم: عُمَر (بقلب الأحرف)، والاسم الكامل هو «قرية عمر مقبول»، في ناحية المَضَايا. والواضح أن بت (أي «بيت» أو «مكان إقامة») في الإسم الأصلي قد عُرِبَت

(٨) الذت («ذات» بالعربية) أو ذ («ذو» المرفوعة بالعربية) في هذا الاسم وفي الأسماء الأخرى تعني «إلهة كذا» (المؤنث ذت) أو «إله كذا» (المذكر ذ). وفي الصيغة العربية للاسم تظهر هذه الأداة عادة بشكل «آل» أو «آل»، وهذه الأخيرة لا تقرأ في الحالة كأداة تعريف بل ككلمة مستقلة تعني «إله». ومن الواضح أن «آل» في أسماء الأماكن في غرب الجزيرة العربية هي استمرار للفظة السامية القديمة التي تعني «إله» أو «الله»، وليست آل بمعنى «أهل» كما يظن.

إلى «قرية» في الاسم الحالي.

٣٧- كجري: غَرْقَة (غرق، مع قلب الأحرف) في ناحية أبو عريش، ويظهر أنها موطن «العرقين» (عرقى، وهي النسبة إلى عرق) المذكورين في سفر التكوين: ١٧: ١٠. وقد أخذت هذه الأخيرة حتى الآن على أنها عرقاً في شمال لبنان، في أراضي طرابلس الداخلية.

٣٨- سيك: الكوس في ناحية المسارحة، أو كيسة في ناحية العارضة.

وفي طريق عودته من منطقة جيزان، توقف شيشانق في بت تفوح (رقم ٣٩)، وهي «بيت تفوح» أو بيت تفوح التوراتية (يشوع ١٥: ٥٣). والموقع هو اليوم قرية الفاتح (فتح) في منطقة قنا والبحر. ومن هناك تابع شيشانق عودته مباشرة إلى وادي أضم، في منطقة الليث، حيث أخضع الأماكن التالية:

٤٠- ييريء: وبير.

٤٥- بت ذبي: ذو ظبي، وقد تكون أيضاً ذوي ظبي في منطقة الطائف.

٥٥- فء كتت: «جوار» القيط (قطط بلا تصويت)^(٩).

٥٦- يدمي: الدومة، أو دومة، والمرجح أنها الثانية.

٥٨- (م) جدر: مَقْدَر.

٦٧- ينمر: نَمْرَة (نمر)، إلا إذا كانت نَمْرَة أخرى في تهامة

(٩) فء هنا، كما في أساء أخرى في جداول شيشانق، هي الكلمة العربية فء التي تعني «منطقة، جواراً». قارن مع العبرية فه، «هنا، قريب، في هذا الجانب». ويبدو أنها كانت تعني أيضاً «وادي» (انظر رقم ١١٨ أدناه).

غامد، أو ثَمَرٌ في تهامة زهران، إلى الجنوب من وادي أضَم.

٧٤ - (خ) بري: الحُبيرة.

٧٨ - عذيت: العَضِيَّة (عضيت).

١١٢ و ١١٩ - يرحم: الرَّحْم، ويظهر أنها غزيت مرتين.

١٣٣ - ير(يء): وَرْيَة، وهي «يورة» (يوره) التوراتية (انظر الفصل ٨).

وفي أثناء قيامه بهذه الفتوحات في وادي أضَم، عبر شيشانق جرف السراة عند وادي بقران ليخضع فتيشيء (الرقم ٦٩)، وهي اليوم الشطفة في منطقة الطائف، ويرهرر أوهرهر (رقم ٧٠)، وهي اليوم آل يرار في منطقة بني عمرو من سراة عسير.

وخارج وادي أضَم، أخضع شيشانق في الوقت ذاته المواقع التالية في نواحٍ أخرى من منطقة الليث وتهامة زهران المحاذية لها إلى الجنوب:

٥٤ - (ق) دشت: كُدَيْسَة (كدست بلا تصويت)، من قرى الشاقة اليمانية.

٥٧ - ذمرم (مُعَرَبَة ذمرم): آل مَرَيَم (ءل مريم، «مَيروم» التوراتية، أو مروم، يشوع ١١: ٥ و ٧)، من قرى وادي بحر في تهامة زهران.

٥٩ - يريديء: يريذَة، من قرى الشاقة اليمانية.

٧٢ - بيرم: البريمة، في جوار بلدة عُمَيْقَة.

٨٩ - حق(ق) (مُعَرَبَة هـ - قق): القوقاء (قق بلا تصويت، مع أداة التعريف العربية)، في جوار بلدة عُمَيْقَة.

ويبدو أن شيشانق صعد إلى السراة في تلك الأثناء وأخذ آل يرار (عر هـ - رر، رقم ٧٠)، وتدعى أيضاً الطفيرة، في منطقة بني عمرو (والـ «آل» في الاسم كتبت عر لأن حرف اللام غير موجود في الأبجدية المصرية القديمة، ويستعاض عنه بالراء أو بالنون). وفي منطقة الطائف استولى شيشانق على المواقع التالية :

٦٠ - فء عمق : وادي عَمَق .

٧٦ - وركيت : الوراق (جمع ورق بالعربية، قارن مع وركيت كجمع مؤنث لـ ورك). .

٨٠ - ذفكيء (مُعَرَبَةٌ ذ فكيء) تقرأ أيضا ذفك (ذ فك) : آل فقيه، إلا إذا كانت الفقيه في وادي أضم .

٨٦ - تشدن(و) : الشَدَنَّة (شدنت)، إلا إذا كانت الدَشَنَّة (دشنت، بقلب الأحرف) في وادي الجائزة من منطقة الليث .

٨٨ - شنيء : الشَنِئَة .

٩١ - وهت وركيء : الوَهْطُ، وهي معرفة بالنسبة إلى قرية الرُّقَّة المجاورة لتمييزها عن وَهْط أخرى في منطقة بَلْسمر في عسير .

٩٣ - يشحت : وادي الشُحوط .

٩٥ - حنميء : آل حومان (حمن بلا تصويت) .

٩٩ - حنفي : حَنَانَة :

١٠٧ - حقرم : المِحْرَق، احدى قريتين تحملان الاسم نفسه في الجوار نفسه، وهو ناحية الشَّفا .

١٠٨ و ١١٠ - عرديء: عَرْدَة .

١١١ - نبت: النَبَاة (نبت بلا تصويت)^(١٠)، إلا إذا كانت ذا النبت في وادي أضم .

١١٨ - فء(؟) بيء: وادي بُوء .

١٥٠ - يردن: الدارَيْن (درين بلا تصويت، وليست «الأردن»، انظر الفصل ٧): أي من ثلاث قرى بالاسم نفسه، إلا إذا كانت الدارَيْن في سراة زهران .

ويمكن تحديد أماكن أخرى غزاها شيشانق في شمال عسير وجنوب الحجاز. وعلى العموم، فانه يكفي القول أنه يظهر ان الغازي المصري اندفع بغزواته شرقاً حتى حَرَّة البُقوم حيث أغار على بير (رقم ١٢٢) التي هي اليوم واحة الوَبَر بمنطقة تُرَبَّة. والواضح أيضاً أنه اتجه جنوباً من سراة زهران ليغير على شرنريء (رقم ١٠٤، المعرَبَة شر نريء). والموقع هذا هو وادي سُرا (شر بلا تصويت)، من روافد وادي رنية، وقد عُرِف في سجل شيشانق على انه شر نريء، أي «سُرا رنية». وقد وصل شيشانق في غزواته الداخلية إلى وادي بيشة، جنوب وادي رنية، حيث أخضع يرقد (رقم ٩٧) التي هي اليوم آل قِرَاد (قرد بلا تصويت)، وقام بهجومين على يدمم (الرقمان ٩٨ و ١٢٨) التي هي اليوم وادي أَدَمَة (ءدم)، وأخذ ينن (رقم ١٤٠) التي هي اليوم وَنَن .

وفي مقدمة جدولته الكبير في الكرنك يتحدث شيشانق عن اخضاعه

(١٠) هذه هي بالتأكيد «نباوت» (نبيوت أو نبيت) التوراتية المدرجة في عداد «بني اسماعيل» في سفر التكوين ٢٥: ١٣ إلى جانب «قيدار» (قدر) والمعرفة بكونها «نباوت قيدار» في أشعيا ٦٠: ٧٠. والنساء من قرى بجيلة في بلاد بني مالك من منطقة الطائف، وكذلك هي أيضاً قرية القِدَاة (قدر بلا تصويت)، التي هي «قيدار» التوراتية، وهكذا، فإن بني «نباوت» ليسوا نبطي البتراء كما عُرِفوا حتى الآن. ويظهر أن النباة هي أيضاً «نبو» التوراتية. انظر الفصل ٤، الهامش ٤ .

«جيش» ميثاني، التي هي اليوم على الأرجح وادي مَشان في منطقة الطائف، حيث استولى على قرى كثيرة، كما رأينا قبلاً. وربما كان هذا الموقع أيضاً جوار قرية المشاني في وادي الجائزة من منطقة الليث. وبالتأكيد، فإن ميثاني موضوع الكلام هنا لم تكن مملكة في بلاد الفرات بالشام، كما هو الافتراض السائد، ولو كانت كذلك لكان في الأمر مفارقة تاريخية صارخة^(١١). وفي جدول شيشانق الأقصر، في معبد آمون في الهيبة، نجد أن نهرن (رقم ٤) هي بالتأكيد ليست «ما بين النهرين» كما افترض حتى الآن، بل هي قرية النهارين (نهرن بلا تصويت) الحالية الموجودة في موقع غير بعيد عن وادي مشان في منطقة الطائف. ولا شك في أن هذا المكان هو «النهرين» التوراتية (نهرين، سفر التكوين ٢٤ : ١٠، وسفر التثنية ٢٣ : ٥، والقضاة ٣ : ٨، والمزامير ٦٠ : ٢، وأخبار الأيام الأول ١٩ : ٦) التي كانت «السبعونية» أو الـ «سبتواجنت» التي اعتمدتها الدراسات التوراتية التقليدية أول من عرفها بكونها Mesopotamia، أي «ما بين النهرين» (انظر الفصل ١). وكذلك، فإن يشش(ور) في هذا الجدول نفسه (رقم ٩) ليست آشور، بل هي على الأرجح، وبين احتمالات مختلفة، قرية يسير الحالية بمنطقة رابع، في تهامة الحجاز.

ولا بد أن يكون قد أصبح من الواضح الآن أن ليس التاريخ التوراتي وحده هو الذي يحتاج إلى مراجعة دقيقة، بل كذلك هو الأمر أيضاً بالنسبة لتاريخ الشرق الأدنى القديم بأسره، خصوصاً في ما يتعلق

(١١) كانت دولة «الميثاني» مملكة مزدهرة في بلاد الفرات في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ثم زالت من الوجود خلال القرن التالي. وقد افترض الباحثون حتى الآن أن شيشانق كان يفاخر كاذباً عندما تحدث عن إخضاعه لجيوش ميثاني، لأن مملكة «الميثاني» التاريخية هذه لم يكن لها وجود في زمانه (انظر Pritchard، ص ٢٦٣ - ٢٦٤). والواقع هو أن ميثاني التي اخضعها شيشانق ما زالت موجودة بالاسم في الحجاز، ولا ضرورة للبحث عنها في أي مكان آخر، أو لافتراض المخاطرة الكاذبة في كلام شيشانق عن تغلبه عليها.

بجغرافية هذا التاريخ كما لوحظ قبلاً . وعلى أساس الجغرافيا الصحيحة فقط يمكن لحقائق التاريخ أن تبني بشكل مرضٍ ومقنع استناداً إلى السجلات المتوفرة، فيزول عنها الالتباس والغموض وتصبح واضحة جلية .

١٢ - ملكي صادق وآلهة السراة

هل كان هناك حقاً، في أي مكان، ملك - كاهن معاصر لابراهيم يدعى «ملكي صادق» (ملكي صدق، أي «ملكي صادق»، أو «ملكي هوالصدق»؟) هذا ما يعتقده اليهود والمسيحيون بناء على قراءاتهم المغلوطة للتوراة، سواء في نصّها العبري المسُوري المحرّك، أو في الترجمات القديمة والحديثة. والواقع أن التوراة العبرية، بنصّها الأصلي غير المحرّك، لا تذكر ملكاً - كاهناً بهذا الاسم. صحيح أنه قد وردت في نصين توراتيين بنية من الأحرف الساكنة التي تقرأ ملكي صدق (التكوين ١٤ : ١٨ والمزامير ١١٠ : ٤)، لكن هذه البنية، في كلتا الحالتين، ليست اسماً لشخص. والواقع هو أن ملكي صدق في التكوين ١٤ : ١٨ ليست إسم علم بل تعبير اصطلاحى يفيد معنى «الطعام». وهي في المزامير ١١٠ : ٤ اشارة إلى «ملوك» مكان اسمه «صدق» (ملكيم، مع اسقاط ميم الجمع في الاضافة الى صدق). وليست هناك بالتالي أية علاقة لغوية أو تاريخية بين ملكي صدق التكوين وملكلي صدق المزامير.

والنص الكامل في التكوين ١٤ : ١٨ يقرأ، بأحرفه الساكنة، كما يلي: و - ملكي صدق ملك شلم هوصيء لحم و - ين و - هو كهن ل - ءل عليون. وقد جرى تصويت هذا النص تقليدياً لكي يؤدّي المعنى التالي: «وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخبزاً، وكان كاهناً ل - ءل عليون (أو «الله العلي» في الترجمة العربية ومعظم الترجمات الأوروبية)».

لكن ملكي في هذا الإطار ليست لفظة ملك، بمعنى «الملك»، مضافة إلى ضمير المتكلم، بل هي جمع ملك صيغة تقييص لللفظة ملوك بمعنى «لقمة» أو «ملء الفم»، وهي اشتقاق من جذر فعلي وارد في العربية (دون العبرية) هوء لك (ألك، أي «علك» أو «مضغ»). ومن مشتقات هذا الجذر بالعربية عبارة «ألوك صدق»، أي «ما يؤكل» (وهو الطعام). وهكذا يصبح المعنى الصحيح لنص التكوين ١٤: ١٨ كما يلي: «وملك شلم أخرج ألوك صدق (أي طعاماً)، خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لـء عليون».

وفي إطار القصة التي يرويها الاصحاح ١٤ من سفر التكوين، كان ملك «شاليم» يكرم في هذه المناسبة «أبرام العبراني»، المعروف لاحقاً بابراهيم (انظر الفصل ١٣)، الذي كان في طريق العودة إلى الوطن بعد مغامرة عسكرية ناجحة، محملاً بالغنائم. وبعد أن أخرج ملك «شاليم» ما لديه من «خبز وخمر» دعا أبرام ليأكل، واصطلاحاً، «أعطاه لقمة طعام» (و- يتن لو معسر مكل، التكوين ١٤: ٢٠). وهذا يزيد من وضوح كون ملكي صدق في التكوين ١٤: ١٨ هي مثل مكل («مأكل» بالعربية) في التكوين ١٤: ٢٠، باشارتها إلى «طعام»، وليس الى شخص اسمه «ملكى صادق». وكان تعبير معسر مكل قد قرئ تقليدياً على أنه معسر م- كل، ليعني «عُشراً من كل شيء»، نظراً لأن معسر يمكنها أن تعني «عُشراً» أو «القسم العاشر»، وأن تعني كذلك «قسماً» أو «حصّة»، وبالتالي «لقمة». وأكثر من هذا، فإن الفاعل في و- يتن لو، أي «وأعطاه»، أخذ تقليدياً على أنه ضمير مستتر يعود الى «أبرام» وليس الى ملك «شاليم» (وهذا ما جعل الكلمة تترجم في التوراة العربية «فأعطاه» بفاء العطف بدلاً من واو العطف)، بالرغم من أن الأخير كان الفاعل في الجملتين السابقتين. وهكذا، فإن المقطع بكامله فهم لا على أنه يعني أن ملك «شاليم» دعا «أبرام» لأن يأكل، بل على أن أبرام أعطى ملك «شاليم» عُشراً من كل الغنائم التي عاد بها، وهو تبرير زائف مفترض

للعشارية، وهي عند المسيحيين الضريبة الكنسية، نظراً لأن ملك «شاليم» كان أيضاً كاهناً «لله العلي» (هي الترجمة التقليدية لـ «عليون»). وهذا مثال بارز على مدى ابتعاد القراءة التقليدية للتوراة العبرية عن المرمى. وجلّ ما في الأمر هو أن ملك شلم، الذي كان أيضاً كاهناً لإله يدعى «عليون»، أخرج خبزاً وخبزاً وصنع وليمة لـ «أبرام العبراني» وهو في طريق عودته منتصراً من حملة عسكرية ناجحة.

وبالعودة إلى النص بالأحرف الساكنة للمزامير ١١٠: ٤، يجد القارئ الجملة التالية: «ته كهن لـ - عولم عل دبوتي ملكي صدق، التي جرى تصويتها تقليدياً لتقرأ مترجمة: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق»، والكلام يفترض أنه موجه إلى الملك داود. وفيما يلي الملاحظات حول الترجمة:

١ - ان لـ - عولم العبرية يمكنها بالتأكيد أن تعني «إلى الأبد»، ولكن يمكنها أيضاً أن تعني «إلى عولم»، التي يمكن أن تكون اسم إله أو مقام، أو لقب من ألقاب يهوه، إله إسرائيل (انظر أدناه)، بمعنى «الأبدي» أو «الأزلي». ومع الأخذ في الاعتبار أن ما من مخلوق بشري يمكنه أن يكون كاهناً (أو أي شيء آخر) «إلى الأبد»، فإن التفسير الثاني المحتمل للكلمة العبرية لـ - عولم يعطي معنى أفضل للنص في إطاره.

٢ - ان دبوتي العبرية لا يمكن أن تعني «رتبة» لأنها ليست كلمة بصيغة المفرد، ولا يمكنها أن تكون إلا مثنى دبره (دبرتيم، المختلفة عن الجمع المؤنث دبوت)، وقد أسقطت لاحقة التثنية (الميم) في البنية المضافة دبوتي (م) ملكي (م) صدق. ودبره العبرية هي اسم الفعل المؤنث من الفعل دبر، يقابله بالعربية «دَبَرَ»، ومنه «الدابر» أي «التابع». وبالتالي،

يجب أن تترجم دبره العبرية على أنها تعني «التابعة»، أي «منطقة امتداد السلطة»، أو على الأرجح «الرعية»، مما يجعل دبرتي (م) تعني «التابعتين» أو «الرعتين».

٣ - ان ملكي (م) صدق العبرية، في هذا الاطار، عبارة عن بنية اضافة تعني «ملوك صدق». وهناك عدّة أماكن في غرب شبه الجزيرة العربية تحمل الى اليوم اسم صدق بتصويت أو بآخر. ومن الملحوظ في هذا الصدد غياب أي ذكر لـ شلم أو لـ عل عليون في نص المزمور.

في ضوء هذه الملاحظات، يجب تصحيح قراءة المزمور ١١٠ : ٤ ليؤدي المعنى التالي: «أنت كاهن لـ عولم على تابعتي (أو رعتي) ملوك صدق». وهنا، كما في التكوين ١٤ : ١٨، لا تتعلق المسألة بشخص ملك - كاهن اسمه «ملكي صادق».

والمقصود فعلاً في سفر التكوين وفي المزمور ١١٠ هو سلالتان مختلفتان من الملوك القدماء في غرب شبه الجزيرة العربية. وقد كان الملوك من السلالة الأولى كهنة يقدّسون إلهاً اسمه عل عليون. أما ملوك السلالة الثانية، فربّما كانوا يقدّسون إلهاً خاصاً يدعى صدق (انظر أدناه). والواضح ان الاسرائيليين، في زمانهم، كانوا يعتبرون عل عليون وعل عولم من اسماء الإله الواحد الذي اعترف به بنو اسرائيل وأسموه بدورهم يهوه، ولذلك أدرجوا هذين الاسمين كصفة لله بمعنى «الله العلي» و«الله الأزلي» في كتبهم المقدسة. وربّما اعتبروا صدق أو صديق ايضاً من اسماء الله أو من صفاته بمعنى «الحق» و«البر» (انظر اشعيا ٤٥ : ٢١، مزامير ٧ : ١، الخ.، في الأصل العبري، وبدون التحريك المسوري).

ويسود الرأي اليوم بأن شلم، التي كان ملوكها كهنة يقدّسون عل عليون (أي الإله عليون)، كانت بلدة كنعانية في فلسطين اسمها «شاليم»، وقد حدّدت هذه البلدة أحياناً بأنها «أورشليم» بالذات، أي

مدينة القدس . والصحيح أن شلم هي اليوم قرية آل سلامة (سلم بلا تصويت) في جوار النماص بسراة عسير . والدليل على ذلك وجود قرية أخرى في الجوار ذاته تحمل الى اليوم اسم الإله عليون، وهي آل عليان (عل علين) . وفي نفس الجوار أيضاً قرية ثانية تحمل الى اليوم اسم الإله عولم، وهي آل الأعلم (عل علم). واسم هذا الإله تحمله اليوم أيضاً قرية في جوار تنومة، جنوب النماص، تدعى آل العلم (عل علم). ويلاحظ من تركيب اسم آل سلامة (عل سلم) أن شلم التوراتية لم تكن فقط اسم مكان، بل أيضاً اسم إله (عل شلم، انظر أدناه). ولعل الإله عليون، وهو إله ملوك شلم، كان يطلق عليه أيضاً اسم شلم.

أما ملوك صدق، فربما كان مركزهم الأساسي في القرية المعروفة اليوم باسم بيت الصديق (وبلا تصويت بيت صدق، أي «معبد صدق»، أو بيت عل صدق، أي «معبد الإله صدق»). وفي ذلك ما يشير إلى أن صدق ربما كان اسماً للمكان واسماً للإله الذي كان يقده ملوك هذا المكان في الوقت ذاته. أما عبارة دبرتي (أي «تابعتي» أو «رعيتي») ملوك صدق، فربما فيها إشارة إلى بلاد زهران من جهة، حيث توجد إلى اليوم قرية بيت الصديق وقرية أخرى اسمها الصداق (أيضاً صدق بلا تصويت)، وإلى منطقة جيزان ومنطقة نجران، في أقصى جنوب عسير الجغرافية، من جهة أخرى. والدليل على ذلك وجود قرية اسمها صديقة (صدق بلا تصويت) في منطقة جيزان، وأخرى اسمها صدقة في منطقة نجران. ويجب التذكير هنا بأن الملك داود جاء أصلاً من وادي أضم، قرب بلاد زهران حيث توجد إلى اليوم قرية بيت الصديق، وأنه حكم مملكة «كل إسرائيل» من العاصمة التي أقامها في «جبل صهيون» (وهو اليوم «قوة الصيان») في رجال ألمع، وهو مكان أقرب من صديقة جيزان وصدقة نجران منه إلى بيت الصديق والصداق في بلاد زهران. وربما كان هذا تفسير المثنى في عبارة دبرتي في المزمور ١١٠. ويبدو أن هذا المزمور يشير إلى أن داود، بعد انتقاله إلى عاصمته الجديدة في رجال ألمع، صار

كاهناً لله «الأزلي» (عولم كصفة لله ، وليس كاسم إله معين) معترفاً به في الجنوب كما في الشمال ، من قبل المناطق والشعوب التي كانت في السابق تشكل «تابعتي» أو «رعيتي» ملوك صدق .

وهكذا يصبح المعنى المقصود في الأصل العبري من المزمور أكثر وضوحاً: «ته كهن لـ - عولم عل دبرتي ملكي صدق ، أي «أنت كاهن (لله) الأزلي على تابعتي ملوك صدق». ولعلّ ملوك صدق هؤلاء كانوا قد وحدوا بلاد السراة وجوارها تحت حكمهم في وقت ما قبل ظهور مملكة «كل اسرائيل» ، فبقي لهم ذكر في زمن بني اسرائيل ، أي في زمن التوراة ، ثم زال ذكرهم هذا من الوجود بعد انقراض بني اسرائيل بتواتر الأزمنة وتغير الأحوال .

وهذه ملاحظات إضافية بشأن شلم و عليون وعولم وصدق (كإسم مكان وكإسم إله أو معبد) ، وغيرها من أسماء الآلهة القديمة المذكورة في التوراة ، والتي ما زالت موجودة كاسماء أماكن في غرب شبه الجزيرة العربية :

١ - إن الاله الاسرائيلي يهوه محدد بشكل مميز على انه «شلم» (شلموم ، وزن «فعلول» من شلم) في اسم مذبح يقال ان أحد قضاة اسرائيل ، وهو المدعو جدعون ، بناه في «عفرة» (عفره) ، في مكان يقال انه كان مُلكاً لأناس من «عزر» (عبي هـ - عزري ، في الترجمة العربية «الأبيعزريين» ، القضاة ٦ : ٢٤) . ولا بدّ أن «عفرة» المذكورة هي اليوم العفراء (عفر) الحالية ، في منطقة النماص . والقرية هذه غير بعيدة عن العصرة (عضر ، قارن مع عزر العبرية) في منطقة بني عمرو ، إلى الشمال من النماص ، ولا شك في أنها «عزر» التوراتية . ومن الواضح أن الموقع الذي أقام فيه جدعون مذبح «يهوه شلموم» لم يكن غير آل سلامة ، في

جوار النماص، وهي شلم المذكورة بالاسم في التكوين ١٤.

٢ - ان المسيح الذي وردت النبوءة بولادته في إشعيا ٩: ٦ يسمى «ل جبور» بي عد سر شلوم، وهو ما يترجم عادة إلى: «إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام». والتعبير العبري سر شلوم هنا ربما عنى «أمير شلوم» أي «صاحب» أو «رب» مقام شلم، في قرية آل سلامة الحالية. وبالتأكيد، فان «بي عد» هو أيضاً اسم اله قديم اصبح فيما بعد لقباً من ألقاب يهوه إله اسرائيل، وبالتالي من ألقاب المسيح الموعود. وقد استمر اسم هذا الإله في الوجود كاسم لقرية أبو العيد (عبي عد بلا تصويت) في منطقة جيزان. وأكد أيضاً ان «ل جبور» هو اسم اله مماثل لـ شلم و«بي عد» استمر في الوجود كاسم لثلاث قرى ببلاد عسير تدعى آل جبّار (ل جبر)، احداها في منطقة تنومة، والثانية في سراة عبيدة، والثالثة في منطقة المجاردة. وأسماء هذه الآلهة الثلاثة أعطيت، في اشعيا، للمسيح الذي كان بنو اسرائيل المتأخرون ينتظرون قدومه ليجلس على عرش داود ويعيد اليهم عزهم المفقود.

٣ - ان القراءة التقليدية للتكوين ١٤: ٢٢ اعتبرت - ولزمن طويل - أن من المسلم به كون «أبرام العبراني» اعترف بالقسم بأن إلهه، وهو يهوه، هو ذاته «ل عليون»، اله ملك «شاليم». والنص العبري لقسم أبرام، الذي يقول هرمي يدي «ل يهوه» «ل عليون»، أخذ عادة على أنه يعني: «أقسمت (حرفياً: «رفعت يدي») لـ يهوه» «ل عليون»، (وفي الترجمة العربية ومعظم الترجمات الأوروبية: «إلى

الربّ الاله العليّ). والصحيح أن اللفظة العبرية يهوه هنا (كما في أماكن أخرى عديدة من التوراة) يجب أن تقرأ على أنها صيغة المضارع من فعل هيه، اي «كان». وبالتالي، فإن القسم يجب ان يقرأ ليترجم حرفياً: «أقسمت، وعل عليون يكون إلهاً»، أي بالعربية «أقسمت، والله هو عل عليون» (عل يهوه عل عليون)، بما في ذلك من اعتراف علنيّ بالهوية عل عليون كشهادة على صحة القسم. وفي المزمور ٧: ١٦، جاء ذكر عليون، بما لا يقبل الشك، على أنه اسم يهوه (شم يهوه عليون: «اسم يهوه هو عليون»). وقد أطلق على يهوه اسم عليون أيضاً في المزمور ٤٧: ٢. وأكثر من ذلك، فان عليون (وليس يهوه) هو الاسم الذي يطلق على إله اسرائيل في أكثر من عشرين مقطعاً من النص التوراتي بالأصل العبري.

٤ - أن يهوه معرّف بـ «ل عولم في سفر التكوين ٢١: ٣٣، وبـ «لهي (م) عولم (حرفياً: «اله عولم») في اشعيا ٤٠: ٢٨. وهو يسمى أيضاً «ملك عولم» (ملك عولم) في إرميا ١٠: ١٠.

٥ - في المزمور ٧: ١٦، أخذ المقطع العبري «وده يهوه بـ» صدقو على أنه يعني: «أحمد الرب حسب بـه». لكن باء الجرّ في بـ» صدقو تعني تحديداً «في» أو «عند» صدقو، ولا يمكنها ان تعني بشكل من الأشكال «حسب» أو «لأجل» صدقو، التي كان يجب أن يكون حرف الجر العبري الخاص بهما هو اللام (لـ» صدقو)، وليس الباء. والترجمة الصحيحة للنص العبري يجب أن تكون: «أحمد يهوه في صدقه»، أي في مقامه الذي هو في مكان يسمى صدق، ربما كان قرية صديقة الحالية في منطقة

جيزان^(١). وبإمكان الباحث أن يستعرض جميع الفقرات التوراتية التي وردت فيها كلمة صدق وأن يحدد، استناداً إلى إطار النص، أين تشير الكلمة إلى مقام يسمى صدق، وأين تعني ببساطة «الصدق» أو «الحق» أو «البر».

والواضح من كل ما قيل في هذا الفصل حتى الآن أنه لم يكن هنالك في أي وقت ملك - كاهن اسمه «ملكي صادق» يقيم في «شاليم» أو «أورشليم»، وله «رتبة» كهنوتية يختص بها. بل إن في استطلاع مسألة «ملكي صادق» ما يفتح الطريق لحل لغز تاريخي هائل يتعلق بالأصول الوثنية المنسوبة للديانة اليهودية التوحيدية في غرب شبه الجزيرة العربية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكلمة التي تدل على «الاله الواحد» في العبرية هي *إلهيم*، التي هي الجمع المذكر من *إله* أو «إله». وهكذا يصح القول بأن ما أصبح معترفاً به من قبل بني إسرائيل، في زمن معين، وفي غرب شبه الجزيرة العربية، بأنه «إله واحد» كان في الأصل تجمعاً لآلهة محلية أو قبلية متعددة. وأن استعراضاً سريعاً لأسماء الأمكنة التي تبدأ بـ «آل» (عل، قارن مع *عل* العبرية، بمعنى «إله»)، في غرب شبه الجزيرة العربية، ناهيك بأسماء الأماكن التي لا تحصى والتي تبدأ بأداة التعريف العربية *أل* التي يمكن أن تفهم على أنها استمرار في الوجود للعبرية *عل*، يمكنه أن يبين أن تجمع آلهة غرب شبه الجزيرة العربية في الأزمنة القديمة كان يبلغ مئات من الآلهة، وربما كانت بينها آلهة مسماة بأسماء مختلفة حسب المناطق. وكان من بين هذه الآلهة: *آل سلامة* (شلم أو شلوم التوراتي)، و*آل عليان* (عل عليون التوراتي)، و*آل العلم* (عولم التوراتي)، وصدق التوراتي. وهذا الاله الأخير يرد اسمه في صيغتي صدق و صديق في النقوش العربية القديمة.

(١) المزمور ٧ منسوب إلى مكان (وليس إلى شخص) اسمه «كوش» (كوش)، هو على الأرجح الكوس أو كيسة الحالية، وكلاهما في منطقة جيزان.

وفي التوراة العبرية، عُرف كل من آل سلامة، وآل عليان، وآل العلم، وبوضوح، على أنه الإله يهوه إله إسرائيل (انظر أدناه)، وورد صدق على أنه اسم مقام لإله يهوه. وكذلك فقد عُرف بـ يهوه عدد من آلهة غرب شبه الجزيرة العربية الأخرى التي بقيت أسماؤها قيد الوجود في أرضها الأصلية كأسماء أمكنة. ومن هذه الآلهة إل شدي (في التوراة العربية «الله القدير»)، وءلهي صبءوت أو يهوه صبءوت (في التوراة العربية «إله الجنود» و«رب الجنود»)، وءل رءي (في التوراة العربية «إيل رُئي»، واسم الإله هذا مقترن في سفر التكوين ١٦: ١٣-١٤ باسم بئر، ومعناه «إله الرئي»). أما الأمكنة التي ما زالت تحمل أسماء هذه الآلهة إلى اليوم فهي قرى آل سادي (ءل سدي) في منطقة ظهران الجنوب، والصبيات (قابل مع صبءوت) في منطقة النماص، وآل رهوة (أي «إله الفوهة المائية، البئر») في رجال ألمع. وكما لوحظ سابقاً، فإن اسمي إلهين آخرين من غرب شبه الجزيرة العربية، هما آل جبَّار (ءل جبور التوراتية) وأبو العيد (ءبي عد التوراتية)، عُرفا في أشعيا على أنها اسمان للمسيح الموعود. ويستنتج من ذلك أن اسمي هذين الإلهين كانا أيضاً من الأسماء المعتمدة للإله الواحد يهوه من قبل بني إسرائيل^(٢).

واسم يهوه نفسه استمر في الوجود في غرب شبه الجزيرة العربية، ليس فقط كـ يه أو يهو في المنقوشات الشمودية واللحيانية التي عثر عليها في شمال الحجاز (وهي حقيقة يقرها جميع الباحثين اليوم)، بل أيضاً في عدد من أسماء الأمكنة. وأحدها هو جبل تهوى (تهو) في عسير الساحلية. والأمكنة الأخرى هي قرى مثل الهاو (ءل هو) والهواء (ءل هو) وأبو هياء (هي) وهية (هي) في الحجاز، وآل هية (ءل هي) في منطقة النماص (ربما كان الاسم لمقام رئيسي ليهوه، نظراً لقربه من آل عليان

(٢) النقوش العربية القديمة تثبت شلم (سلمن مع لاحقة التعريف) وعولم (علم)، وربما بي عد (يعدن أو بـ عدن مع لاحقة التعريف) كأسماء آلهة قديمة في غرب شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى اسم الإله صدق.

وآل العلم، انظر أعلاه)، وهياي (هي) في جوار طهران في الجنوب (قابل مع اسم ذات ظهرون الوارد كاسم إله في النقوش العربية القديمة). والأرجح هو أن يهوه، مثله مثل إل عليون، كان في الأصل إله المرتفعات الجبلية. وما زال الباحثون يختلفون حول معنى يهوه، ومعظمهم يعتبر الاسم صيغة المضارع من هيه، بمعنى «هو يكون». ويمكن تفسير الاسم بكل بساطة كاسم فعل على وزن «يفعل» من الجذر هوه وليس هيه، أي «كان». والجذر هذا يفيد بالعبرية والعربية (هوى) معنى «السقوط»، وهو مشهود أيضاً بالعربية بمعنى «الصعود» و«الارتفاع» (ومنه «الهواء»). وبذلك يصبح يهوه، من مفهوم الاسم، إله «الرفعة، العلو، الشموخ»، وهو ما يفيد اسم «الله العليّ» إل عليون. ومثل هذا الاسم جدير بأن يطلق على كبير الآلهة، ومن ثم على الإله الواحد.

ولا يمكن للإنسان حقاً أن يقول متى تم الجمع بين يهوه وغيره من آلهة غرب شبه الجزيرة العربية، والاعتراف بهم كاله واحد هو هليم، أي الله. وكل ما يستطيع الإنسان أن يقوله هو أن الجمع بين هذه الآلهة القديمة لم يكن شاملاً بل انتقائياً. في حين أن أسماء بعض هذه الآلهة، ومنها الأسماء المذكورة أعلاه، موثقت بـ يهوه، فإن أسماء أخرى لم تفعل. ومن هذه أسماء الإلهين سكوت وكيون (عاموس ٥ : ٢٦، وقد أثبت الاسمان في الترجمات الأوروبية الحديثة للتوراة، أما في العربية فقد ترجمت لفظة سكوت إلى «خيمة»، ولفظة كيون إلى «نجم»). وهناك اليوم قرية تدعى آل سكوت في سراة بني عمرو، شمال النماص، وهي تحمل بلا أدنى شك اسم الإله سكوت. ويذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب» موقعاً في ديار تميم اسمه «القوين»، والاسم هذا يكاد أن يكون مطابقاً لاسم الإله كيون. ولعلّ قرية آل كوعان، في سراة عبدة، تحمل أيضاً اسم هذا الإله المرفوض من بني إسرائيل، مع إدخال حرف العين بين حرفي العلة في التعريب، كما هو مشهود في أحوال عديدة. ومن

الآلهة القديمة التي رفضها بنو اسرائيل ما كان يُلقَّب بـ «بعل بدلاً من إل». وربما أن لفظة بعل منحوتة في «ب عل»، أي «أبو الغلّة»، مما يعني أن الآلهة المعروفة بهذا اللقب كانت آلهة خصوبة ومحاصيل زراعية. و«البعل» بالعربية هو «كل نخل أو زرع لا يُسقى»، وهو «ما سقته السماء»، أي ما يعتمد ليس على رَيِّ المزارع، بل على الريّ الطبيعي، وهو مجازاً الريّ الذي يوفره بعل، إله الخصوبة. ومن آلهة بعل التي نبذها بنو اسرائيل، بعد تحوّلهم الى عبادة الإله الواحد، بعل زبوب (الملك الثاني ١: ٢). وهذا اليوم هو اسم قرية آل ذبابة (عل ذهب) في جوار خميس مشيط، ناهيك عن قريتي ذُبوب وذُبابة في منطقة جيزان. و«الأزب» بالعربية (قابل مع العبرية زبوب) هو «الخصيب، الكثير النبات»، وهو أيضاً من أسماء الشياطين. ولعلّ اسم بعل زبوب يعني «أبو الخصوبة صاحب الذُكر العظيم». ومن الممكن إجراء مسح شامل لأسماء آلهة غرب شبه الجزيرة العربية الذين جرت مماثلتهم في القدم بـ يهوه، وأولئك الذين لم تجر لهم مثل هذه المماثلة، لكن مثل هذا المسح يبقى خارج نطاق هذه الدراسة.

وهناك في سفر التكوين ٢٢: ١ - ١٤، إذا ما قرئ النصّ في أصله العبري، إشارة خفيفة إلى واقع الانتقال من عبادة «الآلهة» المتعدّدة (هـ-ءهيم مع أداة التعريف) إلى عبادة الله الواحد (ءهيم بدون أداة التعريف). ويبدو أن تعديلاً قد أدخل على النصّ الأصلي، عن قصدٍ أو عن غير قصد، بحذف لاحقة الجمع عن الأفعال المنسوبة الى هـ-ءهيم، أي الآلهة. وقد فات على من أدخل هذا التعديل حذف هاء التعريف العبرية عن ءهيم حيث وردت في الأصل، فبقيت هـ-ءهيم حيث كان المقصود هو الإشارة الى «الآلهة» وليس إلى «الله».

ومفاد القصة التي يرويها هذا النصّ، إذا ما أخذ الفرق بين هـ-ءهيم وءهيم بعين الاعتبار، أن هـ-ءهيم (أي الآلهة، وليس الله)

أمرت ابراهيم بأن يأخذ ابنه اسحق الى أرض «مورة» (هـ - مريه، وهي اليوم «المروة» من قرى بني عبد شحب في رجال ألمع، انظر الفصل ١٣) ليقدّمه ك محرقة في «جبل الرب يُرى» (هر يهوه يره، ويره هي اليوم يراء، وهي أيضاً من قرى بني عبد شحب في رجال ألمع). وتابع ابراهيم أوامره - عهيم (أي الآلهة) بدقة. ولكنه ما إن بدأ بتحضير المذبح حتى سأله ابنه اسحق: «هوذا النار والخطب ولكن اين الخروف للمحرقة؟» فأجابه ابراهيم بأن الله (عهيم، وليس هـ - عهيم) هو الذي سيؤمّن الخروف (٢٢: ٨). وعندها تدخل يهوه وقدم كبشاً للمحرقة عوضاً عن اسحق، بعد أن تأكّد بأن ابراهيم يخاف «الله» (عهيم، وليس هـ - عهيم، ٢٢: ١١ وما يلي). والغريب في الأمر أن ما من مترجم لهذه القصة التوراتية لاحظ الفرق بين هـ - عهيم و عهيم في النصّ الأصلي، فترجمت الكلمتان بالسويّة على أنهما تعنيان «الله». ولو كان ذلك هو المقصود لما سمي الله عهيم و هـ - عهيم في النص ذاته. ويبقى هنا السؤال: هل روى سفر التكوين قصة لإبراهيم واستعداده للتضحية باسحق أصلاً لتفسير انتقال الجد الأعلى لبني اسرائيل من عبادة الآلهة (هـ - عهيم) وتقدمة الضحايا البشرية لها، إلى عبادة الله الواحد (عهيم) والاستعاضة عن الضحايا البشرية بالقرابين؟

وهناك شيء واحدٌ مؤكّد، وهو أن في بعض اسفار التوراة اعتراف صريح بوجود آلهة غير يهوه، وإن لم تكن لهذه الآلهة قدرة يهوه وعلو شأنه. ومن أغرب ما جاء في سفر التكوين (٦: ١ - ٤) عن هذه الآلهة هو الآتي (مع اعادة الترجمة من الأصل العبري):

«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون في الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الآلهة (بني هـ - عهيم) رأوا بنات الناس أنهن حسناوات. فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كلّ ما اختاروا. وقال يهوه: لن تدنو روحي من الانسان أبداً (لء يدون روحي بـ -

«دم ل - علم)، فهو سقيم (ب - شجم هو، وحرفياً «بسقم هو»، وأيامه هي مئة وعشرون سنة. وكان النوافل (هـ - نفلیم، جمع نفل، أي «نوفل» أو «بطل») في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضاً دخل أبناء الآلهة (هـ - ءلهیم) على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة (هـ - جبوریم) الذين منذ ذلك الوقت أهالي هشم (ءنوشي هشم).

هذه ميثولوجيا خالصة، شبيهة جداً بسائر ميثولوجيات العالم القديم. والقصة فيها تشير إلى أن يهوه لم يقرب نساء البشر كما كان يفعل غيره من الآلهة، وبذلك كانت له منذ البدء صفة خاصة. أما سائر «أبناء الآلهة»، فلم يقربوا نساء البشر فحسب، بل صارت لهم ذرية بشرية من «النوافل» و«الجبابرة»، وهؤلاء الأخيرون أهالي مكان اسمه هشم. والمهم في الأمر، بالنسبة إلى هذا البحث، أن «النوافل» ربما كانوا أبناء قرיתי النوافل والنوافلة من ناحية الحُرث، بمنطقة جيزان. وربما كان «الجبابرة»، وهم أيضاً من سلالة الآلهة على حد قول سفر التكوين، أبناء قرية آل هاشم (هشم بلا تصويت)، من قرى المكارمة بمنطقة نجران.

١٣ - العبرانيون وأعراش عسي

لم ترد كلمة «عبري» (عبري والجمع عبريم و عبريم، والمؤنث عبريت، وجاءت الترجمة العربية «عبراني») أكثر من سبع عشرة مرة في التوراة العبرية، ومن ثلاث مرات في الكتب المسيحية (أعمال الرسل ٦ : ١، والرسالة الثانية الى أهل كورنثوس ١١ : ٢٢، والرسالة إلى أهل فيلبي ٣ : ٥). وفي النصوص المسيحية استخدمت الكلمة فقط لتفريق المسيحيين من أصول إثنية يهودية عن المسيحيين الآخرين، وخصوصاً عن «اليونانيين»، أو «الهيلينيين» (أعمال الرسل ٦ : ١). أما في النصوص التوراتية فقد جاء استعمال الكلمة غامضاً بعض الشيء. وعلى ذلك، يبقى الانطباع من قراءة هذه النصوص بأن بني اسرائيل كانوا يعتبرون أنفسهم شعباً عبرانياً. فمن هم هؤلاء العبرانيون، وكيف التوصل الى معرفة شيء عنهم؟

يظهر من قراءة الاصحاح ١٠ من سفر التكوين أن العبرانيين كانوا يعرفون في زمانهم بـ «بني عابر» (بني عبر). والتفسير التوراتي هو أن عابر (عبر)، جد الشعوب العبرانية، كان من سلالة سام بن نوح. وكان لسام هذا خمسة أبناء، أحدهم آرام (عرم) جد الآراميين. ومن الأربعة الآخرين أرفكشاد، وهو جد عابر الذي تحدر منه العبرانيون. وكان لعابر إبنان، فالج (فلج) ويقطان (يقطن). ومن الثاني تحدرت قبائل اليمن، ومنها «شبا» (شبء، أي سبأ) و «حضر موت»

(حصرموت). والواضح أن هذه القبائل كانت تعتبر عبرانية، أي من «بني عابر». أما ابن عابر الأول، وهو فالج، فمن سلالة «أبرام العبراني» (عبرم هـ - عبري) الذي صار اسمه فيما بعد إبراهيم (عبرهم). ولم يكن إبراهيم جدّ بني إسرائيل وحدهم. فمن سلالته، حسب سفر التكوين، الشعوب التي تحدّرت من ابنه اسماعيل، وتلك التي تحدّرت من زوجته الثالثة قطورة. أضف إلى ذلك أن ابنه اسحق كان له بدوره ولدان تّومان هما عيسو ويعقوب. ويقول سفر التكوين إن عيسو تسمى فيما بعد أدوم (عدم)، وهو جد «الأدوميين». ويعقوب تسمى فيما بعد إسرائيل، ومن ابنائه الاثني عشر تحدّرت قبائل أو «سباط» بني اسرائيل.

الواضح، إذن، أن بني اسرائيل لم يكونوا وحدهم العبرانيين، بل أن من «بني عابر» أيضاً شعوباً أخرى، منها الشعوب اليقطنانية (واسم يقطن هو اليوم اسم بلدة القطن في حصرموت)، ومنها أيضاً الشعوب الاسماعيلية والقطورية والأدومية التي تحدّرت من إبراهيم، وهو الجدّ الذي انتسب إليه أيضاً بنو اسرائيل. فمن هم العبرانيون هؤلاء، وكيف لنا أن نعرف شيئاً عنهم؟ ليست لدينا في الأمر إلا وسيلة واحدة، وهي التحليل اللغوي للاسم عبري، الذي منه اسم العبريم، أي «العبرانيين». والرأي السائد هو أن عبر، بالعبرية، يقابله بالعربية الجذر الفعلي «عَبَرَ»، بمعنى «قطع»، أي «انتقل من جهة إلى أخرى». ولعلّ هذا صحيح. لكن هناك إمكانية أخرى، وهي أن عبر يقابلها بالعربية الجذر الاسمي «عبر» بالغين، وليس بالعين (انظر أدناه)، علماً بأن حرف الغين لا وجود له في الأبجدية العبرية. وقد اتضح من خلال دراسة أسماء الأماكن في الفصول السابقة أن الغين كانت تلفظ في الكلام العبري ولا تكتب، فتكون أحياناً لفظاً لحرف الجيم، وأحياناً لفظاً لحرف العين في الكتابة.

وقد جرت محاولات عديدة لتعريف العبريم التوراتيين بأنهم هم ذاتهم إلخا - في - رو (خفر بلا تصويت) المذكورون في النصوص

المسمارية، والدعفرم (جمع عفر) المذكورون في النصوص الأوجاريتية، والدخابيرو (خبر بلا تصويت) المذكورون في رسائل العمارة (حول هذه الرسائل انظر الفصل ٥)، والدعفر المذكورون في النصوص المصرية. ومن العلماء من رأى بأن هذه الأسماء، وكذلك اسم عبريم بالعبرية، كانت تطلق في القدم ليس على شعب معين، أو على جماعة إثنية معينة، بل على طبقة اجتماعية منبذة من قطاع الطرق والمرترقة والباعة المتجولين الذين يعيشون خارج إطار القانون ولا يخضعون لأية سلطة. وربما كان هذا صحيحاً بالنسبة الى الـ خا - في - رو والدعفرم والدخابيرو والدعفر. لكن هؤلاء ليسوا العبرانيين التوراتيين إطلاقاً. ولو كان الأمر كذلك لكان الاسم عبريم كتب بالمسمارية أ - بي - رو وليس خا - في - رو، وبالأوجاريتية عبرم وليس دعفرم، وبالمصرية عبر وليس عفر، وفي رسائل العمارة أبيرو وليس خابيرو. فالعين في اللغات السامية لا تتحول إطلاقاً إلى خاء، والباء لا تتحول إطلاقاً إلى فاء، وهذا أمر معروف ولا جدل فيه. فالآشوريون والبابليون والأوجاريتيون كانوا يتكلمون لغات سامية، ولا يعقل أنهم وجدوا صعوبة في لفظ العين في عبريم فجعلوها خاء، أو في لفظ الباء فجعلوها فاء. وقد اتضح من الفصل ١١ أن المصريين القدماء لم يجدوا أية صعوبة في ضبط أسماء الأماكن التوراتية بالتهجئة الصحيحة.

من الأفضل، إذن، أن نضرب صفحاً عما قاله العلماء حتى اليوم في أمر العبرانيين، فنعود إلى التوراة لنتتبع قصة «أبرام العبراني» كما يرويها سفر التكوين. وفي هذا السفر يحمل أبرام هذا الاسم حتى الاصحاح ١٧، ثم يتحول اسمه الى ابراهيم بدءاً من الاصحاح ١٨. وهو موصوف بـ «العبراني» فقط في الاصحاح ١٤. وبغض النظر عما إذا كان أبرام وابراهيم بالفعل شخصاً واحداً، فإن سفر التكوين يعاملهما على هذا الأساس، ويعتبر أن هذا الشخص الذي تغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم في وقت ما هو الجد المشترك لبني اسرائيل ولشعوب «عبرانية»

أخرى. ويفيد سفر التكوين (١٢ : ٦ ، ١٤ : ١٣) أن أبرام، جد هذه الشعوب «العبرانية»، كان ساكناً في وقت ما «عند بلوطات ممرا» (ب- علي ممرا، وهي تعني حرفياً «في» علي ممرا، وليس «عند» علي ممرا، والترجمة الصحيحة لـ علي ممرا هي «حرش» ممرا أو «غابة» ممرا، وليس «بلوطات» ممرا، والواضح أن ممرا اسم مكان^(١). وفي وقت آخر يقال عنه انه كان ساكناً «في حرش مورة» (ب- علوني مورة، ١٢ : ٦). وفي التكوين ١٨ : ١، عندما يتحول اسم أبرام إلى ابراهيم، تقول التوراة بأن ابراهيم كان مقيماً في «حرش ممرا» (علوني ممرا). جدّ «العبرانيين» من سلالة «فالج بن عابر»، إذن، ومنهم بنو اسرائيل، كان مسكنه في الاحراش أو الغابات، على ما تفيد التوراة.

ولفظه عبر نفسها (ومنها عبري) قد تدل على هذا الأمر إذا هي قرئت بالغين وليس بالعين، كما سبق. ذلك أن «الغبر» بالعربية هو جمع «الغبرة»، وهي «الأرض الكثيرة الشجر والنبت». ومما يزيد في الترجيح بأن اسم عبر التوراتي قد يكون غبر بالغين، ومنه اسم العبرانيين بمعنى «أهل الغبر» أو «أهل الاحراش»، هو أن سفر الخروج يتحدث في ستة مقاطع عن «إله العبرانيين» (٣ : ١٨، ٥ : ٣، ٧ : ١٦، ٩ : ١ و ١٣ : ١٠)، باعتباره أن هذا الاله هو يهوه إله اسرائيل بالذات. وهناك اليوم في مرتفعات عسير قرية تسمى آل الغبران (عل غبران، قارن مع علي هـ - عبريم). واسم المكان، وهو في منطقة ظهران الجنوب، هو ذاته اسم «إله العبرانيين»، مع لفظ العين العبرية بالغين. ويبدو أن هذا الاله كان إله «الغبر» أو أهل «الغبر»، أي الغابات والاحراش. وعلى الباحث أن يلاحق سيرة «أبرام العبراني»، كما جاءت في التكوين ١١ :

(١) ملن في العبرية هي الشجرة الكبيرة، وجمعها «لنيم أي» والشجر الكبير، الغابة، الحرش. وقد حذفت ميم الجمع في علي ممرا بداعي الاضافة. وربما ترجمت «لنيم» تقليدياً إلى «بلوطات» افتراضاً بأن «ممرا» هي في جوار الخليل في فلسطين. وهناك بلوطة قديمة عند المقام المنسوب لابراهيم هناك.

٣١ - ١٣ : ١٨ ، لكي يتحقق من المكان في غرب شبه الجزيرة العربية الذي أتى منه «العبرانيون» (أي «أهل الاحراش») في الأصل . وقد جاء في هذه السيرة أن أبرام وقومه جاؤوا أصلاً من «ور كسديم»^(٢) . ولا بد أن هذا المكان هو اليوم وَرْيَة (قابل مع «ور» في وادي أضم ، المعرفة بالنسبة إلى المقصود (بقلب الأحرف من كسديم) في الجوار نفسه (أي «ورية المقصود») . ومن هناك ، انتقل أبرام وقومه الى «حاران» (حرن) التي يظهر أنها خيران (حرن) الحالية في وادي أضم . وعندها انفصل أبرام عن قومه وتابع سيره باتجاه الجنوب إلى جوار شكيم (شكم) التي هي اليوم الكشمة (كشم) في رجال ألمع ، حيث استقر في حرش «مورة» التي يظهر أنها المروة الحالية ، من قرى البناء في هذه المنطقة (وهي غير «مورية» التوراتية التي هي اليوم المروة من قرى بني عبد شحب في المنطقة ذاتها ، انظر الفصل ١٢) . وبعد ذلك انتقل أبرام الى «الجل» (هر) شرقي «بيت إيل» (بيت عل) التي هي البتيلة الحالية في رجال ألمع (انظر الفصل ٤) . ونصب خيمته في مكان كانت فيه «بيت إيل» إلى الغرب و«عاي» (هـ - عي ، التي هي الغي الحالية ، في المنطقة نفسها ، انظر الفصل ٧) إلى الشرق^(٣) . وكان انتقاله التالي باتجاه «النقب» (هـ - نجب) التي هي

(٢) ان الترجمة المعتادة لـ «ور كسديم» على أنها «أور الكلدانيين» ، المأخوذة على أنها في بلاد العراق ، تأتي من السبعونية اليونانية (السبتواجنت) ، وهي تمثل بالتالي سوء تأويل جغرافي يعود إلى العصر الهيليني . انظر الفصل ١ .

(٣) هناك عملياً «بيت إيل» تسمى بيت أولى (بيت عل) في فلسطين ، في منطقة الخليل . وعلى مسافة معقولة الى الشرق ، عبر البحر الميت ، هناك «عاي» تسمى خربة عي (عي) في منطقة الكرك . لكن الفاصل بين هذين الموقعين ليس جبلاً بل أغوار البحر الميت التي تنحدر الى ما يقرب من ٤٠٠ متر تحت سطح البحر . وربما كان هذا هو السبب في أن الباحثين التوراتيين لم يعرفوا هذين الموقعين بأنها «بيت إيل» و«عاي» التوراتيان . وهذا صحيح . أما قول هؤلاء الباحثين بأن «بيت إيل» هي اليوم قرية «بيتين» الفلسطينية ، وأن «عاي» هي قرية التل المجاورة لها (انظر الفصل ٧ ، الهامش ٧) ، فهو قول لا يستقيم في حال من الأحوال . وفي قصة أبرام ، كما وردت في سفر التكوين ، ربما كان هناك بعض الاختلاط بين البتيلة والغي في رجال ألمع من ناحية ، ومثيلتها في بلاد زهران ومنطقة =

اليوم قرية النقب في رجال الملع . ومن هناك ذهب أبرام الى مصرمه، التي هي ليست مصر، كما في التعريف التقليدي، بل قرية المِصرمة (وتلفظ محلياً المِصرامة) الحالية بين أبها وخميس مشيط، حيث يقال إنه واجه مشاكل مع «فرعون» (فرعه) الذي يظهر أنه كان الحاكم المحلي، أو ربّما الإله المحلي^(٤). ومن هناك عاد أبرام إلى النقب (هـ - نجب) في رجال الملع، وكان قد حصل في المِصرمة على ثراء عظيم، ربّما عن طريق التجارة بالمواشي. ثم انتقل من النقب إلى الموقع الذي خيم فيه قبلاً بين «بيت إيل»، أي البتيلة، و«عاي»، أي الغي. ومن هناك ذهب أخيراً ليستقر في حرش «عمرا»، قرب «حبرون»، التي هي اليوم النَمرة (بقلب الميم الأولى الى نون) في منطقة القنفذة، القرية من الحريان (خربن، بقلب الأحرف من حبرن) في منطقة المجاردة المجاورة. وبالقرب من النَمرة، وفي منطقة القنفذة بالذات، توجد هناك إلى اليوم مجموعة من أربع قرى تسمى «قرية آل سيلان»، و«قرية الشّباب»، و«قرية عاصية»، و«قرية عامر»، ولا شك أن هذه القرى الأربع هي «قَرْيَة أربع» (قرية أربع) التوراتية حيث كانت سارة (أي ساراي) زوجة إبراهيم (أي أبرام) تقيم عند وفاتها (التكوين ٢٣ : ٢). وفي الجوار ذاته أيضاً توجد قرية مَقْفَلَة التي

= الطائف من ناحية أخرى، وهما البتيلة وعوياء، (انظر نهاية الفصل ١٠، حيث نوقشت مسألة موقعي جرزيم وعييال). والواقع هو أن البتيلة وعوياء هما أقرب من وادي أضم (حيث «ورية المقصودة» وخيران) من البتيلة والغي في رجال الملع. لكن مسار أبرام، كما يصفه سفر التكوين، يستقيم جغرافياً بالنسبة إلى رجال الملع أكثر منه بالنسبة إلى بلاد زهران ومنطقة الطائف.

(٤) هناك ما لا يقل عن ٢٨ قرية في غرب شبه الجزيرة العربية ما زالت تحمل اسم فرعه. وإن كون هذا الاسم كان اسم إله هو أمر واضح من اسم قرية آل فِراعة (ء ل فرعه) في منطقة بَلْسَمَر. وهناك قريتان تسميان الفرعة بالقرب من أبها، حيث توجد قرية المِصرمة. و«بيت» فرعه، الذي أصيب به «ضربات عظيمة بسبب ساراي، امرأة أبرام» (سفر التكوين ١٢ : ١٧) كان بلا شك معبد هذا الإله في المِصرمة، حيث أخذت ساراي لتقيم، بعد أن أخذت على أنها أخت أبرام وليست زوجته. راجع القصة هذه في الأصل. ومن ناحية أخرى، ربّما كان فرعه لقباً لحكام المِصرمة في زمن أبرام.

تحمّل حتى يومنا هذا اسم «مكفيلة» (في الأصل العبري مكفله) حيث اشترى إبراهيم حقلاً ومغارة ليدفن فيها زوجته سارة (التكوين ٢٣ : ٩ وما يلي). وقد زرت جميع هذه المواقع بنفسني وتحققت من وجودها في جوار واحد. هذا عن الدقة الجغرافية لقصة سفر التكوين إذا ما درست في ضوء خريطة غرب شبه الجزيرة العربية. ولولا وجود مقفلة و«القرى الأربع» (بالعبرية قرية أربع) بالقرب من النمرة والخربان في الجوار ذاته لما أمكن الجزم بأن النمرة والخربان الموجودتين هناك هما ممرة وحبرون المقرونتان في سفر التكوين بسيرة أبرام «العبراني». ويلاحظ أن اسم أبرام (عبرم) استمر في الوجود كاسم لموقعين في المنطقتين اللتين قضى فيها الجزء الأكبر من حياته (على ما يظهر من سفر التكوين) وهما: قرية شعب البرام (بمعنى «وادي» برم) في رجال ألمع، وبرمة (برم) في منطقة القنفذة.

ومن الواضح أن سيرة حياة أبرام تركزت حول رجال ألمع والجوار العام لمنطقة القنفذة، وهي مناطق ما زالت فيها غابات كثيفة من أشجار العرعر والسرو في الارتفاعات الأعلى، وأشجار البطم والسنط (أكاسيا) وأشجار حرشية أخرى متناثرة في الارتفاعات الأدنى، تنتشر بينها المراعي والأراضي الزراعية^(٥). أمّا المصرمة التي قضى فيها أبرام فترة قصيرة من حياته، فيبدو أنها كانت في زمانها سوقاً تجارياً هاماً شبيهاً بأسواق أبها وخميس مشيط المجاورتين لها في الأزمنة الحديثة. وأراضي السراة هناك هي من أهم المناطق الزراعية في بلاد عسير، بالإضافة إلى موقعها على ملتقى طرق القوافل التجارية في المنطقة منذ أقدم العصور. ويقول سفر

(٥) «حرش» إبراهيم المسمى «عمراء» يتمثل اليوم بتجمعات لأشجار السنط (الأكاسيا) والطرفاء في جوار نمرّة والخربان، في منطقتي القنفذة والمجاردة، وقد عايتها بنفسني. والمسألة لم تكن أبداً مسألة «بلوطات» (كما في الترجمات القديمة للتوراة، ومنها الترجمة العربية) ولا مسألة «بطمات» (كما في بعض الترجمات الحديثة)، إذ ليست هناك غابات من شجر البلوط أو البطم في ذلك الجوار.

التكوين أن أبرام ذهب إلى مصر^(٦) (أي المصرة) في وقت كان فيه «جوع في الأرض»^(٦).

هل كان كل بني اسرائيل أصلاً «عبرانيين»؟ نصوص التوراة لا تعطي جواباً قاطعاً على هذا السؤال، لكن فيها ما يشير بشكل خفي إلى أن بني اسرائيل لم يكونوا جميعاً بالضرورة من أصل «عبراني»، بل أن العنصر «العبراني» كان هو العنصر المسيطر عليهم في بداية أمرهم. وقد يستخلص هذا الواقع من قصة يوسف في سفر التكوين. ومن المعروف أن يوسف، حسب التوراة، كان واحداً من «ابناء» اسرائيل الاثني عشر الذين انتسبت اليهم «اسباط» (أي قبائل) بني اسرائيل. ويوسف، من بين «ابناء» اسرائيل هؤلاء، هو وحده الموصوف شخصياً في سفر التكوين على أنه عبراني: «يش عبري أي «رجل عبراني»، أو عبد عبري أي «عبد عبراني»، أو نمر عبري أي «غلام عبراني» (التكوين ٣٩: ١٤ و ١٧، ٤١: ١٢). ولم يوصف أي من «إخوته» شخصياً بهذا الوصف، مع أنهم وصفوا جمعاً بأنهم «عبرانيون» (كما في ٤٣: ٣٢). ويقول سفر التكوين أن يوسف بيع كعبد في «مصر» (مصر^(٦))، التي هي اليوم إما المصرة، في جوار أبها، أو مصر (مفرد مصر^(٦)) في وادي بيشة. وقبل ذلك كان يوسف يعيش مع أبيه في «حبرون»، التي جرى تعريفها قبلاً بأنها الخربان في منطقة المجاردة، في حين أن «إخوته» كانوا يرعون القطعان قرب «شكيم»، أي الكشمة في رجال ألمع (التكوين ٣٧: ١٣-١٤). ويستخلص من ذلك أن يوسف الموصوف وحده شخصياً بـ «العبراني» من بين «إخوته»، كان يقيم في المكان ذاته الذي كان يقيم فيه قبلاً أبرام الموصوف أيضاً بـ «العبراني». والتوراة لا تحدد «حبرون» كمحل الإقامة لأي من «إخوته» في أي وقت من الأوقات. وعندما أرسل يوسف ليتفقد

(٦) حتى وقت قريب كانت وديان الجانب البحري من عسير تتعرض دورياً لغزوات الجراد، وهو ما قد يفسر «المجاعات» التوراتية هناك (انظر الفصل ٣).

إخوته في «شكيم» وأخفق في العثور عليهم هناك، تبعهم إلى «دوثان» (المهجة دتينه و دتن، التكوين ٣٧: ١٧)، التي هي اليوم الدثنة من قرى جبل فيفا في داخل منطقة جيزان^(٧). وهناك ألقى «إخوة» يوسف القبض عليه وباعوه إلى قافلة من التجار المارّين هناك في طريقهم إلى مصر. وعند سفح جبل فيفا يمر الشعب الجبلي الضيق الذي يصل منطقة جيزان بأراضي عسير الداخلية. وهذا يفسر لماذا كانت قوافل التجار تمر بالقرب من الدثنة في طريقها إلى المصرة، أو إلى مصر، وكلاهما في حوض وادي بيشة. وتقول القصة إن هؤلاء التجار أخذوا يوسف معهم إلى مصر ليبيعه كعبد هناك. وبعد ذلك، تبعه «إخوته» (وكذلك «أبوه») إلى مصر (أي المصرة أو مصر) هرباً من الجوع في موطنهم الأصلي، كما فعل جدّهم أبرام قبلاً.

وطغيان العنصر «العبراني» بين الاسرائيليين يشير إليه الدور البارز المعطى ليوسف بين «إخوته» بعد أن هاجر جميعهم إلى أرض المصرة أو مصر (ربما كانت مصر، نظراً لأن من الأصح ترجمة «رص مصر» العبرية إلى «أرض أهل مصر»، حيث تكون كلمة مصري، وجعلها مصريم، النسبة إلى مصر). وعند إقامتهم هناك، أصبح كل «الأخوة» من «ابناء» اسرائيل، وذريتهم من بعدهم، يعرفون بكونهم «عبرانيين» (التكوين ٤٣: ٣٢، والخروج ١: ١٥ وما يلي و١٩، ٢: ٦ و٧ و١١ و١٣، ٢١: ٢)، وكذلك عرف الههم يهوه بأنه «اله العبرانيين» (انظر أعلاه). وبعد ظهور بني اسرائيل كشعب تاريخي ذي شأن، لم يعد تعبير «عبراني» يستخدم إلا نادراً للإشارة اليهم. وتحديدًا، لم يستخدم هذا التعبير في الأسفار التاريخية للتوراة إلا لتمييز بني اسرائيل إثنيًا عن شعوب أخرى عاشوا بينها أو وجدوا بينها (صموئيل الأول ٤: ٦ و٩، ١٣: ٣

(٧) قد تكون التهجة المتنوعة للاسم ناجمة عن الخلط بين الدثنة هذه وما هو اليوم قرية الدثينة في وادي أضم، حيث كانت أرض قبيلة يوسف في وقت لاحق (انظر الفصل ٦ والملحق).

واللغة التي عرفت بكونها اللغة «العبرية»، أو «العبرانية»، لم تكن - بالتأكيد - لغة بني اسرائيل و«العبرانيين» وحدهم. وفي أيامها كانت هذه اللغة واسعة الانتشار لا في غرب شبه الجزيرة العربية فحسب، بل أيضاً في أماكن أخرى، ومنها فلسطين وما يليها شمالاً من غرب الشام. وقد كانت اللغة العبرية، كما لوحظ سابقاً، تعرف بـ سفت كنعن، أي بـ «لغة كنعان»، ومنها لغة التوراة وغيرها من اللهجات الكنعانية القديمة، ومنها الأوجاريتية والفينيقية. ويبقى الواقع الذي لا شك فيه، وهو أن بني اسرائيل الذين اعتبروا انفسهم «عبرانيين» إثنيّاً بشكل خاص، كانوا هم الذين خلدوا سفت كنعن، أي لغة كنعان، كما كانت محكية في غرب شبه الجزيرة العربية في زمانهم. ولذلك يصح تسمية لغة التوراة باللغة العبرية.

١٤ - ماذا عن الفلستيين*

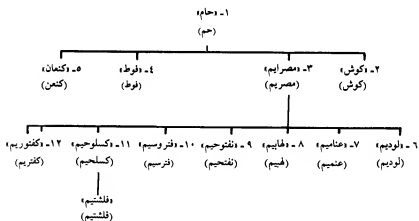
كتب أحد كبار الباحثين التوراتيين يقول: «الفلستيون، بين شعوب العهد القديم، هم من الأكثر وضوحاً والأكثر إثارة للحيرة في آن معاً»^(١). واثارتهم للحيرة لا تبدو مبعث دهشة، إذ ان الباحثين دأبوا على البحث عن موطنهم التوراتي في المكان الخطأ. ولأنه أشير إلى الفلستيين في بعض الفقرات التوراتية على أنهم «كريتيون» (كرتي، نسبة إلى كرت)، فقد ساد الاعتقاد بأنهم كانوا في الأصل «شعب بحر» من أصل عرقي غامض توطن أصلاً في جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط، ثم انتقل من هناك واستقر في ساحل فلسطين. وكيفية تسمية فلسطين باسمها هذا بعد أن استوطنتها فلستيو غرب شبه الجزيرة العربية هي مسألة بحثت قبلاً (انظر الفصل ١). والأمر المؤكد هو ان الفلستيين الذين تتحدث عنهم التوراة العبرية لم يكونوا فلستيو فلسطين، ولا هم أتوا على كل حال من جزيرة كريت. ولا بد أن كرت التوراتية (صموئيل الأول ٣٠: ١٤، صفنيا ٢: ٤ - ٥، حزقيال ٢٥: ١٥ - ١٦) كانت وادي كسريث (كرث)، وهو رافد لوادي تية في مرتفعات رجال الميع. وهناك واحدة

* هذه هي الترجمة الصحيحة لكلمة Philistines، التي ترد عادة في الترجمة العربية للتوراة العبرية «الفلستينيون» مما يوحي النسبة إلى أرض فلسطين خطأ - المترجم. والواقع هو أن اسم أرض فلسطين هو تعريف لاسم شعب الفلستيين وليس العكس.

(١) K. A. Kitchen, «The Philistines», in D. J. Wiseman, ed., *Peoples of Old Testament times* (Oxford, 1973), p. 53.

تسمى الكَراث (كرث) في وادي بيشة، حيث هناك أيضاً قرية تسمى الفُلْسَة (قارن مع العبرية فلشت، التي يكون جمع النسبة إليها فلشتيم، أي «فلسطين»). وهناك كراث أخرى قرب عُمَيْقَة في منطقة الليث، وثالثة في وادي أضم من منطقة الليث، حيث توجد أيضاً قرية اسمها الفَصيلة (ربما الاسم تحوير عن فلشت بقلب الأحرف، وقد تحولت فيه الشين في اللفظ المحلي الى الصاد وليس الى السين المعتادة).

ولعلّ أفضل طريقة لمعالجة مسألة الفلسطينيين التوراتيين هو الدخول في الموضوع مباشرة، ومحاولة تحديد الهوية التاريخية لهؤلاء الفلسطينيين دون الالتفات الى ما قاله علماء التوراة في شأنهم حتى الآن. والمعروف أن «لائحة الأمم» الشهيرة في الاصحاح ١٠ من سفر التكوين^(٢) تصنف الفلسطينيين (فلشتيم) بين نسل حام، ابن نوح، كما هو مبين في اللائحة التالية المأخوذة عن سفر التكوين ١٠ : ٦، ١٣-١٤ :



(٢) وهي ليست «لائحة أمم» بقدر ما هي جدول قبائل غرب شبه الجزيرة العربية ومجتمعاته، كما سنرى بعد قليل. وسفر التكوين عبارة عن ديوان جمعت فيه الاساطير المتعلقة بأصول =

ومع الأخذ في الاعتبار ان الفلسطينيين التوراتيين كانوا جيراناً لبني اسرائيل، وأن بني اسرائيل، كما أوضح قبلاً، كانوا فعلاً من أهل غرب شبه الجزيرة العربية، فان الأسماء الواردة في هذه اللائحة يمكن أن تعرف من خلال جغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية، كما يلي:

١ - «حام» (حم): ربما كانت الحم في منطقة القنفذة، أو الحم، في منطقة قنا والبحر.

٢ - «كوش» (كوش): الكوثة في جوار خميس مشيط (انظر الفصل ٤) (٣).

٣ - «مصرام» (مصرم): ربما كانت هنا مضموم (مضموم) في سرة غامد. والمرجح أنها إما المصرفة في جوار أبها، أو مصر في وادي بيشة (انظر الفصل ١٠)، أو آل مصري (أو مصري، نسبة الى مصر) في منطقة الطائف. ويحتمل ايضاً أنها اشارة الى مستوطنين مصريين حلوا في هذه الأماكن فعرفت باسمهم، علماً بأن مصري العبرية (وهي مثنى مصر، أو «أرض») هي الترجمة الحرفية لـ طاوي، وهي الاسم المثنى لبلاد مصر في اللغة المصرية القديمة، بمعنى «المصريين»، أي «الأرضين». وطاوي (وهو الاسم المصري القديم لمصر) موجود أيضاً إلى اليوم كاسم مكان في غرب شبه الجزيرة العربية، وهو القرية المسماة خطم طاوي في رجال المع.

= القبائل والحوضر القديمة في شبه الجزيرة العربية بما فيها الأساطير المتعلقة بأهل بني اسرائيل (انظر الفصل السابق). والفكرة السائدة بأن سفر التكوين عبارة عن محاولات لتوضيح أصول عالم أوسع يشمل جميع بلاد الشرق القديم هي فكرة غير صحيحة وحرية بالاهمال.

(٣) يمكن للاسم كوش أن يمثل أيضاً بـ «كيسة» (كيس) وكوس (كوس) في منطقة جيزان، وبـ «كوث» (كوث بلا تصويت) قرب غُمَيْقَة، في منطقة الليث.

٤ - «فوط» (فوط): الفاتية (فت) في منطقة القنفذة ، أو الفوايط (صيغة جمع عربية من فوط) في رجال ألمع . وربما قلب الاسم أيضاً إلى الطائف (طءف)، وهو اسم أربعة أماكن في الحجاز وعسير.

٥ - «كنعان» (كنعن): آل كُنعان (كنعن بلا تصويت، أي «اله كنعان») في وادي بيشة . والشعوب الكنعانية، كما ورد تعدادها في سفر التكوين ١٠ : ١٥ - ١٦ ، تحمل كلها أسماء منسوبة الى أساء أمكنة في أجزاء مختلفة من عسير، وهي لن تعرف هنا . ومدن الكنعانيين، التي أدرجت في سفر التكوين ١٩ لتثبيت حدود الأراضي الكنعانية، ما زالت باقية أيضاً بأسمائها التوراتية هناك، حيث توجد أيضاً قبيلة تحمل اسم القنعان (قنعن بلا تصويت). والقول الغامض، في التكوين ١٠ : ١٨ ، بأنه «بعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني» قد يفسر السبب في امكانية العثور على بعض اسماء المدن الكنعانية التوراتية في الشام كما في غرب شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ١) . وعندما قال هيرودوتس، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، أن الفينيقيين (شعب ساحل الشام الذي كان يتكلم لغة تكاد بأحرفها الساكنة أن تماثل العبرية التوراتية تماماً) «قطنوا في القديم على البحر الأحمر، وبعبروهم من ذلك المكان، استقرّوا على ساحل البحر في سورية، حيث ما زالوا يقيمون» (انظر الفصل ١)، كان يوافق من حيث لم يدر على القول الوارد في سفر التكوين ١٠ : ١٨ بأن الكنعانيين «تفرقوا» في الأرض . ومهما كان أصل «فينيقيا»، وهو الاسم الإغريقي القديم لساحل الشام، فإنه استمر في الوجود في موطنه الكنعاني الأصلي في

غرب شبه الجزيرة العربية. وهو اليوم لقرية اسمها الفَنيقا في وادي بيشة، حيث توجد أيضاً قرية آل كُنعان. وكان قد ورد بحث مسألة كنعان التوراتية قبلاً في الفصلين ١ و٤.

٦ - «لوديم» (لوديم): هناك لودان في رجال المَع، وَلَوْدَان في منطقة القصيم بنجد، وَلِدَان أو لِدَان في منطقة الطائف. وهناك أيضاً اللدَّ في منطقة الطائف، واللدة أو اللدة (أيضاً لد) في منطقة الليث، وجمع النسبة الى كل منها بالعبرية يمكن أن يكون لديم، وبالتصويت لوديم.

٧ - «عناميم» (عنميم، جمع النسبة الى عنم): الغنامين (صيغة جمع النسبة بالعربية من عنم)، وهو اسم لقرتين في منطقة الطائف، حيث توجد هنالك أيضاً قرستان تسميان الغنم، وواحدة تسمى الغنمة. وهناك قرستان أخريان تسميان غنمة في رجال المَع أيضاً.

٨ - «لهابيم» (لهبيم): بالعربية اللهبيون (لهبين بلا تصويت)، أو بنو لهب، قبيلة قديمة من الأزدي في اليمن، وقد قيل أنهم «أعيف العرب». وهناك أيضاً قرية تسمى اللوهابي (لهبي بلا تصويت) في منطقة نجران، وأخرى تسمى أبي لهب (أبي لهب، بمعنى «أب» أو «اله» لهب) في منطقة جيزان. وبنو لهبة (لهب) من قبائل البقوم، شرق الطائف. ويقال إن في منطقة الطائف موقع اسمه للهبان (لهبن)، ولم أتحقق من ذلك.

٩ - «نفتوحيم» (نفتحيم، مثنى أو جمع نفتح، من المصدر فتح): المفاتيح (الجمع العربي لـ مفتح المشتقة من فتح) في منطقة الطائف. وهناك أيضاً قرية تسمى مفتاح (بالمفرد)

في جوار الشاقة في منطقة الليث. وكإسم قبلي من غرب شبه الجزيرة العربية، يظهر الاسم «نفتوحيم» مستمراً في الوجود بشكل مختلف كإسم لقبيلة الفطاحين (فطحن بلا تصويت) في منطقة الطائف.

١٠ - «فتروسيم» (فترسيم، جمع للنسبة الى فترس): الشرفات (شرفت بلا تصويت)، والاسم الكامل هو حاجب بني الشرفات (اسم قبلي) في جوار البرك. وهناك أيضاً قبيلة الفرسات (فرست بلا تصويت) في شمال الحجاز.

١١ - «كسلوحيم» (كسلحيم، الجمع من النسبة الى كسلح): باتباع التحريف الذي أصبحت به جلععد التوراتية الجعد (عل - جعد، انظر الفصل ١)، وذلك باستخراج اللام الداخلية لتصبح أداة التعريف العربية، فإن كسلح يمكن أن تكون اليوم الحُسكة (عل - حسك) في شمال شبه الجزيرة العربية، أو القصح (عل قصح) في وادي أضم. وهناك قبيلة في منطقة الطائف تسمى اليوم الحُسكان (عل - حسكن، بقلب لاحقة جمع المذكر العبرية الى لاحقة جمع عربية).

١٢ - «كفتوريم» (كفتريم، جمع كفتر أو كفتري): هي في الظاهر الفُقَرَات (الجمع بالعربية لفقرة، أي فقرت، وهي تحوير بنقل الأحرف عن كفتر) في وادي بيشة أو الرُقَقَات (رفقت) في منطقة جيزان. واسما المكانين لها بنية الأسماء القبلية.

١٣ - فلشتيم (أو «الفلسطينيين») (الذين قيل انهم من نسل «كسلوحيم»، وبالتالي يحتمل أن يكون أصلهم يعود الى وادي أضم، ومنه انتشروا إلى أقاليم أخرى): بالعبرية

فلستيم هي جمع فلشت أو جمع النسبة اليها فلشتي):
 الفلّسة في وادي بيشة، وشلفى (ربما شلفة، أي شلفت في
 الأصل) قرب أبها، وفصلة في منطقة القنفذة، وأربع قرى
 تسمى الفصيلة، ومنها اثنتان في مرتفعات زهران، وواحدة
 في وادي أضم في منطقة الليث، وواحدة في بني شهر،
 جنوب شرق القنفذة.

من الواضح، إذن، ان الفلسطينيين التوراتيين كانوا من شعوب غرب
 شبه الجزيرة العربية الذين جاؤوا بني اسرائيل في القدم، ليس فقط على
 امتداد ساحل البحر الأحمر بل ربما أيضاً في مرتفعات السراة وفي حوض
 وادي بيشة في الداخل. وكونهم كانوا يتكلمون اللغة نفسها التي تكلمها
 العبرانيون والاسرائيليون هو أمر يتضح من الأسماء الشخصية لرؤسائهم
 أو «ملوكهم»، كما جاء في بعض النصوص التوراتية، كأسماء «أبيمالك»
 (أي ملك، من ملك بمعنى «الملكية الامتلاك»، أو «المَلِك»)،
 و«أحزأت» (عحزت، وربما كانت جمع عحزه، وبالعربية «الأخذة» بمعنى
 «الملكية أو الامتلاك»)، وفيكول (فيكل، التكوين ٢٦ : ٢٦، قارن مع
 الاسم العربي القديم «أفكل»، ويفيد معنى الارتعاد خوفاً أو برداً)^(٤)؛
 وكان الفلسطينيون، بلا شك، يختلفون عن الاسرائيليين في الدين،
 وكذلك في العادات. وتشير التوراة العبرية اليهم بطريقة خاصة على أنهم
 «الغلف»، أي «غير المختونين» (القضاة ١٤ : ٣، ١٥ : ١٨، صموئيل
 الأول ١٤ : ٦، ١٧ : ٢٦ و ٣٦، ٣١ : ٤، صموئيل الثاني ١ : ٢٠،
 أخبار الأيام الأول ١٠ : ٤). وعبد الفلسطينيون آلهة مختلفة للأرض،
 ولكن الههم الخاص كان «داجون» (دجون، من دجن، أي «حنطة»)
 الذي كان له مقام في «غزة» (القضاة ١٦ : ٢١-٢٣) و«أشدود» (صموئيل

(٤) «فيكول» اعتبرت حتى الآن اسماً «غير سامي»، وبالتالي فإن ك. آ. كيتشن يعلق قائلاً:
 «وأخيراً، وعلى المستوى اللغوي، فإن اختلاط (الأسماء) السامية (أبيمالك وأحزأت) وغير
 السامية (فيكول) . . . يظهر تشرب الغرباء (كذا) للبيئة السامية».

الأول ٥ : ١ وما يلي). و«غزة» و«أشدود» كانتا اثنتين من المدن الرئيسية الخمس للفلسطينيين في عسير الساحلية، وأسماء مقامات «داجون» ما زالت موجودة في جوارها، كما يظهر في التعريفات التالية للمدن الخمس:

١ - «غزة» (عزه): العزة في وادي أضم (منطقة الليث). وفي

الجوار نفسه توجد قرية دغما (دغم، المحولة عن دغن، أي دجن، مع لاحقة أداة التعريف الآرامية)، ناهيك عن دغونة (دغن بلا تصويت) الواقعة عبر الشق المائي من وادي أضم، في منطقة الطائف. وهناك دغونة أخرى في منطقة عفيف بنجد. وفي وادي أضم أيضاً قرية الدقم (دقم، قارن مع دجن) وأربع قرى أخرى اسمها الدقم في مناطق مختلفة من الحجاز. وهناك «غزات» (جمع «غزة») أخريات في عسير الساحلية، هي العزة في منطقة المجاردة، وآل عزة (عل عزه، «إله عزة»، وهو «داجون» بلا شك) في منطقة بلّسمر، وعزّ (عز، من دون أداة التعريف ولاحقة التأنيث) قرب البرك. ويلاحظ أن اسم «عزة» في جميع هذه الأحوال يلفظ بالعين، تماماً كما هو وارد في التوراة، وليس بالغين كما هو الحال بالنسبة إلى غزة الفلسطينية، مع العلم بأن الغين باللفظ العربي قد تقابل العين في الكتابة العبرية التي لا وجود لحرف الغين فيها.

٢ - أشدود (عشدود): السدود في رجال ألمع، حيث توجد

أيضاً قرية تسمى ذروة آل دغمة («قمة» الإله دغم، أي «داجون»). وهناك «أشدودات» (جمع «أشدود») أخريات في غرب شبه الجزيرة العربية، ومنها قرينا السدّاد في منطقة جيزان، والشديد في منطقة مكة المكرمة. وهناك أيضاً قرية اسمها السدّاد في منطقة الطائف، وهي غير بعيدة عن قرية دغونة هناك.

٣ - «أشقلون» (عشقلون): هي إما شقلة (شقل، بدون لاحقة التعريف السامية القديمة) في جوار القنفذة، أو ثقالة (ثقل، أيضاً بدون لاحقة التعريف) في الجوار نفسه، وربما الاثنتين. وعسقلان (عسقلن) الفلسطينية يمكنها أن تكون الاسم نفسه، باستثناء أنها تبدأ بالصوت الاحتكاكي البلعومي (وهو العين)، بدلاً من الوقفة الحنجرية (وهي الهمزة) في «عشقلون». وقد تنقلب الهمزة الى عين (والعكس بالعكس) بين اللغات واللهجات السامية في اللفظ.

٤ - «جَتَّ» (جت): الغاط (غط بلا تصويت) في منطقة جيزان (انظر الفصل ١٠). وبين أكثر من «جَتَّ» في غرب شبه الجزيرة العربية، هنالك الغَطِي (أيضاً غط بلا تصويت) في بلاد زهران، حيث توجد أيضاً قرية تسمى آل دُغمان (عل دغمن، «الإله داجون»، حيث تحمل دغم هنا لاحقة التعريف القديمة).

٥ - «عقرون» (عقرون): عِرْقَيْن (بقلب الأحرف) في وادي عَتُود الفاصل بين رجال ألمع ومنطقة جيزان، إلا إذا كانت الجرعان (أيضاً بنقل الأحرف من عقرون) في رجال ألمع.

ومهما كانت الأماكن الأخرى التي وجد فيها الفلسطينيون التوراتيون في غرب شبه الجزيرة العربية، فقد كانت لهم مدنهم الخمس الرئيسية، بلا شك، في الجانب البحري من عسير وجنوب الحجاز. ويظهر أن مركزهم الأساسي كان في الأراضي المحاذية لساحل تهامة، من جوار الليث في الشمال إلى جوار جيزان في الجنوب، وذلك حتى زمن ملوك اسرائيل الأوائل الذين قضوا عليهم أو على وجودهم المستقل في تلك المناطق^(٥).

(٥) ربما كان في ذلك ما يفسر هجرة الفلسطينيين إلى الشام حيث أعطوا اسمهم لأرض فلسطين. ويبدو أن بعض الفلسطينيين الذين بقوا في موطنهم الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية =

وقد كانت أراضيهم هناك متداخلة مع أراضي بني اسرائيل والشعوب المحلية الأخرى. وليس في التوراة العبرية ما يفيد بأنهم كانوا في الأصل مستوطنين غرباء في البلاد، وصلوا إليها كـ «أهل بحر» من الخارج. وهذا الرأي ما هو إلا من تصوّر الباحثين التوراتيين، وليس هناك ما يسندة إطلاقاً. ولتبيان مدى قرب التعايش جنباً إلى جنب بين الفلسطينيين وبني اسرائيل في المناطق نفسها من الحجاز وعسير، ندرج فيما يلي تحليلاً طبوغرافياً لقصة شمشون، التي جرت أحداثها كلها تقريباً في بلاد زهران، في جنوب الحجاز. والقصة مروية في سفر القضاة ١٣ - ١٧ :

ولد شمشون في هضاب تهامة زهران، في قرية الزرعة (قارن مع صرعه بالعبرية). وكان والداه من عشيرة «دان» (دن) التي كانت تحمل اسم ما هو اليوم قرية الدنادنة (الجمع بالعربية لـ دني، التي هي النسبة الى دن) في الجوار نفسه. وابتدأ «روح الرب» (أو «روح يهوه») يحركه في المحنى (محن) قرب الدنادنة (محنه دن التوراتية، التي ترجمتها التوراة العربية «محلّة دان») ، بين زرعة والإشتاء (ءل - ءشت، وهي عكس للكلمة الأصلية ءشتءل أو ءشت ءل، «أشتأول» ، التي تعني «امرأة الله» ، أو «زوجة الله»). وبحث شمشون لنفسه عن زوجة بين الفلسطينيين في «تَمْنَة» (تمنته، وربما كانت التهجئة مختلطة)، ويظهر أنها المَتنَة (مشتت) الحالية، وهي من قرى الشّاقة اليمنية بمنطقة الليث، إلى الشمال من تهامة زهران. وكان هجومه الأول على الفلسطينيين موجهاً ضد شقلة أو الثقالة في منطقة القنفذة («أشقلون»، انظر أعلاه). ثم ذهب شمالاً ليقيم في غظمة (وهي بالعبرية عيطم) في وادي أضم.

وانتقاماً لما عمله شمشون في شقلة أو ثقالة، غزا الفلسطينيون «لحي»

= تحوّل إلى اليهودية، ومنهم الفلّنة (فلشت)، وهم اليوم يهود الحبشة الذين يعتبرون أنفسهم من نسل الملك سليمان وملكة سبأ.

(لحي) في أرض «يهودا»، التي هي اليوم لَحْيَة (لحي) في وادي أضَم . وتوجد بالقرب من هناك، وحتى اليوم، قريتا ذا الرامة (رم)، وبالْمُونْت رمت) وذا الحميرة (حمر). وقيل إن شمشون ضرب ألفاً من مهاجميه الفلسطينيين «بلحي حمار» (ب- لحي حمر)، التي يمكنها أن تعني سواء «بفك حمار» أم «في لَحْيَة حميرة» (أي في لَحْيَة الواقعة بالقرب من ذي الحميرة). وكانت الرواية تهدف طبعاً إلى تفسير أصول اسمي المكانين. والموقع الذي جرت المعركة فيه، استناداً إلى الرواية، سمي فيما بعد «رَبَّت لحي» (رمت لحي، التي تعني سواء «تلة الفك» أو «رامة لَحْيَة»). والإشارة هي طبعاً إلى قرية ذا الرامة في ذلك الجوار. والنبع الذي انتعش شمشون بمائه وشرب منه هناك سمي «عين هَقُورِي» (عين ه- قور)، في مكان هو اليوم قرية القَرَى (قرء، مع لاحقة التعريف الآرامية كما هي واردة في الاسم التوراتي)، في وادي أضَم .

والمرأة الفلسطينية دليلاً، التي اتخذها شمشون عشيقته له، والتي أغوته وأوصلته إلى نهايته المأسوية، جاءت من «وادي سورك» (نحل شورق)، التي هي اليوم على الأرجح سُروج في وادي أضَم، إلا إذا كانت الشارقة أو الشُرْك في منطقة القنفذة. وانتهى أمر شمشون، كما هو معروف في «غزة» (عزه) التي هي العَزَّة في وادي أضَم (انظر أعلاه)، ودفن بين الزرعة (صرعة) والإشتاء (ءشتءل) في تهامة زهران.

يمكننا أن نتقل من النظر في جغرافية قصة شمشون الى ملاحقة أحاجيه الشهيرة. وهذه لم تكن أكثر من ألغاز متوارثة وضعت اصلاً لتفسير بعض أسماء الأمكنة، وللمحافظة على الذاكرة الشعبية للصلات القبلية بين سكّان بعض الحواضر المتفرقة. وقد نسبت هذه الألغاز في سفر القضاة الى شمشون، ونسجت حولها قصص تتعلّق بسيرته.

وكما رأينا قبلاً، فإن قصة شمشون و«فك الحمار» وضعت لتفسير اسمي مكانين في وادي أضَم هما حالياً لَحْيَة (لحي) وذا الحميرة (حمر).

ومن القصص الأخرى التي يرويها سفر القضاة عن شمشون (١٤ : ٥ - ٩) هو أنه قتل اسداً ذات يومٍ وشقّه، ثم عاد اليه بعد أيام فوجد فيه دبراً من النحل وعسلًا. ولذلك قيل عنه انه «من جوف الأسد اشتار العسل» (م - جويت هـ - عريه رده هـ - دبش). وفي هذه القصة والقول الملحق بها محاولة لتفسير اصول ثلاثة اسماء لثلاثة أماكن هي جويه (أي «جوف»)، وعريه (أي «أسد») ودبش (أي «عسل»). وهذه الأمكنة الثلاثة هي اليوم الجوّ (وربما الجوّاء أو الجوّ، وجميعها جويه) في وادي أضم، وورية (عريه) في الجوار نفسه، والدبش (دبش) من قرى حلي في منطقة القنفذة. وبغض النظر عن القصة، فهناك في القول الملحق بها لغز يشير الى علاقة تاريخية بين قريتي الجوّ في وادي أضم والدبش في منطقة القنفذة. ذلك أن الجملة العبرية م - جويت هـ - عريه رده هـ - دبش تعني حرفياً «من جوف الأسد اشتار الأسد»، وقد تترجم أيضاً على أنها تعني «من جوّ ورية اشتار الدبش». ويفهم من ذلك أن قرية الدبش في منطقة القنفذة كانت في وقت ما مستعمرة لاناس هاجروا اليها من الجوّ المنسوبة إلى ورية في وادي أضم. وفي ربط هذا القول بقصة شمشون واستخراجه «العسل من جوف الأسد» تلميح خفي بأن استعمار اهالي الجوّ لقرية الدبش حدث في زمانه وتحت رعايته.

ويضيف سفر القضاة بأن شمشون صنع وليمة لأصحابه بعد أن استخرج العسل من جوف الأسد، وطرح عليهم احجية تشير الى صنعة العجيبة. والاحجية في الترجمة العربية هي : «من الأكل (م - هـ - ءكل) خرج أكل (مءكل)، ومن الجافي (م - عز) خرجت حلاوة (متوق)» (القضاة ١٤ : ١٤). وهذه الاحجية، ولا شك، تعالج مجموعة أخرى مؤلفة من مجتمعين اصليين ومستعمراتهما، والمعنى الخفي في الاحجية هو : «من هـ - ءكل (اسم المكان الاصلي) خرج مءكل (اسم المستعمرة)، ومن عز (اسم المكان الاصلي) خرجت متوق (اسم المستعمرة)». وللأحجية هذه حلّ لم يتوصّل اليه اصحاب شمشون، ولا يفصح عنه

سفر القضاة، وهو أنه «من الكولة (في منطقة القنفذة) خرجت مكيلة (في منطقة قنا والبحر)، ومن العزّ (في جوار البرك) خرجت المثقة (في منطقة القنفذة)». وفي ذلك ما يشير إلى حدثين تاريخيين منسيين، وهما استعمار اهالي الكولة في وقت ما لمكيلة، واستعمار اهالي العزّ للمثقة. وفي الأحجية هذه ايضاً، كما في القول السابق، تلميح خفي بأن هذا الاستعمار ربّما حدث في أيام شمشون وتحت رعايته.

وتقول القصة انه عندما فشل اصحاب شمشون في حلّ هذه الأحجية، طلبوا من زوجته الفلسطينية (وهي غير عشيقته دليله) أن تتملّقه حتى يظهر لها الحلّ، فتأتيهم به. فلما تمّ لها ذلك، لم تعط حلّ الأحجية لاصحاب شمشون، بل اعطته «لبنى شعبها»، وهم الفلسطينيون. فلما فاجأ هؤلاء شمشون بالحلّ، اغتاظ منهم وأجابهم باللغز التالي: «لوم تحرثوا على عجلتي (ب- عجلتي، وبدون ضمير المضاف اليه عجله) لما عرفتم أحجيتي (حيدتي، وبدون الضمير حيده)». وفي هذا اللغز تلاعب بكلمة عجله التي تعني بالعربية «العجلة»، وهي ايضاً اسم مكان في عسير هو اليوم العَجَلات (عجلت بلا تصويت) من قرى تهامة بني شهر، وكذلك بكلمة حيده التي تعني «الأحجية»، وهي ايضاً اسم مكان آخر هو اليوم الحَيْد من تهامة بني شهر (وليس حَيْدَة في سراة بني شهر). والعَجَلات وحَيْد قريتان متجاورتان في المنطقة نفسها، كما هو واضح. وما يقوله اللغز هو: «لوم تحرثوا في العجلات (ب- عجلت) لما عرفتم الحيد (حيده)». والظاهر أن هذا الكلام هو مثل قديم، ومعناه أن اهل الجوار هم أعلم الناس بما هو فيه.

لن نستطيع، طبعاً، أن نعيد النظر هنا في جميع الاشارات التوراتية الى الفلسطينيين لأن ذلك يذهب الى أبعد من مرمى هذا الكتاب. لكن لا بدّ من إشارة موجزة الى ما يقوله سفر صموئيل الأول ٦: ١٨ عن امتداد الأراضي التي كان يوجد فيها الفلسطينيون. والنصّ بالعبرية هو كما يلي:

كل عري فلشتيم . . . م - غير مبصر و - عد كفر ه - فرزى . والترجمة العربية للنص هي التالية: «جميع مدن الفلسطينيين . من المدينة المحصنة (م - غير مبصر) الى قرية الصحراء (و - عد كفر ه - فرزى) . ولا يمكن للمرء تصور ترجمة أقل دقة من هذه . وذلك ينطبق أيضاً على سائر الترجمات المقبولة للنص . وعملياً، م - غير مبصر تعني ببساطة «من مدينة مبصر»، وهي اليوم قرية مضبر (بقلب الأحرف من مبصر) في ناحية الحُرث في أقصى الجنوب من منطقة جيزان . أما عد كفر ه - فرزى فلا يمكنها أن تعني إلا «الى قرية ه - فرزى»، وهذه القرية هي اليوم قرية الفِرْضة في وادي أضَم (فرزى العبرية هي عملياً صيغة النسبة إلى فرز أو فرزه، وتعني «أهل الفِرْضة»). وهكذا، واستناداً إلى التحديد الجغرافى لأراضي الفلسطينيين، فإن هذه الأراضي كانت تمتد في كامل المسافة بين حدود اليمن في الجنوب وحتى وادي أضَم في الشمال . وهذا يعني أنه لم تكن هنالك حدود جغرافية بين أراضي الاسرائيليين وأراضي الفلسطينيين في غرب شبه الجزيرة العربية في الوقت الذي تواجد فيه الفلسطينيون إلى جانب بني اسرائيل هناك . وجلّ ما في الأمر أن الفلسطينيين انتهى أمرهم كشعب له شأنه في تلك الأرض قبل انتهاء شأن بني اسرائيل بخمس مئة سنة تقريباً .

١٥ - الأرض الموعودة

الوعد الذي قطعه «الرب» يهوه لأبرام العبراني، على ما تقوله التوراة العبرية (التكوين ١٥ : ١٨)، جاء بالترجمة العربية كما يلي: «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر (نهر مصر) إلى النهر الكبير (هـ - نهر هـ - جدول)، نهر فرات (نهر فرات)». فهل يعقل أن يكون بنو اسرائيل قد تصوّروا في زمانهم، وهم الشعب الصغير الذي قضى معظم تاريخه في ظلّ الامبراطوريات المصرية والعراقية العظيمة، بأن أرضهم الموعودة تمتد فعلاً من النيل المصري إلى الفرات العراقي لتشمل معظم بلاد الشرق الأدنى، بما فيها الشام بأسره؟ أو هل أن للوعد الوارد في سفر التكوين تفسيراً جغرافياً آخر؟

هناك إجماع بين علماء التوراة بأن سفر التكوين لم يوضع إلّا في وقت متأخر، وذلك بعد مدّة طويلة من قيام مملكة «كلّ اسرائيل». وقد رأينا في الفصول السابقة كيف أن أرض هذه المملكة كانت تشمل مرتفعات السراة من عسير الجغرافية (وهي «اسرائيل») وما يليها غرباً من جبال تهامة ووهادها (وهي «يهوذا»). ويبدو أن واضعي سفر التكوين حاولوا تفسير هذا الأمر التاريخي الواقع باعطائه شرعية دينية. فقالوا بأن الأرض التي تمكن بنو اسرائيل من السيطرة عليها وإقامة دولتهم التاريخية فيها كانت بالفعل أرضاً موعودة لجدهم ابراهيم من «الرب» يهوه. وكانت هذه الأرض، كما سبق، تمتد من منطقة جيزان عند حدود اليمن، الى

وادي أضُم ومرتفعات الطائف المحاذية لهذا الوادي في جنوب الحجاز. وهكذا، فإن نهر مصريم في وعد يهوه لأبرام العبراني لم يكن نيل مصر، بل وادي لِيَّة (أو أحد روافد وادي لِيَّة) الذي ينبع من الجبال اليمينية، ومجرى هذا الوادي في ناحية سامطة، بجنوب منطقة جيزان. ويبدو أن هذا الوادي عُرف في الأزمنة التوراتية باسم نهر مصريم أو نحل مصريم نسبة الى قرية من حوض هذا الوادي تعرف اليوم بالمصرم (انظر الفصل ٤، هامش ٢). أما «النهر الكبير»، نهر فرت، فهو بدون أدنى شك وادي أضُم حيث هناك الى اليوم قرية «الفرت» وقرية «الفرات السفلى» و«شعبة الفرات». إذن، لم يكن هناك لا نيل مصري ولا فرات عراقي في وعد «الرب» يهوه لأبرام كما تصوّره التوراة في الأصل.

ويعدّد سفر التكوين (١٥ : ١٩ - ٢١) أسماء عشرة شعوب أو قبائل من السكّان الأصليين للأرض الموعودة هذه، ومنهم خمسة من الأقوام «الكنعانية» (انظر الفصل ١٤). وأسماء هذه الأقوام كلها ما زالت موجودة كأسماء قبائل أو أمكنة في أجزاء مختلفة من عسير والحجاز، ومعظمها في «يهودا»، أي الى الجانب الغربي من السراة. وفيما يلي تعريف للأسماء المذكورة:

١ - «القينيون» (قيني، نسبة الى قين): قبيلة الْقَوَائِنَة (المفرد قَوْنِي) الحالية بوادي بَسْل، جنوب الطائف. وهناك أيضاً أسماء أمكنة لا تفترق عن الاسم التوراتي وهي: القاني في منطقة جيزان، والقَنّ في منطقة بلسمر، وقنا أو القنا (وهي أربع قرى بالاسم نفسه، احداها في منطقة قنا والبحر، والثانية في مرتفعات ظهران الجنوب، والثالثة في منطقة القنفذة قرب حلي، والرابعة في وادي أضُم)، وقَنّ في منطقة المجاردة، وقَنوة في رجال المَع، والقَنّة (وهي خمس قرى بالاسم نفسه، احداها في منطقة محابيل، والثانية قرب

خميس مشيط، والثالثة في منطقة جيزان، والرابعة والخامسة في وادي أضَم)، وآل قُنيّة في سراة عبيدة، والقُنيّة في وادي أضَم.

٢ - «القنزيون» (قنزي، نسبة الى قنز): القنازير (صيغة جمع بالعربية من قنز) في منطقة جيزان. وما زالت هناك قبيلة عربية تسمى اليوم القُنيصات (المفرد قنيسي، قابل مع قنزي)، وهو الاسم التوراتي بالذات في صيغة جمع المؤنث.

٣ - «القدمونيون» (قدمني، نسبة الى قدمن): الذَّجَّان (دججن، تحوير عن قدمن) في منطقة الطائف. والآخرى الأقل رجحاناً، وإن كانت ممكنة، هي قَدَمَة (قدم) في منطقة الليث، والقوادمَة (الجمع العربي من قدم) في تهامة غامد. وهناك أيضاً اسم القِدِّمان (قدمن)، وهو اسم قبلي مشهود في شمال الحجاز.

٤ - «الحثيون (حتى، نسبة الى حت، أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠): الحائَة في منطقة الليث، والحاط في منطقة بَلْسَمَر، والختوة في رجال المَع، ووادي حَتَّى في تهامة زهران، وآل حَتَّاحيت (هل حتحت، «اله قوم حت») في وادي أضَم. والى هذا، فقد وردت «حتاحيت» في التراث العربي كاسم لقبيلة عربية.

٥ - «الفرزيون» (فرزي، نسبة الى فرز): آل فَرزان (هل فرزن، فرز مع لاحقة التعريف القديمة) في بني شهر، وفُرْضَة أو الفُرْضَة (قارن مع فرز) وهو اسم لأربع قرى، احداها في منطقة جيزان، واثنان في وادي أضَم، وواحدة في منطقة المجاردة. ولعلّ هناك علاقة بين الاسم فرزي وأسماء القبائل العربية الحالية التالية: الصفارين (المفرد صفري، قابل مع

فرزي) في جنوب عسير، والظوافرة (المفرد ظافري، وبلا
تصويت ظفري) في جنوب الحجاز، والفَرَسَات (المفرد
فَرَسِي) في شمال الحجاز.

٦ - «الرفائيون» (رفءيم، مثنى أو جمع رفء، أو النسبة اليها
رفءي): الرَفَّة في منطقة جيزان، وَرْفِيَّة في رجال ألمع.
ويذكر التراث العربي يرفا أو يَرْفِي (يرفء، الاسم على
وزن «يفعل» من رفء)، وهي قبيلة من «الأزد
القحطانية».

٧ - «الأموريون» (عمري، نسبة الى عمر، أدرجوا ككنعانيين في
التكوين ١٠): الأَمْرَة في تهامة زهران، ووَمْرَة في وادي
أضم، ويحتمل أيضاً أنها مَرُو (مع واو النهاية كأداة
تعريف آرامية لاحقة)، وهو اسم لثلاث قرى: اثنتان في
وادي أضم والثالثة في منطقة قنا والبحر. وكاسم قبيلة،
يمكن له عمري أن تكون ما زالت موجودة في اسم قبيلة بني
مُرَّة، أو قبيلة المَرُو في جنوب الحجاز.

٨ - «الكنعانيون» (كنعني، نسبة الى كنعن): آل كُنعان
(عل كنعن) في وادي بيشة، وأيضاً اسم القبيلة القِنَعان(قنعن)
في عسير (انظر الفصل ١٤). ولتفاصيل أوفى انظر الفصلين ١
و ٤.

٩ - «الجرجاشيون» (جرجشي، نسبة الى جرجش، مبالغة أو
تصغير له جرش، أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠):
الجُرْش (تصغير جرش) وقريش (تصغير قرش) في منطقة
القنفذة، وأيضاً قريش، قريتان في منطقة الطائف، و«قرية
قريش» في منطقة القنفذة، و«دار بني قريش» في وادي

أضم، و«قريش الحَسَن» في مرتفعات زهران، وآل قريش في مرتفعات عبدة. ويبدو أن «قريش»، كاسم قبيلة، هو هذا الاسم بالذات.

١٠ - «اليوسيون» (يوسبي، نسبة الى ييوس، أدرجوا ككنعانيين في التكوين ١٠): يَبَاسَة (بيس) في وادي أضم، وَيَبَس (بيس) على المنحدرات البحرية لبلاد غامد. وَيَبَس (بيس) ويَابَس (بيس) ما زالتا موجودتين كاسمين لقبيلتين في غرب شبه الجزيرة العربية حتى اليوم.

الواضح من هذه اللائحة أن الأقوام التوراتية العشرة المذكورة فيها كانت من القبائل القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية. والأرض التي وعد بها «الرب» يهوه موسى، حسب ما يقول سفر العدد، لم تكن أصغر من تلك التي وعد بها أبرام، كما ظُنَّ حتى الآن، بل أكثر اتساعاً. وهذه شملت «أرض كنعان بتخومها» (٣٤: ٢) لتضم أراضي عسبر وجنوب الحجاز الداخلية وكذلك أراضيها الساحلية، من ساحل البحر الأحمر وحتى أطراف الصحراء في وسط شبه الجزيرة العربية. وفي محاولاتهم المستمرة لوضع تأويل جغرافي لحدود هذه الأرض «الموعودة» لموسى من خلال الصورة الفلسطينية، يواجه الباحثون التوراتيون صعوبات كبيرة ناجمة عن أن الأرض موضوع البحث غير موجودة هناك. وفي قراءتهم للنص العبري للـ «وعد»، كما جرى تأويله تقليدياً، وبالتالي تصويته، أخذ الباحثون التوراتيون كلمة يَم العبرية دوماً على أنها تعني «بحر»، في حين أن يَم هذه نفسها ترد أيضاً بالعبرية بمعنى «غرب». وكذلك أخذ هؤلاء الباحثون تعبير يَم هـ - ملح على أنه يعني «بحر الملح»، أو «البحر

(١) حول ما قاله الباحثون المحدثون عن هذه الأقوام التوراتية التي كانت - بوضوح - قبائل من غرب شبه الجزيرة العربية، انظر مداخل عدة في:

D. J. Wiseman, ed., *Peoples of Old Testament times*,

الذي أشير إليه سابقاً في الفصل ١٤.

المالح»، اشارة الى البحر الميت في فلسطين. وفي حين أن ملح بالعبرية وبالعربية تعني «ملح»، فانها تعني أيضاً «رمل» في بعض اللهجات العربية المحلية في المناطق الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة. وبالتالي، ففي حين ان هـ- يم هـ- جدول التوراتية تعني حتماً «البحر الكبير» (وبالنسبة لغرب شبه الجزيرة العربية فانه يعني البحر الأحمر وليس البحر المتوسط)، فان يم هـ- ملح في اطار «الوعد» موضوع البحث لا تعني «بحر الملح»، بل «غرب الرمال». والاشارة هنا، كما سنرى، هي إلى بلاد يام (يم)، التي هي حرفياً «بلاد الغرب». وبلاد يام هذه تقع بالفعل على حدود رمال الربع الخالي من شبه الجزيرة العربية من جهة الغرب، أي يم هـ- ملح. وكذلك، فان يم كترت تعني «غرب قُرَيْنَات» (اسم مكان، انظر أدناه)، وليس «بحر كِنَّارة» المعتقد أنه الاسم التوراتي لبحيرة طبرية الفلسطينية (وليس هناك أي اساس إطلاقاً لهذا الاعتقاد). وبالتالي فان عبارة كتف يم كترت لا تعني «جانب (أو كتف) بحر كِنَّارة»، (كما في الترجمة العربية)، بل «القُطَف غرب قرينات»، حيث أن «القُطَف» عملياً اسم مكان في غرب شبه الجزيرة العربية يقع «غرب» قُرَيْنَات (انظر أدناه).

وفي تأويلهم لأرض موسى «الموعودة»، لم يلتبس الباحثون التوراتيون حول معنى يم العبرية فحسب، بل التبسوا أيضاً بشأن عبارة هـ- يردن، التي افترضوا أنها ليست إلا اسم نهر «الأردن» الفلسطيني (انظر الفصل ٧). وازداد هؤلاء تشويشاً باسم المكان المسمى قدش برنع (أو «قادش برنع»)، المعروف زيفاً منذ العام ١٨٤٧ بكونه واحة عين قُدَيْس، في جنوب فلسطين (انظر الفصل ٤). وهذا التعريف لم يستند الى أساس غير حقيقة أن «قديس»، بالعربية هي تصغير «قدس»، التي هي المثلل العربي للعبرية قدش. والصحيح أن قدش برنع، إذا قُرئت قدش بـ- رنع (اعتباراً بأن الباء هنا قد تكون تقليصاً لـ ب بالعربية «أب»، أي «إله»)، تعني ببساطة «المكان المقدس»، أو «الحَرَم» أو «المقام» لـ «الإله»

رنع . والنقوش اللحيانية والديدانية تسمي هذا الإله رعن . وقد استمر اسم هذا الإله في الوجود في شبه الجزيرة العربية في أسماء أماكن ، منها أبو عَرْنَة (عب رن) ، وهناك قرينان بهذا الاسم بنجد ، ومنها أيضاً آل عرينه (عل رن) في جوار أحد رُقيدة جنوب خميس مشيط . ولا بد أن «قادش برنيع» قيد البحث كانت مقاماً قديماً (أي «قدساً») للإله رنع (وبقلب الأحرف رعن أو رن) في ما هو اليوم قرية آل عرينه هذه ، كما سنرى بعد قليل .

وفيا يلي حدود الأرض التي «وعد» بها بنو إسرائيل وموسى ، كما جاءت في سفر العدد ٣٤ ، وكما جرى ضبطها بموجب وقائع جغرافيا غرب شبه الجزيرة العربية :

١ - الحد الغربي هو «البحر الكبير» (٣٤ : ٦) ، أي البحر الأحمر (انظر أعلاه) .

٢ - الحد الجنوبي يبدأ من بَرية زين (بالعبرية صن ، وبالترجمة العربية «صين») ، وهي قرية من وطن الموفجة بمنطقة نجران ، وقد وصفت توراتياً بأنها «على جانب» وادي إيْدَمَة (عل يدي ءدوم) . وموقع وادي نجران ، حيث قرية زين ، هو جنوب وادي إيْدَمَة (ءدم) . وأكثر تحديداً ، يقول سفر العدد ان الحد الجنوبي للأرض «الموعدة» يبدأ «من القَوْزِيَّة غرب الرمال إلى الشرق» (م - قصه يم هـ - ملح قدمه) . والقوزية (بلا تصويت قزه ، قابل مع قصه) هي واحة في بلاد يام ، حيث ينتهي وادي نجران ، وهي تقع تماماً على الحدود الغربية لرمال الربع الخالي . ومن هناك تمتد الحدود الجنوبية للأرض «الموعدة» باتجاه الغرب «من جنوب عقبة عقربيم (معله عقربيم)» . والأصل العبري لا يتحدث عن «عقبة (معله) عقربيم» ، بل عن موقعين في سِراة عبيدة ، إلى الشمال من وادي نجران ، هما اليوم قرينتا المعلة

(معله) والجرابيع (صيغة الجمع العربية من «جربوع»، أو جربيع بلا تصويت، التي هي في الاسم تحوير عن عقرب التوراتية، التي يكون جمعها عقربيم)^(٢). وفي جهة أبعد غرباً، تمر الحدود عبر زين (صن، وفي التوراة العربية «صين») أخرى (حالياً «الزين» بالتعريف) في جوار ظهران الجنوب، التي هي بالفعل «جنوب» آل عرينة (أو «قادش برنيع»، انظر أعلاه)، تماماً كما يصفها نص «الوعد». ثم تتابع الحدود مسارها عبر ما تصفه التوراة العبرية بأنه حصر عدر («حصر أذار») التي ربما كانت تشير إلى حاضرة (حصر) لقبيلة تسمى عدر. وهناك إلى اليوم قبيلة تسمى آذار (عذر، تماماً كما في التوراة) في سراة عبيدة وجوار ظهران الجنوب. وبعد ذلك تمر الحدود عبر آل عصمان (عل عصمن، قارن مع العبرية عزمين أو عزمون، «عصمون») في جوار ظهران الجنوب، لتصل إلى وادي «المصرم»، أي وادي لية في جنوب منطقة جيزان (نحل مصرم، التي تعني «نخيل المصرم» أو «مجارى مياه المصرم»، وليس «وادي مصر»، كما في الترجمات التقليدية، انظر أعلاه). ومن تلك النقطة، تتبع الحدود مسار وادي لية، ثم وادي تعشر (وادي لية من روافد وادي تعشر) حتى البحر (٣٤: ٣ - ٥).

٣ - الحد الشمالي يبدأ عند ساحل البحر الأحمر ويتابع صعوداً ماراً بـ «جبل هور» (هر هـ - هر)، والموقع هو اليوم قرية الهرة، على حرف سراة زهران عند حدود بلاد بني مالك في منطقة الطائف (انظر الفصل ٧، الهامش ٥). ومن هناك

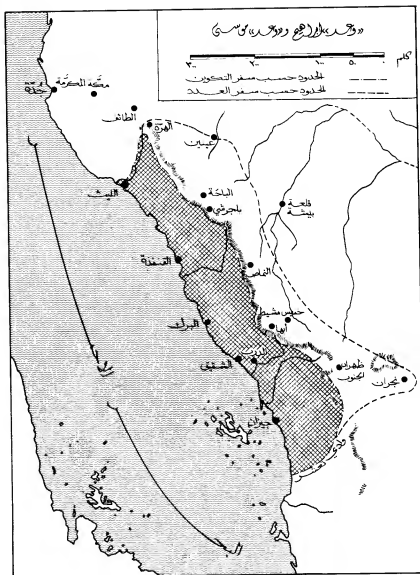
(٢) الالتباس في تعريب الاسم هو بين عقرب (الدوية المعروفة بهذا الاسم سواء بالعبرية أم بالعربية) وجربوع العربية (وهو من القوارض الصحراوية).

تنطلق الحدود شمالاً داخل منطقة الطائف مروراً بالحماطة في بلاد بني مالك (حط بلا تصويت، قارن مع حمت التوراتية، وفي الترجمة العربية «حماة»)، والسِّداد في ضواحي الطائف الجنوبية (سدد بلا تصويت، قارن مع صدد التوراتية، وفي الترجمة العربية «صَدَد»)، وربما ظفر في وادي ميسان (زفرون، وبالترجمة العربية «زفرون»، مع لاحقة التعريف السامية القديمة)، ثم تنعطف الى الداخل لتنتهي عند «واحة» أو «حاضرة» عَيْنين (حصر عينن التوراتية، وفي الترجمة العربية «حصر عينان»)، في حَرَّة البُقوم (سفر العدد ٣٤ : ٧ - ٩). وبشأن حَرَّة البقوم، انظر الفصل ١١.

٤ - الحد الشرقي يبدأ من عينين في حَرَّة البقوم (انظر أعلاه) ويتجه جنوباً، على ما يظهر، إلى حضائر الثَّن (قارن مع شقم التوراتية، وفي الترجمة العربية «شفام») في وادي تثليت. ومن هناك تستمر الحدود جنوباً «من شفام الى ربلة شرقي عين»: هذه هي الترجمة المعتمدة للنص الأصلي الذي يقول بالعبرية م - شقم هربله م - قدم ل - عين. وليس هناك على الإطلاق ما يبرّر قراءة هربله هنا على أنها ه - ربلة، باعتبار الهاء الأولى فيها أداة تعريف. والهاء الأخيرة في هربله هي لاحقة ظرفية تفيد معنى الاتجاه، مما يجعل اسم المكان هربل، وليس هربله أو ه - ربلة. وهربل، كاسم مكان، هي نحت من هرب ل. ويبدو أن هربل أو هرب ل هذه هي اليوم قرية آل هوبر (ل هبر)، في منطقة خميس مشيط. والنص في أصله العبري لا يقول أن هربل تقع شرقي عين (كما في الترجمة العربية المعتمدة وغيرها من الترجمات)، بل يقول بكل وضوح بأن

حدود الأرض الموعودة هي التي تمر «إلى الشرق في العين» (م - قدم ل - عين) في امتدادها «من شقم إلى هربل» (م - شقم هربله). ويستنتج من ذلك أن عين المذكورة هنا ليست العين المجاورة لآل هوبر (أي هربل) في منطقة خميس مشيط، بل قرية أخرى إلى الشمال منها، من قرى واحة خيبر في وادي بيشة. ومن آل هوبر تنطلق الحدود «شرقاً» (قدمه)، إلى «قُطَف، غرب قرينات» (كتف يم كنرت، انظر أعلاه). وقرينات هي واحة من وادي الدواسر، وتقع قطف جنوب غرب قرينات هذه، في بلاد يام. ومن هناك تعبر الحدود «الجرف» (ه - يردن، انظر الفصل ٧)، الذي هو ولا شك ما أسماه فيليبي «السمن الغرانيقي الكبير» لجبل أبو همدان في منطقة نجران، لنتتهي «غرب الرمال» (يم ه - ملح)، أي في بلاد يام «غرب» رمال الرُّبع الخالي (٣٤: ١٠ - ١٢). والواقع الجغرافي هو أن هذه الحدود الشرقية للأرض «الموعودة» لموسى هي الحدّ الفاصل بين المناطق الزراعية المأهولة من داخل الحجاز وعسير، وما يليها من البراري والقفار إلى الشرق.

وهكذا تتطابق صورة أرض موسى «الموعودة» بجميع تفاصيلها، وبكل بساطة وسهولة، مع الخريطة، من جوار الطائف شمالاً حتى حدود اليمن جنوباً، ومن حافة الرمال شرقاً إلى البحر في الغرب. وطالما حاول الباحثون التوراتيون مطابقة هذه الأرض مع خريطة فلسطين وجوارها في الشام فلم يفلحوا.



خريطة «رقم ٩»

١٦ - زيارة عدن

قرية الجنينة هي «متهى العمران والنخيل» في وادي بيشة. هكذا يصفها فؤاد حمزة في كتابه «في بلاد عسير» (ص ٥٥). وقد لا تعتبر هذه القرية «جنة» بمقاييس عصرنا الحاضر، لكنها جنة بالنسبة الى ما يليها من البراري القاحلة. وقد زارها الرحالة البريطاني فيليبي في مطلع الثلاثينات من هذا القرن فوجد فيها سحراً خاصاً. فكانت في نظره «الصورة المثالية للواحة»، خصوصاً عندما تتألق برونقها في ضوء القمر. ووصفها بأنها تشمل «قوساً لطيفاً من بساتين النخيل»، و«مساحات من القمح والشعير الأيل للنضج» عند نهايتها الشرقية، و«نبت كثيف» من أشجار الطرفاء، و«نمواً سخياً» للشجيرات حول خرائب مهجورة، وقرية صغيرة حديثة في جوار هذه الخرائب (Arabian highlands, pp. 29-31). ولأنها آخر قرى بيشة، فإن الجنينة، على قلة أهميتها، تظهر في معظم خرائط شبه الجزيرة العربية (٢٠° ٢٠' شمال × ٤٢° ٥٥' شرق). وقد زار فيليبي المكان ووصفه من دون أن يعرف أنه «جنة عدن». وكيف كان له أن يعرف ذلك والتقاليد ترمي بكل ثقلها وراء جعل موقع هذه «الجنة» في مكان ما من جنوب العراق؟

حتى الآن، لا بد أن القارىء أصبح مدركاً أن أسفار التوراة العبرية دونت وجمعت أصلاً على أيدي كتبة من بني اسرائيل كانوا يعيشون في

بلاد «إسرائيل» و«يهوذا»، أي في بلاد السراة وما يليها غرباً من جبال تهامة ووهادها (انظر الفصل ٨). وفي سفر التكوين ٢ : ٨ - ١٤، وصف أحد هؤلاء الكتبة صورة «جنة عدن» كما يلي :

«وغرس الرب الإله (وفي الأصل «الله يهوه») جنة (جن) في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله. وأبنت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة (حييم) في وسط الجنة، وشجرة معرفة (دعه) الخير والشر. وكان نهر (نهر، «جدول، نهر») يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس (رءشيم، جمع رءش، «رأس، جدول ماء رئيسي»). اسم الواحد فيشون (فيشون)، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة (حويله) حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد، هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون (جيحون) وهو المحيط بجميع أرض كوش (كوش). واسم النهر الثالث جدائل (حدقل، المترجمة تقليدياً «دجلة» في اللغات الأوروبية) وهو الجاري شرقي آشور (ءشور، المترجمة تقليدياً «آشور» سواء في العربية أم في سائر الترجمات). والنهر الرابع الفرات (فرت، المترجم تقليدياً «الفرات» في جميع اللغات).

وفي مكان لاحق من القصة، وخلال الحديث عن آدم، الرجل الأول، وعن عائلته، يعطي المؤلف مجموعتين أخريين من المعلومات حول موقع عدن وجنتها. فعندما طرد آدم وزوجته حواء من الجنة، أقام «الرب» يهوه الكروبيم (كربيم، مثني أو جمع كرب، وترجمتها الحرفية «كاهن»، في حين أن البعض يترجمها «ملاك») «شرقي جنة عدن» لحراسة طريق شجرة الحياة (٣ : ٢٤). وعندما قتل قايين، أول أبناء آدم وحواء، أخاه هابيل، عوقب بأن أبعد عن «الرب» (يهوه) وذهب ليسكن «في أرض نود (نود) شرقي عدن» (٤ : ١٦).

ويمكن تلخيص المعلومات التي يقدمها هذا كله عن الموقع الجغرافي لـ «عدن» وجنتها كما يلي :

أولاً، كان موقع «عدن» إلى الشرق من أرض «إسرائيل» و«يهودا» حيث كان يعيش الكاتب التوراتي الراوي للقصة، أي شرق السراة .

ثانياً، كانت «عدن» وجنتها تقعان ضمن شبكة لصرف المياه تضم أربعة روافد رئيسية معروفة ومحددة بالاسم .

ثالثاً، ان «جنة» (جن) «عدن» (عدن) تقع تحت «عدن»، باعتبارها تسقى بجدول (أو نهر) «ينخرج من» (يصء) عدن . وهذا يعني أن «الجنة» لم تكن «عدن» بالذات، بل مكان إلى الأسفل من «عدن» .

رابعاً، ان الجنة كانت مترافقة بشجرتين لهما مغزى معين، إحداهما هي شجرة «الحياة» (حיים) والأخرى هي شجرة «المعرفة» (دعه) .

خامساً، أن «كبروبين» أو أكثر (كريبم)، المصونة تقليدياً كجمع بالرغم من أنه يمكن قراءة أحرفها الساكنة أيضاً على أنها مثنى كرب (وقفاً، أو وقفوا، شرق «جنة عدن» لحراسة طريق شجرة الحياة .

سادساً، شرق الجوار العام لـ «عدن» هناك أرض تسمى «نود» .

ويمكن للباحث ان يستنتج مما ورد أعلاه أن «جنة عدن» كانت تقع في منطقة حسنة الري إلى الشرق من سراة عسير، وتليها إلى الشرق أرض أقل خصباً اسمها «نود» . وكون المنطقة المشار إليها ليست إلا وادي بيشة يتضح تماماً من تعريف اسماء «الأنهر الأربعة» لعدن :

١ - نهر «فيشون» (فيشون) المحيط بجميع أرض «الحويلة» (حويله) حيث هناك ذهب . وهذا هو اليوم وادي تبالّة، أقصى روافد بيشة غرباً . وهذا الوادي يأخذ اسمه الحالي عن واحدة من الواحات الواقعة على امتداد مساره .

واسمه التوراتي ما زال حياً كاسم لقرية الشوفان (شفن) تحوير عن فيشون العبرية)، في مرتفعات النماص، حيث ينبع عدد من روافد هذا الوادي. و«الحويلة» (حويله)، التي قيل أن «فيشون» يحيط بها، هي اليوم قرية حَوَالَة (حوله) في سِراة غامد، إلى الشمال من النماص. والمسار الرئيسي لوادي بيشة يحيط عملياً بالطرف الشرقي من بلاد غامد بعد التقاء آخر روافده قرب قرية الرُّوشَن. ويبدو أن وادي تبالة كان يعتبر في الأزمنة التوراتية المسرى الرئيسي لوادي بيشة، ولذلك يصفه صاحب سفر التكوين بأنه هو «النهر» الذي يحيط بأرض حوالة. وصحيح أن هذه كانت أرض «ذهب» في القدم. وربما كانت هذه أرض «الذهب المتحجر»... لا بشكل غبار، بل كتل، التي تكلم عنها إسترابون في وصفه لشبه الجزيرة العربية (انظر الفصل ٣). وهناك رافد صغير لوادي بيشة يعرف إلى اليوم بوادي الذهب. والحجر شبه الكريم الموجود هناك (هـ - شهـم) هو العقيق الأحمر (العقيق اليماني). والمُقل (بدلح) عبارة عن صمغ (أو مضاع)، تفرزه شجرة اسمها العلمي باللاتينية Com-miphora mukul، وهي من نبات غرب شبه الجزيرة العربية، وتسمى اليوم في اللغات الأوروبية «بلسم مكة». وبالرغم من تشابه الأسماء، فإن المؤكد هو أن «فيشون» التوراتي ليس رافد المسار الرئيسي لوادي بيشة المعروف اليوم باسم وادي شَفَان (شفن)، على التشابه بين الاسمين.

٢ - نهر «جيجون» (جيجون) الذي يتدفق محيطاً بأرض «كوش» (كوش). وهذا هو المسرى الرئيسي لوادي بيشة كما يسمى اليوم، الذي ما زال أحد روافده الرئيسية يعرف بوادي

جوحان (جحن). وهذا الوادي يقع بين خميس مشيط وأبها. وهناك أيضاً قرية في حوض بيشة تحمل اسم آل جَحُون (عل جحن)، وهي اليوم من قرى بني واهب. والاسم الحالي لوادي بيشة يأتي من قرية بيشة، قرب ملتقى الروافد الرئيسية لشبكة الوادي. و«كوش» المحاطة أرضها بـ «جيحون» هي اليوم قرية الكوثة (كوث، انظر الفصل ٤)، في جوار خميس مشيط، التي تجاور عملياً وادي جوحان.

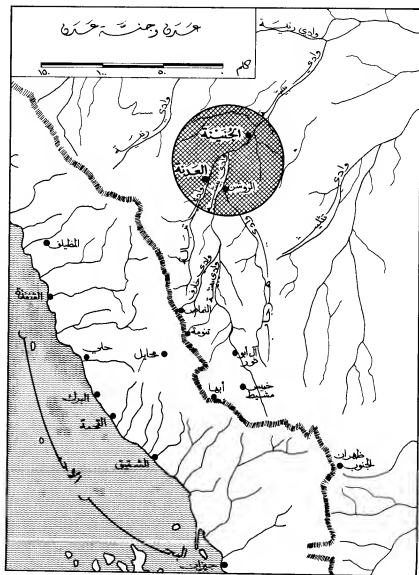
٣ - نهر جِدْاقل (حدقل) السذي أخذ تقليدياً على أنه نهر دجلة في العراق. ولو كان اسم هذا «النهر» هـ - دقل (وربما كان تعريبه «الدجلة»، أو دجله، مسبقة بأداة التعريف) لكان يفهم أن يكون هو نهر دجلة بالعراق. وفي الواقع، فإن اسم النهر، كما ورد في سفر التكوين، هو حدقل بالحاء، وليس هدقل بالهاء، ليقراً هـ - دقل، على أساس أن الهاء هي أداة التعريف العبرية لـ دقل، أي دجلة. وفي هذه القراءة الأخيرة للاسم عبث بأبسط القواعد الصوتية (أي الفونيتية) للغات السامية، ناهيك عن خطأ في الجغرافيا يقاس بمئات الكيلومترات، كما سيظهر. والواقع أن اسم حدقل ما زال مستمراً في الوجود كاسم لقرية آل جحدل (عل جحدل) في مرتفعات سراة عبيدة، جنوب شرق خميس مشيط، حيث توجد رؤوس مياه وادي تَنْدَحَة. ويتصل وادي تندحة بالمسار الرئيسي لوادي بيشة بعد خميس مشيط باتجاه الشمال. ولا بد أن وادي تندحة كان، في الأزمنة التوراتية، يسمى حدقل باسم القرية التي ينبع من جوارها. وتتماماً كما أن حدقل ليس الدجلة، بل وادي تندحة الحالي في أعالي وادي بيشة، كذلك فإن عِشور التي

يمرّ الى الشرق منها ليست بلاد «آشور». بل إن آشور التي يجري وادي تندحة بمحاذاتها من جهة الشرق هي اليوم قرية بني ثور (ثور)، وتسمى أيضاً آل أبو ثور. وهكذا، فليس هنالك أي خطأ في وصف التوراة العبرية لمجرى هذا الوادي.

٤ - نهر «الفرات» (فرت)، الذي أخذ تقليدياً على أنه الفرات العراقي، ربّما كان ما هو اليوم وادي خارف، الذي ينبع من مرتفعات السراة بجوار تنومة، شمال أربل. وهذا الوادي هو من أهم روافد المسار الرئيسي لوادي بيشة. ولا بد أن اسمه التوراتي، فرت، أتى من اسم قرية من قرى تنومة تسمى اليوم الطفراء (طفّر، ولعلّها أساساً تحوير لفرت). وفي نصوص توراتية أخرى، كما لوحظ قبلاً، كانت فرت هي وادي أضرم (انظر الفصل ١، الهامش ١٢)، وليست هذه هي الحالة هنا. ومن ناحية أخرى، ربّما كان «نهر فرت» رافد آخر من روافد بيشة يحمل اسم «الطارفة» (طرف). و«الطارفة» هو اسم يطلق محلياً على مراكز الامارات بمنطقة بيشة دون غيرها.

واستناداً الى قصة سفر التكوين، فإن «نهر عدن» انقسم ليصير أربعة «رؤوس» (رءشيم) بجوار «عدن» وجنتها. وما زالت لفظة رءشيم التوراتية مستمرة في الوجود كاسم لقرية الرّوشن (روشن) الواقعة بالقرب من النقطة التي يلتقي فيها وادي تباله («فيشون») بالمسار الرئيسي لوادي بيشة^(١). وعلى مسافة قصيرة فوق قرية الرّوشن. على مسار وادي

(١) وادي هرجاب، أحد الروافد الرئيسية الثلاثة لوادي بيشة، يلتقي مع المسار الرئيسي للوادي عند النقطة نفسها تقريباً. ويبدو أن كاتب سفر التكوين اعتبره امتداداً لوادي تندحة الذي يلتقي مع المسار الرئيسي لوادي بيشة من الجهة الشرقية، مثله مثل وادي هرجاب.



تباله، هناك قرية أخرى تسمى العَدنة (عدن) تحمل الى يومنا هذا اسم «عدن» (عدن) التوراتية. وتقع قرية الجنيينة (تصغير «جنة»، قارن مع العبرية جن، «حديقة») بعد الرّوشن من العدنة. وهكذا، فان مياه وادي تباله المارة بالعدنة تلتقي مع سائر روافد بيشة وتجري عبر الرّوشن لتسقي واحة الجنيينة. وهذا تماماً ما يقوله سفر التكوين: «وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس». وقد يبدو الأمر مذهلاً للوهلة الأولى، ولكنه الواقع بلا أدنى شك. فالجنيينة هي «جنة عدن» التوراتية بالذات، وموقعها الجغرافي هو تماماً الموقع الذي يصفه سفر التكوين بكلّ دقة، وهي ما زالت تحتفظ بشكل معرّب من اسمها التوراتي الى اليوم.

وليس هناك اليوم مكان اسمه نود الى الشرق من وادي بيشة، حيث كانت «جنة عدن». والمكان الوحيد بهذا الاسم في شبه الجزيرة العربية هو قرية خربة اسمها النودة في شمال اليمن، وهي مذكورة في «صفة جزيرة العرب» للهمداني. أمّا إذا نظرنا إلى أصل لفظة نود، فالواضح أنها اسم فعل من الجذر العبري نود بمعنى «تاه»، تنقلّ من مكان الى آخر دون جدوى». «أرض نود»، اذن، هي «أرض التيه»، أي «القفار». والواقع هو أن الجنيينة، وهي «جنة عدن» التوراتية، هي «متهى العمران» في منطقة بيشة، وما يليها إلى الشرق هو القفار، أي «أرض نود»، حيث تاه قايين هارباً من وجه الربّ يهوه بعد أن قتل أخاه هابيل، كما يقول سفر التكوين.

يبقى لنا أن ننظر في قضية «الكروبيم». ومن وطن الصفا بمنطقة نجران قرية القربان (قرين، مع أداة التعريف العربية، قارن مع العبرية هـ - كريبم، «الكهنة»). وربما كانت الإشارة في سفر التكوين إلى هذا الموقع حيث جاء الحديث عن «الكروبيم» الذين أوكل اليهم «حراسة طريق شجرة الحياة». لكن الأرجح أن «الكروبيم» كانوا بالفعل كهنة

«جنة عدن». ومن المعروف أن بعض الأديان القديمة في شبه الجزيرة العربية كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقديس حدائق معينة. وكان كبار الكهنة يقيمون في هذه الحدائق (أو «الجَنَات») ويرتزقون في محاصيلها الزراعية، فيأكلون من عنبها ونخيلها (سورة الإسراء ٨٩ - ٩١، وسورة الفرقان ٧ - ٨).

وقد بقي تقديس الحدائق رائجاً في بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية حتى ظهور الاسلام. ولعلّ آخر هذه الحدائق كانت حديقة مسيلمة الكذاب، وهو مسلمة بن حبيب كاهن اليمامة الذي تمّ القضاء عليه في حروب الردّة في عهد ابي بكر. وكانت حديقة مسيلمة هذا تسمّى «حديقة الرحمن»، وقد أسماها المسلمون من بعده «حديقة الموت». ولما تقدّم المسلمون لمحاربة مسيلمة، تنادى اصحابه: «الحديقة! الحديقة!» ودخلوا اليها بجمعيته وتحصّنوا فيها. قال الطبري: «واقترح الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها، فقتل (مسيلمة) في المعركة، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل».

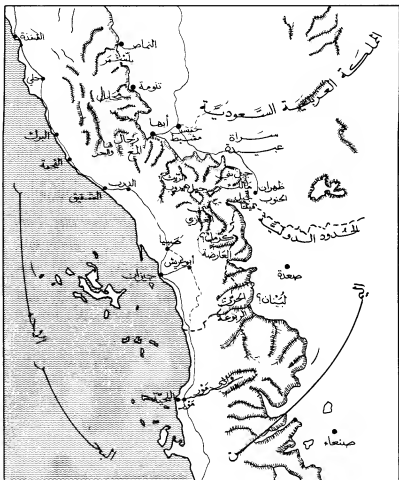
ولعلّ «جنة عدن» التوراتية كانت حديقة الإله يهوه في وادي بيشة قبل ظهور الدين اليهودي الذي اعترف بـ يهوه كإله أسمى، ثم اطلق اسمه على الله الواحد، حسب الشهادة اليهودية الوارد نصّها في سفر التثنية: «اسمع يا اسرائيل، الربّ (يهوه) إلهنا ربّ (يهوه) واحد». وفي الوصايا العشر (سفر الخروج ٢٠ : ٢ - ٣): «أنا الربّ (يهوه) إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن له آلهة أخرى أمامي». والظاهر أن اليهود لم ينسوا أن إلههم يهوه كانت له حديقة خاصة به في البداية، مثله مثل غيره من الآلهة. والدليل على ذلك قصة «جنة يهوه» التي كانت له في أرض عدن، والتي أوكل حراستها إلى كهنة من «الكروبيم»، كما تقول التوراة.

وفي كلام سفر التكوين عن شجرة «الحياة» وشجرة «المعرفة» في

«جَنَّةُ عدن» ما يشير إلى عبادة إله للحياة وإله للمعرفة في المنطقة ذاتها التي كانت «جَنَّة» الإله يهوه موجودة فيها قبل ظهور اليهودية . وقد كان تقديس الأشجار أمراً شائعاً بين الأديان القديمة في مختلف أنحاء العالم، ولا سيما في بلاد الشرق الأدنى . وفي سراة بني عمرو، غرب وادي بيشة، ما زالت هناك قرية تحمل اسم الإله المحلي القديم للمعرفة (بالعبرية هـ - دعه، وبالآرامية دعيء)، وهي قرية آل دُعيا (عل دعيء، بالآرامية) . وهناك قرى كثيرة في جوار وادي بيشة ما زالت تحمل اسم الإله القديم للحياة (بالعبرية حبيم، ومفردا حي وحيه) . ومن هذه القرى آل جي وآل ابن جي في السراة، وآل حياة في منطقة ظهران الجنوب، وحيّين (قارن مع العبرية حبيم بصيغة الجمع) في منطقة جيزان . وهكذا، فإن سفر التكوين لا يحفظ لنا صورة دقيقة عن موقع «جَنَّة عدن» التوراتية في وادي بيشة فحسب، بل يحفظ لنا أيضاً شيئاً من الذاكرة الاسطورية للعبادات السابقة لليهودية في تلك المنطقة وجوارها العام .

١٧ - نشيد من جبال جيزان

من الأشياء التي حيرت العقول بأمر التوراة العبرية هو احتفاظها بديوان صغير من الشعر الغرامي يسمّى بالعبرية شير هـ - شيريم ء شر ل - شلمه (واسمه بالترجمة العربية «نشيد الأنشاد الذي لسليمان»). وقد اعتبر تقليدياً أن هذا الديوان الذي يكاد أن يكون إباحياً في بعض مقاطعه هو من وضع الملك سليمان. ولعلماء التوراة فيه آراء مختلفة، ومنها أنه مجموعة من أغاني الحبّ الشعبية التي كانت رائجة في قرى فلسطين وجبل لبنان في زمن التوراة. واللاهوت المسيحي يفسّر مضمون هذا الديوان على أنه نبوءة بقدوم المسيح وحبّه للكنيسة. والواقع هو أن «نشيد الأنشاد» ليس قصيدة حبّ واحدة، ولا هو مسرحية غنائية (وهذا ما اعتبره بعض علماء التوراة الذين أعادوا ترجمته ووزّعوا فيه الأدوار بين الملك سليمان، وعشيقته «اللبنانية» شوليت راعية الكروم، وبنات أورشليم، وما إلى ذلك)، بل هو بالفعل مجموعة من أغاني شعبية مختلفة. وهذا هو الرأي السائد بشأنها. لكن الواضح من أسماء الأماكن الواردة في هذه الأغاني أنها لم تكن أغاني «فلسطينية» أو «لبنانية»، بل إن مصدرها كان تلك السلسلة الرائعة من الذرى الجبلية التي تمتد على شكل هلال لتفصل بين منخفضات منطقة جيزان، وبلاد السراة الى الجنوب من أبها وما يليها الى الداخل. ويبدو أن هذه الأغاني جمعت في عهد المتأخرين من ملوك «يهودا» (انظر أدناه) ونسبت الى الملك سليمان، كما نسبت اليه



منطقة حمير (البحر) والبلاد فسيدهم الاشراف



خريطة رقم ١١

مجموعة «الأمثال» و«الحكم» الجامعة». وحفظت هذه الأسفار الثلاثة مع سائر الأسفار المعروفة بـ «الكتب» (وبالعبرية الـكتوبيم) بحيث أصبحت تشكل جزءاً من التوراة.

وما من زائر لجبال منطقة جيزان إلا وتغنى بجمالها ورونقها. ومن هذه الجبال ما هو صخري قاحل، ومنها ما هو كثيف الأحراش، ومنها ما هو مدرج للزراعة. وعندما زار الرحالة فيليبي هذه الجبال المنيفة ذهل لروعة مناظرها. وإلى هذا، «اهتزت أحاسيسه المتيقظة بأصوات مزامير الرعاة تطلق أنغاماً رقيقة من جانب الجبل» (Arabian highlands, p. 488). وهذا ما جعله يتمنى لو كان يملك «وسيلة ما لتسجيل الأغاني الشعبية الملحنة» للسكان المحليين (ص ٥٠٣)، وهو ما لم يقله فيليبي عن أي جزء آخر من بلاد عسير. ولم تكن هناك في أيام التوراة أية وسيلة لتسجيل ألحان الأغاني الشعبية المحلية التي ينشدتها الرعاة. ولكن الظاهر أن مختارات من أشعار هذه الأغاني حفظت فعلاً في ديوان «نشيد الأنشاد».

وليس هدف هذا الفصل الأخير من الكتاب مناقشة طبيعة «نشيد الأنشاد»، بل مجرد تبين كيف أن ما جاء فيه لا يمكن أن يكون مصدره إلا جبال جيزان وجوارها العام. ان الأغاني الشعبية، في أي بلد كان، غالباً ما يؤلفها مغنون متجولون بين أماكن مختلفة، تواقون إلى إظهار معرفتهم بهذه الأماكن. وأكثر من هذا، فانهم، بايرادهم أسماء أماكن من مناطق مختلفة في أغانيهم، يجعلون لهذه الأغاني مغزى مباشراً لدى المستمعين في مناطق عدة. ويمكن للمغني الشعبي حتى أن يغير أسماء الأماكن في أغنية معينة حسب المنطقة أو الأخرى التي يغني فيها الأغنية ليلقى استحساناً لدى المستمعين المحليين. وفيما يلي أسماء الأماكن الوارد ذكرها في «نشيد الأنشاد»، وكلها تنتمي إلى نواحٍ من منطقة جيزان إلا حيث أشير إلى غير ذلك:

١ - «أنا سوداء وجميلة، يا بنات أورشليم، كخيام قيدار (عاهلي

قدر)، كشقق سليمان (يريعوت شلمه) (١ : ٥). والواقع هو أن هذا المقطع لا يأتي إطلاقاً على ذكر «شقق سليمان»، بل يتحدث عن «مضارب» الكداري (كدر بلا تصويت) و«خيم» السِّلْمَة. والكداري والسِّلْمَة هما اليوم قرئتان من أعمال أبي عريش بمنطقة جيزان. وءهليم بالعبرية تعني «الخيم» أو «المضارب»، ويريعوت تعني «ستائر الخيم»، وقد استعملت الكلمتان في المقطع بالمعنى ذاته منعاً لاعادة الكلمة ذاتها. وبهذا، فإن النص يقول: «أنا سوداء وجيلة، يا بنات أورشليم، كمضارب الكداري، كخيم السِّلْمَة».

٢ - «طاقة فاغية حببي لي في كروم عين جدي (عين جدي، بمعنى «نبع» جدي)» (١ : ١٤). الإشارة هنا هي، ولا شك، الى قرية الجدّيين (جمع النسبة الى جدي بكسر الجيم وتشديد الدال)، من أعمال صيبا. ويصف العقيلي هذه القرية بأنها «خصيبة التربة موفورة المياه بها عدة بساتين تزوّد صيبا بالخضار» (ص ١٢٠). والواضح أن «كروم» عين جدي هي بساتين الجدّيين هذه.

٣ - «أنا نرجس (حبصت) شارون (هـ - شرون) سوسنة الأودية» (٢ : ١). ونرجس «شارون» هنا يأتي معرّفاً بأنه من سوسن «الأودية». والواقع أن «شارون» المذكورة هي بالفعل من أودية منطقة جيزان بناحية العبادل، واسمها الى اليوم وادي شُرّانة (شرن).

٤ - «يا حمامتي في محاجي الصخر (ب - حجوي هـ - سلع) في ستر المعازل (ب - ستر هـ - مدرجه) . . .» (٢ : ١٤). ان حجوي هـ - سلع العبرية يمكنها أن تعني «شقوق الصخرة». لكن المرجح أنها تشير هنا الى قرية في مرتفعات

رجال ألمع تسمى اليوم جرف سَلْع. وفي الاسم العربي الحالي تأتي «جرف» ترجمة لحجو العبرية، التي بقيت مستمرة الوجود في لهجة جيزان على شكل حقو (وتصوّت حَقُو) وتستخدم اليوم للإشارة الى «ما أنبسط من أسفل الجبل». ومدرجه العبرية، الواردة في جملتين فقط من النص التوراتي (الثانية في اشعيا ٣٨ : ٢٠)، والمترجمة الى «معقل» بالعربية، ترد هنا بوضوح كاسم مكان هو اليوم المَذْرَجَة، من أعمال جبل هَرُوب. وبالنسبة لمن يوجد في منطقة جيزان، تكون مرتفعات رجال ألمع «خلف» (ب- ستر، أي «مستورة ب-») جبل هَرُوب. وهكذا، فإن الجملة تقرأ: «يا حمامتي في جرف سلع، خلف المدرجة».

٥ - «ارجع يا حبيبي، وأشبهه الظبي أو غفر الأيائل على الجبال المشعّبة (هري بتر)» (٢ : ١٧). وحتى لو كانت بتر هنا تعني «مشعّبة» أو «وعرة»، فإنها لا يمكن أن تكون وصفاً لهري (م) التي تعني «الجبال» أو «الهضاب» (جمع هري)، نظراً لأن بتر هنا واردة بصيغة المفرد. ولا يمكن للإشارة هنا أن تكون إلا الى «قمم» أو «مرتفعات» جبل بني مالك، حيث توجد قرية تسمى البَتر (بتر) حتى اليوم. ولذلك يجب إعادة ترجمة هري بتر في هذا المقطع لتقرأ بالعربية «جبال البَتر» أو «مرتفعات البَتر».

٦ - «شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد (هر جلعاد)» (٤ : ١). و«جبل جلعاد» هنا لا بد أن يكون جبل فيفا بمنطقة جيزان، حيث هناك قرية الجعدة (عل - جعد، بقلب الأحرف)، إلا إذا كانت الهضبة التي عليها اليوم قرية الجعد (عل - جعد) في رجال ألمع.

٧ - «أسنانك كقطيع الجزائر (ك - عدر ه - قصوبوت) الصادرة من الغسل» (٤ : ٢). و ه - قصوبوت هنا لا تعني «الجزائر» (بمعنى النعاج المجزوزات)، بل هي بالتأكيد اسم مكان ، هو اليوم القُصَيَّات (قصيت، مع أداة التعريف العربية) في مرتفعات ناحية الحُرث بمنطقة جيزان. وبالتالي، فإن الجملة تقرأ: «أسنانك كقطيع القصيات الصادر من الغسل». وعلى بساطة المعنى المقصود في هذه الجملة، فما زال هناك جدل حول ترجمتها بين علماء التوراة، لأن أيّاً منهم لم يفكر بأن كلمة ه - قصوبوت، التي اعتبرت حتى الآن من عويص الكلام العبري، قد تكون اسم مكان، كما هو واقع الحال.

٨ - «اذهب الى جبل المر (هر ه - مور) وإلى تل اللبان (جبعث ه - لبونه)» (٤ : ٦). عملياً، ليس في هذه الجملة أي شيء تصويري إطلاقاً. والواقع أن جبعث (أي «تل») ه - لبونه هو بالتأكيد جبل من جبال اللُّبْنِيّ بناحية الحُرث من منطقة جيزان. و«جبل المر» (هر ه - مور) يشير الى مرتفع من المرتفعات في أعلى وادي مَور. ووادي مَور يقع إلى الجنوب من ناحية الحُرث، وهو اليوم من اليمن.

٩ - «هلمّي معي من لبنان (لبنون) يا أختي العروس، انظري من رأس أمانة (ءمنه)، من رأس شَئير (شئير) وحرمون (حرمون)، من خدور الأسود (معنوت عريوت)، من جبال النمر (هري ه - ثمريم)» (٤ : ٨). إن «لبنان» و«أمانة» و«شئير» و«حرمون» هنا هي مرتفعات لبنان في شمال اليمن، ويماني (يمن) المروي في ناحية العارضة، وشريانة (شرين) في جبل هروب، وخمران

(خمرن) في ناحية الحُرث . و«خدور الأسود» (معنوت عريوت) لا بدّ أنها قرية في جبل هروب اسمها اليوم المعاین (الجع بالعربية للمفرد «معينة»، قابل بالمفرد العبري معنه وجمع المؤنث منه معنوت) . وهذه القرية معرّفة بالنسبة الى منطقة مجاورة لجبل هروب اسمها اليوم الرّیث (قارن مع العبرية عريوت). و«جبال النمر» هي بوضوح قمم جبل ذونمر بناحية الحُرث، إلا إذا كانت الإشارة هنا الى النمر (جمع نمر بالعربية) في ناحية الرُّبوعة المجاورة.

١٠ - «أنت جميلة يا حبيبتى كترضة، حسنة كأورشليم، مرهبة كجيش بالوية (عيمه ك - ندجلوت)» (٦ : ٤) . وندجلوت العبرية هنا، المترجمة «الوية»، والتي أوّلت بحرية لتفيد معنى «جيش بالوية»، لم ترد في أي مكان آخر من التوراة. والواضح أن هذه الكلمة هي جمع المؤنث من ندجل . وقد اعتبر المترجمون أن ندجل هو اشتقاق على وزن نفعل (بالعربية، انفعل) من الجذر دجل، أي «رَفَع اللواء» . ولذلك ترجموها «الوية»، واعتبروا انها تعني «جيش بالوية» . والصحيح أن هذه الكلمة تشير الى سلسلة من الجبيلات في أقصى جنوب منطقة جيزان تسمى اليوم الجنادل (جمع الجندل، أي «الصخرة الضخمة، الجلمود» . والجنادل هذه قريبة من جبل جحفان عند حدود اليمن . وقد يضاف هنا أن عيمه ك - ندجلوت يجب أن تعني «رائعة كالجنادل»، وليس «مرهبة كالجنادل»، حيث أن جبال تلك المنطقة هي فعلاً رائعة في جمال وعرها . أما حول «ترصة» و«أورشليم» التوراتيتين فراجع الفصلين ١٠ و ٩ على التوالي . وبلغت النظر هنا أن هذا المقطع من نشيد الأنشاد

يقارن جمال الحبيبة بثلاثة أماكن، وليس بمكانين وشيء ثالث من صنف آخر. فيقول «أنت.. جميلة كترصة، حسنة كأورشليم، رائعة كالجنادل».

١١ - «نزلت الى جنة الجوز (جنت ءجوز) لأنظر الى خُضر الوادي، ولأنظر هل أقعل الكرم، هل نُور الرمان» (٦): (١١). وفي «جنة الجوز» يتوقع الانسان أن يرى أشجار جوز، وليس خُضرًا وكرماً ورمناً. وأكثر من ذلك، فان «جنة الجوز» كان يجب أن تكون بالعبرية جنت هـ - ءجوز (بتعريف المضاف إليه)، هذا إذا كانت ءجوز تعني بالفعل «جوز» أو «شجرة جوز» (التعبير لم يرد في أي مكان آخر من التوراة العبرية، وقد أخذ على أنه يعني «جوز» استناداً الى مقارنته بالكلمة العربية جوز). وجنه (بصيغة المضاف جنت) قد تعني «جَنَّة» إذا اعتبرنا أنَّ النون فيها مشددة، وهي مشددة في التحريك المُسوري القابل للنظر. لكنها قد تكون من ناحية أخرى اسم مكان، وليس ضرورياً أن تكون النون فيها مشددة. وفي هذه الحالة، يقابل الاسم جنه في منطقة جيزان اسم قرية الجناة (جنت بلا تصويت) وتقع هذه القرية في وادٍ من روافد وادي ضمد، في ناحية بني الغازي حيث تلتقي سفوح جبل فيفا وجبل بني مالك بمنخفضات جيزان الساحلية. وبالتالي، لا بد أن ءجوز هي الاسم التوراتي لناحية بني الغازي (بلا تصويت غز، قابل مع ءجوز وبدون الهمزة والواو جز، بلفظ الجيم على أنها غين، لأن الغين لا تكتب بالعبرية، بل تلفظ كترخيم للجيم). وهكذا تكون جنت ءجوز «جناة غازي»، أي قرية الجناة في ناحية بني الغازي. ويتوجب بالتالي تصحيح ترجمة المقطع المطروح ليقراً

بالعربية كالتالي: «نزلت إلى جناة بني الغازي لأنظر إلى
خُضْر الوادي، ولأنظر هل أقفل الكرم، هل نور الرمان».

١٢ - «ارجعي، ارجعي يا شوليت (هـ - شوليت)، ارجعي،
ارجعي فننظر إليك (و - نحزه بك). ماذا ترون في شوليت
(مه تحزو بـ - شوليت)، مثل رقص صَفِين (كـ - محلت
هـ - محنيم) وترجمة الجملتين الأخيرتين جاءت باللغات
الأوروبية: «لماذا عليكم أن تنظروا الى شوليت كنظرتكم
الى رقصة أمام جيشين؟» (٦ : ١٣ في جميع الترجمات،
و٧ : ١ في التوراة العبرية). هنا شوليت هي صيغة
المؤنث من النسبة الى شولم، ويمكنها أن تشير الى فتاة مما هو
اليوم قرية الشمال (شمل)، وسكانها من آل سلامة
(سلم)، في جبل بني مالك. ومن الباحثين من قال ان
الاسم ربما كان اسم فتاة، وهو ما أجده أقرب الى
المعقول، على اعتبار أنه ورد في الجملة الواحدة مرة مع أداة
التعريف ومرة من دونها (وهو مظهر عام في بعض أسماء
الأشخاص بالعربية حتى يومنا هذا، فيقال مثلاً «وليد»
و«الوليد»، و«حسن» و«الحسن»، الخ). ولعل شوليت
بالعبرية، كاسم فتاة، هو الاسم العربي سلمى (سلمء،
الصيغة المؤنثة من الاسم سلمان)، وطالما تغنى
الشعراء بسلمى منذ الجاهلية وإلى العصر الحاضر. ومما
يعزز اعتبار شوليت الاسم العبري المقابل لسلمى هو
ورود شلمه، أي سليمان أو سلمان، وهو مذكّر سلمى،
كاسم الشاب العاشق في أغاني نشيد الأنشاد. وفي الفقرة
قيد البحث، كما هي مترجمة في العادة، تجري مقارنة
شوليت هذه برقصة جيشين (أو «صفين» أو
«معسكرين»، محلت هـ - محنيم)، وهو ما ليس له معنى.

وعلى العموم، فإن الجذر من محله، وهي مؤنث محل، هو حله، وبالعبدية حلي، ومنه «الحلي» (وبالعبدية حلي)، أي «ما تزين به المرأة». ويبدو أن محله العبدي هي اشتقاق آخر من حله بمعنى «الزينة». أما محنيم، وهي جمع محنة، فتد بالعبدية عادة بمعنى «الأحياء»، جمع «الحَيِّ»، وقد تعني أيضاً «المعسكرات» في بعض الأحيان. وبالتالي، فمن الأصلح إعادة ترجمة النص كما يلي: «ارجعي، ارجعي يا سلمى، ارجعي، ارجعي فننظر إليك. لماذا تنظرون (مه تحزرو) الى سلمى وكأنها زينة الأحياء؟».

١٣ - «عنك كبرج من عاج (مجدل هـ - شن). عينك كالبرك في حشبون (حشبون) عند باب بَثْ رَبِيم (عل سعر بت - ربيم). أنفك كبرج لبنان (مجدل هـ - لبنون) الناظر تجاه دمشق (صوفه فني دمشق). رأسك عليك مثل الكرمل (رءشك عليك ك - كرمل)، وشعر رأسك (دلت رءشك) كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل (ك - عرجن ملك - سور ب - رهطيم)» (٧: ٤ - ٥ بالعبدية وسائر الترجمات، ٧: ٥ - ٦ في التوراة العبدي). بين أسماء الأماكن الواردة هنا، لا يتوافق كل من حشبون ويت ربيم مع أي من أسماء الأماكن الباقية قيد الوجود في منطقة جيزان أو في جوارها القريب، إلا إذا كانت حشبون هي قمة (أو «نعب») شحب (شحب، تحوير لـ حشب من غير لاحقة التعريف القديمة) في رجال الملع، وكانت بَثْ رَبِيم هي شُعب البرام (برم، تحوير لـ ربيم) في المنطقة نفسها. وقد تم قبلاً تحديد «لبنان»، وهو لبنان اليمن على حدود ناحية الحُرث من منطقة جيزان. ومرتفعات لبنان هذا تقابل جبل بني مالك حيث توجد «دمشق» (التي هي القرية الحالية ذا

مُسْك، أو ذ - مسك، قارن مع دمسق التوراتية).
«كرمل» (كرمل) وردت لدى الجغرافيين العرب على أنها
جبل في منطقة جيزان. ومن الكلمات غير المعترف بها
كأسماء أمكنة ه - شن (مجدل ه - شن، المفهومة على أنها
تعني «برج من عاج» أو «برج عاج»)، والتي ربما كانت
تشير إلى السِّن (سن) في منطقة محایل، أو إلى الشُّن (شن)
وهي قرية على قمة معزولة من جبل ضِرم، في جوار منطقة
بَلَسمر. والجملة العبرية دلت رءشك ك - عرجن ملك
ءسور ب - رهطيم، التي عوملت حتى الآن على أنها جملتين
مختلفتين («شعر رأسك كأرجوان، ملك قد أسر
بالخصل»)، هي عملياً جملة واحدة. ودلت هنا تعني
«الشعر غير المصفف» أو «الشعر» فقط، وليس «خصل
الشعر» (كما ورد في الترجمات الأوروبية وليس في تلك
العربية). و عرجن تعني «نسيج صوفي» أو «نسيج صوفي
مصبوغ» أكثر مما تعني «اللون الأرجواني» (ومن يمكنه أن
يفكر بشعر بلون الأرجوان؟) وءسور هي اسم مكان، هو
اليوم آل يسير في منطقة تنومة من السراة، أكثر من كونه
اسم نكرة يعني «مأسور». و رهطيم (جمع رهط) هي
المثيلة لـ «رهاط» بالعربية (جمع الجمع من رهط) الواردة
بمعنى «سجاجيد، بسط (جمع بساط)، أنسجة، أغطية
المفروشات»، ولا تأتي بمعنى «خصل» أو «ضفائر» أو
«جدائل». وقد اعترف مترجمو التوراة عملياً بالشك
المحيط بترجمة الجملة المذكورة، التي يجب أن تقرأ مترجمة:
«شعر رأسك كبسط صوفية لملك ءسور (آل يسير)»، وهو
ما يستقيم به المعنى. والبسط الصوفية، الملونة بأصباغ
الخضار المحلية (التي استبدلت اليوم بالأصباغ

الاصطناعية) ما زالت تصنع اليوم في قرى السراة وتباع في أسواق أبها وخيس مشيط. وبشأن الأصباغ المحلية في هذه المنطقة، انظر فؤاد حمزة، «في بلاد عسير»، ص ٧٥.

١٤ - «كان لسليمان كرم في بعل هامون (بعل همون)» (٨: ١١). وإذا أخذت بعل على أنها ب - عل فانها تعني «فوق» أو «في المرتفع»، وليس «بعل» كاسم إله. وهامون (همون) يجب ان تكون وادي همن (همن) في مرتفعات الحُرث. وبالتالي، فان الجملة تقرأ: «كان لسليمان كرم في أعلى (وادي) همن».

١٥ - «اهرب، يا حبيبي، وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب (هري بشميم)» (٨: ١٤). والاشارة هنا يمكن أن تكون الى البشامة (بشم بلا تصويت) في مرتفعات العارضة، أو الى البشامة في الهضاب المحاذية لوادي عتود. وقد تكون أيضاً إلى بَسَام (بسم)، من قرى ناحية بني الغازي، أو الى البثنة (بثن) في جبل فيفا. وفي جميع هذه الأحوال، فان صيغة الجمع في بشميم هي جمع النسبة الى بشم (أي جمع بشمي)، وليس جمع الاسم، أي أن الجبال (هريم) المذكورة هي «جبال البشاميين»، وليس «جبال البشامات».

وليس «نشيد الأنشاد»، بشكل من الأشكال، هو المثال الوحيد من الأغاني الشعبية الذي يمكن العثور عليه في التوراة العبرية. وهناك مثال آخر يشمل المزامير المنسوبة الى «بني قورح» (بني قرح، انظر الهامش ٢ في الفصل ٩). وكما أشير قبلاً، فان بني قورح هؤلاء كانوا قبيلة من قرية القَرْحَة الحالية في جبل فيفا، أو من قرية القرحان في جبل بني مالك، والاسم الأخير هو المثلث العربي لـ قرحيم (الجمع بالعبرية لـ قرح)، مما

يعني قوم قرح، أو قبيلة قرح.

وكما ذكر سابقاً، فإن محتويات «نشيد الأنشاد» لم تجمع في أيام سليمان، بل في أيام من خلفه. وهناك بعض الدليل الذي يبين أن هذه الأناشيد جمعت في وقت ما بعد موته وتقسيم مملكته، عندما كان أبناء ذريته يحكمون كملوك على «يهوذا» في «أورشليم»، في حين كان منافسوه، ملوك «إسرائيل»، يحكمون من «ترصة». ففي الجملة التي تقول «أنت جميلة، يا حبيبتى، كترصة، حسنة كأورشليم»، يشير التوازن في ذكر الاسمين في جملة واحدة الى اعتراف بتمائل المنزلة بين المدينتين. ولم يكن لمثل هذا التماثل في المنزلة أن يوجد في أيام الملك سليمان، عندما كانت «ترصة» ما زالت مكاناً قليل الشهرة في مرتفعات غامد (انظر الفصل ١٠)، بينما كانت «أورشليم» عاصمة «كل إسرائيل».

خاتمة

يمكننا طبعاً أن نتابع إعادة تأويل جغرافيا التوراة العبرية في إطار غرب شبه الجزيرة العربية بدلاً من فلسطين، جزءاً بجزء. لكن مثل هذا العمل يخرج عن الغرض المحدود لهذا العمل الذي لا يتعدى إظهار واقع الأمر عن طريق ما يكفي من التفاصيل. وذات يوم، إذا ما قرّر جيل جديد من باحثي التوراة أن يهجر التقاليد المتداعية والبالية التي درج اتباعها في هذا الحقل، سيكون لا بدّ من إعادة نظر شاملة في قراءة التوراة العبرية بالشكل الملائم، باعتبارها مجموعة من نصوص قديمة لم تحل رموزها التاريخية والجغرافية بعد. وقد وصلتنا هذه النصوص من ماضٍ سحيق بلغة سامية منسية منذ خمسة وعشرين قرناً، وقد تحوّرت فيها المعاني في تلك الأثناء عن طريق إدخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة، مما يستوجب إعادة ضبطها بشكل جذري، وبالتالي إعادة ترجمتها إلى اللغات الحيّة.

وإذا ما قرئت التوراة العبرية بكاملها من جديد، سيتمكّن الباحثون عندئذٍ من تحديد أسماء الأماكن الواردة فيها، فلا يعود هناك التباس بين ما هو بالفعل اسم مكان وما هو غير ذلك، والعكس بالعكس. وقد اختلط بعض هذا الأمر على الباحثين التوراتيين حتى الآن بشكل فاضح. وبعد إعادة قراءة كامل النصوص التوراتية وتحديد أسماء الأماكن فيها، يصبح من الممكن مقارنة جميع هذه الأسماء مع أسماء الأماكن التي تمّ

جمعها في المعاجم الجغرافية الحديثة لشبه الجزيرة العربية، وتلك الواردة في مصنفات القدماء من الجغرافيين العرب، وكذلك في الأدب العربي القديم. وبعد ذلك يصبح من المستطاع وضع أطالس توراتية جديدة مختلفة كلياً عن تلك التي اعتدناها حتى اليوم.

وعندما تعاد دراسة التوراة كسجل تاريخي على ضوء هذه الأطالس الجديدة، لا بدّ من أن ينجلي الكثير من الغموض ليس فقط عن التاريخ التوراتي، بل أيضاً عن مجمل تاريخ الشرق الأدنى القديم الذي درس حتى الآن على أساس مفهوم جغرافي مغلوط للتوراة، ومن قبل باحثين غربيين صعب عليهم كنه اسرار اللغات السامية أصلاً. وعندئذ يصبح باستطاعتنا الوقوف على حقائق لا نهاية لها بشأن التاريخ القديم لمصر والشام والعراق، ناهيك عن تاريخ شبه الجزيرة العربية حيث ترسخ، على ما يبدو، أقدم الجذور واعمقها لحضارة العالم. وهذا أمر لم يعط حقه بعد.

هذا كله لا يمس إطلاقاً بالتوراة ككتاب يقّده المسيحيون واليهود، لأن الدين اليهودي والدين المسيحي هما شيء، والتاريخ والجغرافيا هما شيء آخر. وقد أظهر الباحثون التوراتيون، من مسيحيين ويهود، شكوكاً كبيرة في تاريخية التوراة، ونقدوا نصوصها على هذا الأساس وكذلك على أساس النقد اللغوي، وذلك منذ بداية علم التوراة الحديث في أواخر القرن الثامن عشر، ولم تؤثر هذه الشكوك التاريخية واللغوية على شيء من أسس الدينين. والشكوك في الجغرافيا المعتمدة للتوراة حتى اليوم هي أيضاً لن تؤثر على هذه الأسس.

وفي التحليل الأخير، تبقى التوراة العبرية جزءاً هاماً من تراث العالم الحديث، مهما كانت الشكوك في أمرها، وبغض النظر عما إذا كانت قد كتبت أصلاً في فلسطين أم في غرب الجزيرة العربية. وتبقى لبني اسرائيل، وهم شعب التوراة في الأصل، مكانتهم الخاصة بين شعوب

الشرق الأدنى في العصور القديمة، بغضّ النظر عما إذا كانوا قد عاشوا في
زمانهم في فلسطين أم في عسير وجنوب الحجاز، وسواءً أكانت أورشليم
هي القدس أو قرية آل شريم أو غيرها في بلاد السراة. فالجغرافيا تؤثر
على التاريخ، ولكنها لا تؤثر على القيمة التاريخية للشعوب سلباً أو إيجاباً،
وأقلّ من ذلك على الدين والعقيدة، وكلّهما أمور من مرتبة مختلفة تماماً.
أضف إلى ذلك أن الأمور المتعلقة بالتاريخ السحيق للشعوب البائدة،
ومنهم بنو إسرائيل، ليس لها علاقة مشروعة بأي هدف أو غرض قومي أو
سياسي في العصر الحاضر، مهما كان هذا الهدف أو هذا الغرض.

وفي جميع الأحوال، تبقى للمعرفة المجردة مكانتها إذا ما ثبتت
صحتها. والمعرفة الصحيحة هي أساس الفكر الصحيح، ولا يتأتى عنها إلاّ
الفائدة، مهما كان موضوعها.

سالمق:

آثار اسمية ليعقوب والأسباط في غرب شبه الجزيرة العربية

يعقوب، على ما يقوله سفر التكوين، هو ذاته اسراييل الذي عرف شعب بني اسراييل باسمه. وكانت أمه رفقة بنت بتوئيل الآرامي، وخاله لابان الآرامي هو والد زوجته ليثة وراحيل. وولد يعقوب ستة أبناء من ليثة هم رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، وأبنان من راحيل هما يوسف وبنيامين. وولد له أيضاً ابنان، هما دان ونفتالي، من بلهة جارية راحيل، وابنان آخران، هما جاد وأشير، من زلفة جارية ليثة (سفر التكوين ٢٩ و ٣٠ و ٣٥). وهؤلاء هم أجداد «الأسباط»، أي القبائل الاسرائيلية الاثنتي عشرة. ومن سبط يوسف فرعان تحدرًا من ابنه أفرايم ومنسى، وربما اعتبرا من الاسباط. وهناك قبائل ومواقع في غرب شبه الجزيرة العربية ما زالت تحمل الاسماء المذكورة في هذه الفقرة بشكل أو بآخر.

والواضح من سفر التكوين أن بتوئيل، وهو جد يعقوب لأمه، كان آرامياً (عربي). وقد سبق تحديد آرام (عرم) سفر التكوين بأنها كانت في جنوب الحجاز، حيث اليوم قرية أريمة (عريم بلا تصويت)، بسراة زهران. واسم بتوئيل (بالعبرية بتوئل) هو اليوم اسم قرية بُطَيْلَة بسراة زهران، الى الغرب من أريمة، وهي ليست بعيدة عنها. وفي سراة غامد، الى الجنوب من سراة زهران، قرية أثرية اسمها الرُبقة ما زالت تحمل اسم رفقة (بالعبرية ربقه)، بنت بتوئيل ووالدة يعقوب. والاسم ذاته

تَحْمَلُهُ قَرْيَةُ الرَبْكَةِ (تنويع عن ربقه) في جوار رابع بتهامة الحجاز، حيث هناك أيضاً قَرْيَةٌ تَسْمَى لَبَنَ، وأُخْرَى تَسْمَى لَبَانَ بِمَنْطَقَةِ الرُّيْمَةِ. وهذا هو اسم لابان الآرامي (بالعبرية لبن)، شقيق رَفْقَةَ وَخَالَ يَعْقُوبَ.

وهناك آثار اسمية في جنوب الحجاز لأُمّهات أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وهم لَيْثَةُ بِنْتُ لَابَانَ وَجَارِيَّتُهَا زَلْفَةُ، وَرَاحِيلُ بِنْتُ لَابَانَ وَجَارِيَّتُهَا بِلْهَةُ. فالاسم لَيْثَةُ (بالعبرية ليه) هو اليوم اسم وادي لَيْثَ (ليه) بِمَنْطَقَةِ الطَّائِفِ. وهناك اليوم قَرْيَةُ الزُّلُوفِ (زلف بلا تصويت) في المَنْطَقَةُ ذَاتَهَا، وَكَذَلِكَ قَرْيَتَا الدُّلْفِ وَالزُّلْفِ فِي وَادِي أَضْمَ الْمُحَازِي لِمُرْتَفَعَاتِ الطَّائِفِ، وَالْقَرْيَةُ الثَّلَاثُ هَذِهِ تَحْمِلُ اسْمَ زَلْفَةٍ (بالعبرية زلفه)، جَارِيَةُ لَيْثَةٍ. واسم رَاحِيلَ (بالعبرية رحل) هو اليوم اسم قَرْيَةِ الرُّخَيْلَةِ (رخل بلا تصويت) فِي وَادِي لَيْثَ (رَاحِيلُ التَّوْرَاتِيَّةُ هِيَ «أَخْتُ» لَيْثَةٍ) بِمَنْطَقَةِ الطَّائِفِ. وهناك رُخَيْلَةُ أُخْرَى فِي سَرَاةِ زَهْرَانَ، نَاهِيكَ عَنْ قَرْيَةِ رَاحِلَ (وهو تَمَاماً رَاحِلَ) بِجَوَارِ يَنْبَعِ النَّخْلِ، غَرْبَ الْمَدِينَةِ. أَمَّا اسْمُ بِلْهَةٍ (بالعبرية بلهه) جَارِيَةُ رَاحِيلَ، فَهُوَ الْيَوْمَ اسْمُ قَرْيَةِ الْبِلْهَاءِ (بلهه بلا تصويت)، مِنْ قَرْيَةِ اللَّيْثِ بِتَهَامَةِ الْحِجَازِ. وَكُلُّ هَذَا يُشِيرُ إِلَى أَصْلٍ حِجَازِيٍّ لِنَسَبِ «أُمّهات» بَنِي إِسْرَائِيلَ.

واسم يَعْقُوبَ (بالعبرية يعقوب)، زَوْجُ لَيْثَةٍ وَرَاحِيلَ وَأَبُو الْأَسْبَاطِ، هُوَ اسْمُ فِعْلٍ عَلَى وَزْنِ يَفْعَلُ مِنَ الْجَذْرِ عَقَبَ، يُقَابَلُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْاسْمُ الْقَبْلِيُّ عُقْبَةٌ. وَهناك عِدَّةُ قَبَائِلَ فِي مُخْتَلَفِ انْحَاءِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَحْمِلُ هَذَا الْاسْمَ إِلَى الْيَوْمِ. وَهناك قَرْيَةُ اسْمُهَا الْعُقْبُ فِي سَرَاةِ زَهْرَانَ، وَأَرْبَعَةٌ أُخَرُ اسْمُهَا عُقُوبٌ وَعُقَيْبٌ وَالْعُقَيْبَةُ وَالْيَعَاقِبُ (جَمْعُ يَعْقُوبَ)، وَالْوَاضِحُ أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ اسْمُ قَبِيلَةٍ فِي مَنْطَقَةِ الطَّائِفِ. وَمَعَ الْأَخْذِ فِي الْإِعْتِبَارِ أَنَّ جَدَّ يَعْقُوبَ لَأُمِّهِ كَانَ آرَامِيّاً، حَسَبَ سَفَرِ التَّكْوِينِ، وَأَنَّ خَالَه لَابَانَ كَانَ بِالْفِعْلِ يَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ الْآرَامِيَّةَ، وَلَيْسَ الْعَبْرِيَّةَ (انظر الفصل ١)، يُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ أَنْ يَفْتَرِضَ أَنَّ قَوْمَ «يَعْقُوبَ» الَّذِينَ خَلَقُوا أَثَرَهُمُ الْاسْمِي فِي

جنوب الحجاز، حيث كانت آرام سفر التكوين، كانوا هم ايضاً من الآراميين في الأصل، ثم هاجروا جنوباً واندمجوا بقبائل عسير التي كانت لغتها العبرية. وهذا ما قد يفسّر القول الغامض الوارد في سفر التثنية ٢٦ : ٥ : «آرامياً تائهاً كان أبي، فانحدر الى مصرىمه (المصرمة، في جوار أبها) وتغرّب هناك في نفر قليل، فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة».

وها هي الآثار الإسمية لأسباط بني اسرائيل، من «أبناء» يعقوب، في مختلف أنحاء عسير وجنوب الحجاز:

«رأوين» (رعوبين): يبدو أن أراضي رأوين كانت في جنوب الحجاز، من بلاد زهران شمالاً. وهناك قرية تسمى الرّبيان (ربين) في سراة زهران، وأخرى اسمها ربوان (ربون) في وادي أضم، وثالثة تسمى رابن (ربن) في تهامة الحجاز بجوار بلدة رابغ. وهناك أيضاً الروابين (روبن)، من اسماء القبائل المشهودة الى اليوم في شمال الحجاز.

«شمعون» (شمعون): يبدو أن الوطن الرئيسي لقبيلة «شمعون» كان في الجزء الجنوبي من منطقة جيزان، عند حدود اليمن، حيث هناك قرية تسمى الشُّعون (ولعلّه تحريف للاسـم)، واثنتان تسميان الشِّماع (شمع، من دون لاحقة المبالغة أو أداة التعريف القديمة في شمعون). وهناك أيضاً شَمْع (شمع) في منطقة القنفذة، وآل شمعة (عل شمع) قرب الطائف. والسماعنة أو السماعين (سمعن) من القبائل العربية بالشام، وربما كانت نسبتهم في الأصل إلى قرية السمعانية (سمعن) باليمن.

«لاوي» (لوي): الاسم مشابه تماماً لاسم القبيلة العربية لؤي (لـي). وتوجد بقعة اللاوات، (جمع لاوة، أي لوه) في منطقة جيزان، حيث

توجد أيضاً قرى اللاوي (لوي بلا تصويت) واللوي واللوية .
وهناك قريتان تسميان لاوة (لوه) واللوية في وادي أضم ، وواحدة
تسمى اللوية في تهامة زهران ، وواحدة تسمى اللوية بمنطقة
الطائف . والظاهر أن قبيلة «لاوي» كانت تتواجد في منطقة جيزان
من ناحية ، وفي جنوب الحجاز من ناحية أخرى .

«يهودا» (يهوده) : انظر الفصل ٨ الذي يعالج هذا الاسم . والوهادين ،
والمفرد وهادي (وهدي) ، من اسماء القبائل المشهودة إلى اليوم في
شبه الجزيرة العربية . وهناك قريتان تسميان الوهدة (وهده) في
رجال ألمع ، وأخرى في سراة زهران ، وثالثة في منطقة النماص ،
ورابعة في وادي أضم . وهناك كذلك الوهاد (وهد) في منطقة
بيشة . وعندما غزا الفلسطينيون «أرض يهودا» في أيام شمشون ،
هاجوا لحي (لحي) التي هي اليوم لحية (لحي) في وادي أضم (انظر
الفصل ١٤) . وهذا يشير إلى أن الأرض الأصلية لقبيلة «يهودا»
كانت في ذلك الجوار . وهناك أدلة توراتية أخرى متوفرة حول هذا
الأمر ، ومنها الكلام عن «بيت لحم» و«إفرته» في أرض «يهودا» ،
وهما اليوم أم لحم والفرت أو الفرات في وادي أضم .

دان (دن) : صيغة الجمع العربية للاسم القبلي ، وهي الدنادنة ،
تحمله إلى اليوم قرية في تهامة زهران . وهناك أيضاً دلائل توراتية
أخرى بأن أرض قبيلة «دان» كانت هناك (انظر الاشارات
الاسمية في قصة شمشون في الفصل ١٤) . والدوانية والدنيوي
والدندن من اسماء القبائل المشهودة في شبه الجزيرة العربية إلى
اليوم .

«نفتالي» (نفتلي) : ربما كانت الأراضي الأساسية لهذه القبيلة في منطقة
البرك حيث هناك قرية اسمها آل مَفْتَلَة (عل مفتل ، أي إله
نفتلي) . وهناك في منطقة جيزان قريتان تسميان مَفْتَلْ نشب

ومفتل نشيلي . وبالإضافة الى ذلك توجد قرية اسمها المفتل في منطقة بلسمر وبلحمر . و«المفاتيل» (جمع «مفتل») في الكلام المحلي هي «أبراج المراقبة»، وهي اشتقاق من فتل بالمعنى المشهود بالعبرية، وهو «قاتل، صارع»، ومنه الاشتقاق العبري نفتل . والفلاتين (فلتن) اليوم من قبائل شبه الجزيرة العربية .

«جاد» (جد): الجادية (جدي بلا تصويت) في سراة غامد، وجديدة (أيضاً جدي بلا تصويت) في منطقة الجموم بوادي فاطمة من جنوب الحجاز، والجُدَّة في منطقة الطائف. أضف الى ذلك مدينة جُدَّة المعروفة، ووادي الجادة (جد بلا تصويت) بجنوب الحجاز، وقريتين تسميان الجدة وابن جدة في منطقة القنفذة، وقرية تسمى الجُدَّين (جمع النسبة الى جد) في منطقة جيزان. وبنو جُدَّة (جد) من القبائل العربية القديمة، وكانوا من قضاة، وهناك رأي بأن مدينة جُدَّة سميت باسمهم . ومن القبائل الحالية بالحجاز آل جُودي (جد بلا تصويت)، بين وادي يلملم والليث. ولعلَّ أرض «جاد» الأساسية كانت في جنوب الحجاز.

«أشير» (عشر): هو بالذات اسم المكان وشر (وشر)، في منطقة جيزان، مما يوحي بأن «أشير» كانت قبيلة جنوبية. وربما كانت شَرُورًا، أو شَرُورَةً، هي الجمع بالعربية لاسم القبيلة نفسه «أي الشراورة»، والاسم لقرية في منطقة نجران. ومن قبائل شبه الجزيرة العربية اليوم ذوي شاري (شر بلا تصويت)، واسم هذه القبيلة لا يختلف عن عشر، ولعله الاسم ذاته.

يَسَاكِر (يسسكر، وهو اسم فعل على وزن يفعل من سكر): الشكل العربي للاسم هو «يشكر»، ويشكر من القبائل القديمة في غرب شبه الجزيرة العربية، وفي جملة من يذكرها الهمداني. وقبيلة

الشُّكْرَ (شكر) في وادي ساية، بجنوب الحجاز، تحمل ما يظهر على أنه الاسم نفسه. وهناك قبيلة الشُّكْرَة أيضاً في وادي الدواسر، غرب وادي بيشة.

زَبُولُون (زبلون): الزُّبَالَة (زبل بلا تصويت)، في مرتفعات عسير الجنوبية، هي إحدى قبائل غرب شبه الجزيرة العربية التي تحمل هذا الاسم اليوم، والأخرى هي قبيلة الزُّبَالَة (أيضاً زبل) في وادي حجر، بجنوب الحجاز. وزبلون التوراتية هي الاسم نفسه تماماً مرفقاً بأداة التعريف القديمة مضافة كلاحقة.

«يوسف» (يوسف): هناك قرية تسمى آل يوسف في منطقة بلسمر بالسراة، ولكن الاسم أكثر قرباً من اللفظ التقليدي لكلمة يوسف العبرية من أن يكون استمراراً في الوجود لهذا الاسم. والأرجح هو أن الاسم التوراتي استمر في الوجود في الصيغة المعربة الأصفاء (ءصف)، وهو اسم قرية في منطقة بني عمرو بالسراة، واسم قرية أخرى قرب غُمَيْقَة بمنطقة الليث، وهي المنطقة التي يبدو أنها كانت الموطن الأساسي لقبيلة «يوسف» (انظر الفصل ٦).

«بنيامين» (بنيمين، أو بن يمين، التي يظهر أنها تعني «ابن الجنوب»): إن كون يمين هذه (مثل يمين) تعني «جنوب» هو أمر أكيد. واسم بن يمين التوراتي مطابق تماماً لاسم «ابن يامن» الذي أطلق على أهل اليمن في الشعر الجاهلي. والقرى التي تحمل أسماء مشتقة من يمين (مثل اليماني وآل يمان) كثيرة في الأجزاء الجنوبية من عسير. واستناداً إلى سفر التكوين ٣٥: ١٨، فإن «بنيامين» كان قد سمي «بن أوني» (بن ءوني) قبل تغيير اسمه إلى بنيامين. ويبدو أن ءوني أو ءونيه بالعبرية التوراتية كانت تعني «القافلة». (قارن بالعربية «الآنية»، وهي «الخرج على ظهر الدابة»). ولعلّ

قبيلة «بنيامين»، أي «ابن يامن» أو «ابن الجنوب»، كانت تسمى في الأصل «بن أوني»، أي «ابن الأنية»، بسبب علاقتها بقوافل التجارة، لأن عسير الجغرافية في القدم كانت تعتمد في تجارتها الى حد كبير على القوافل القادمة اليها من اليمن.

تفرعات قبيلة «يوسف» :

«أفرايم» (عفريم، مثنى أو جمع عفر): لا بد أن أرض هذه القبيلة كانت في وادي الملاحه، في منطقة بني شهر على المنحدرات البحرية لعسير، حيث ما زالت هنالك قرية تسمى الوُفْرَيْن (مثنى وفر). ولعل اسم الفيران (فرن)، وهو من أسماء القبائل العربية المشهودة إلى اليوم، هو اسم «أفرايم» بالذات، مع تحويل ميم الجمع العبرية الى النون بالعربية.

منسئ (منشه): هناك قرية منسية في جوار صبيا بمنطقة جيزان، والمنشأة (منشه بلا تصويت) في منطقة بلسمر جنوب بني شهر، والمنشأة (ممشه بلا تصويت، ولعلها تحوير عن منشه) في منطقة القنفذة. وهناك أيضاً منشية الفرع في سراة زهران. ويدو أن التمرکز الرئيسي لقبيلة «منسئ» كان قريباً جداً من تمرکز قبيلة «أفرايم». وآل منسي (منس) من أسماء القبائل المشهودة إلى اليوم بالحجاز.

كشاف أسماء الأعلام والأماكن والموضوعات

- أ -

- آخاب : ١١٤ .
آدم : ٢٧٢ .
آذار (قبيلة) : ٢٦٦ .
آرام : ٢٩٩ ، ٢٣٥ .
الآراميون : ٢٩ ، ٥٢ ، ٢٣٥ .
أرج : ١٦٧ .
آسا (ملك يهوذا) : ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ .
آسيا - غرب آسيا : ١١٥ .
آشور : ٣٩ ، ٢٧٦ .
آشور بانيبال : ١١٥ .
الآشوريون : ٢٣٧ .
أطير : ١٦٧ .
آل ابن حي : ٢٨٠ .
آل الأعلم : ٢٢٥ .
آل برقان : ١١٨ .
آل تمام : ١٧٠ .
آل جبَّار : ٢٣٠ .
آل جودية (قبيلة) : ٣٠٣ .
آل جبعان : ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢١١ .
آل جحدل : ٢٧٥ .
آل الجرج : ١١٨ .
آل حناحيت : ٢٦١ .
آل حماطان : ١٨٨ .
آل حومان : ٢١٦ .
آل حي : ٢٨٠ .
آل حي : ٢٨٠ .
آل حياة : ٢٨٠ .
آل دغمان : ٢٥٣ .
آل ذبابية : ٢٣٢ .
آل الرفخة : ١١٦ .
آل رهوة : ٢٣٠ .
آل الزرععي : ٢٠١ .
آل زهير : ٢٠٢ .
آل زيان : ١٨٧ .
آل زيدان : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
آل سادي : ٢٣٠ .
آل سرّة : ١٩٦ .
آل سكوت : ٢٣١ .
آل سلام : ١٢٠ .
آل سلامة : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٩ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ .
آل سلمان : ١٦٥ .

- آل شريم: ١٢٠، ١٨٣، ١٨٤،
 ١٨٥، ١٩٠، ١٩٢،
 ١٩٧، ٢٠٣، ٢١٣،
 ٢٩٧.
 آل صوت: ١٢٠، ١٦٥.
 آل عرينة: ٢٦٦.
 آل عزة: ١٠٠، ١٠١، ١٠٣،
 ١١٨، ٢٤٥٢.
 آل عصمان: ٢٦٦.
 آل العلم: ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠،
 ٢٣١.
 آل عليان: ١٩٠، ٢٢٥، ٢٢٩،
 ٢٣٠، ٢٣١.
 آل عمر ارواء: ١٢٠.
 آل غبران: ٢٣٨.
 آل غران: ٢١٣.
 آل فرزنان: ٢٦١.
 آل فقيه: ٢١٦.
 آل قِراد: ٢١٨.
 آل قریش: ٢٦٣.
 آل قنية: ٢٦١.
 آل قياس: ٢٠٣.
 آل كنعان: ١٠١، ٢٤٨، ٢٤٩،
 ٢٦٢.
 آل كوعان: ٢٣١.
 آل محرز: ١٨٦.
 آل مريم: ٢١٥.
 آل مزاح: ١١٩.
 آل مصري: ١١٦، ١٤٨،
 ٢٤٧.
 آل مقلته: ٣٠٢.
 آل هاشم: ٢٣٤.
 آل هية: ٢٣٠.
 آل يرار: ٢١٥، ٢١٦.
 آل يسير: ١٨٩، ١٩٦، ٢٩١.
 آل يمانى: ١٨٧، ٣٠٤.
 آل يوسف: ١٦٠، ٣٠٤.
 أبرام: ١٤٣، ٢٢٢، ٢٢٣،
 ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٧،
 ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١،
 ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٩،
 ٢٦٠، ٢٦٣.
 إبراهيم: ١٥، ١٨، ١٧٥،
 ٢٢١، ٢٣٣، ٢٣٦،
 ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠،
 ٢٥٩، ٢٤١.
 ابن جلة: ٣٠٣.
 ابن هشبل (وادي): ١١٧.
 ابن هنوم: ١٩٠.
 ابن يامن: ٣٠٤.
 أبها: ٧٣، ١٤٣، ١٤٦، ١٧٨،
 ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٢،
 ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧،
 ٢٥١، ٢٧٦، ٢٨١،
 ٢٩٢.
 أبو بكر الصديق: ٢٧٩.
 أبو ثور: ٢٧٦.
 أبو عريش: ١١٦، ٢١٤.
 أبو عرينة: ٢٦٥.
 ابيمالك: ٩٨، ٢٥١.
 أتوم: ١٠٦.
 أحد رفيدة: ٢٦٥.

٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٢٤٣	إدّام (وادي): ١٢٠ .
٣٠٠	أذّان: ١٦٨ .
٥٣ ، ٤٣ ، ٤٢ : الاسرائيليون	الأدب العربي: ٢٩٦ .
١٣٨ ، ١٣٦ ، ١٠٦	أدّمة (وادي): ٢١٨ .
١٦٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦	أدورايم: ٢٠٣ .
٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ .	أدوم: ٢٣٦ .
الإسكندر: ٤٧ .	الأدومية: ٢٣٦ .
الإسكندرية: ٤٧ .	الأدوميون: ٢٣٦ .
الإسلام: ١٢ ، ٢٧٩ .	أدّون: ١٦٨ .
إسماعيل: ٢٣٦ .	أدونيّقام: ١٦٨ .
أسّنة: ١٦٣ .	الأذن: ١٦٨ .
الإشّعاء: ٢٥٥ ،	الأردن: ٣٦ ، ١٣٣ .
أشدود: ٢٥٢ .	أردن أريحا: ١٤٨ .
أشقلون: ٢٥٣ .	أرفكشاد: ٢٣٥ .
أشير: ٢٩٩ ، ٣٠٣ .	أرواد: ٣٤ .
الأصفاء: ٣٠٤ .	أريحا: ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ،
أضم (وادي): ١٤ ، ١١٣	١٧٤ .
١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩	أريمة: ٢٩٩ .
١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٣٩	الأزد: ٢٤٩ .
١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٦٠	الأزد القحطانية: ٢٦٢ .
١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧١	استانبول: ١٠٧ .
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦	استرابون: ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٦ ،
١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٢	٩٧ ، ٢٧٤ .
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦	إسحق: ٢٣٣ ، ٢٣٦ .
٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩	إسرائيل: ١٢ ، ٦٩ ، ١٢٦ ،
٢٤٦ ، ٢٤٥٠ ، ٢٥١	١٥٥ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ،
٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥	١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،
٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠	١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣	٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٣ ،
٢٧٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠١	٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
٣٠٢	٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ،

٢٢٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٩٧ ، ٢٩٣ .

- هيكل أورشليم : ٤٧ ، ٤٨ .

الأوريم : ١٧١ .

أونو : ١٧٢ .

إيدمة (وادي) : ٨٠ ، ٢٦٥ .

أيلاء : ٢٠٣ .

إيلات : ١٠٦ .

آيلون : ٢٠٣ .

- ب -

باباي : ١٧٠ .

بابل : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ١٥٦ .

البابليون : ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٩ ،

٢٣٧ .

بادانغ : ١٥٢ .

بارق : ١٧٠ ، ٢١١ .

باني : ١٧٣ .

البتر : ٢٨٥ .

البثلة : ١٦٩ .

بتول : ١٦٩ .

بتوثيل : ٢٩٩ .

البتبيلة : ١٤٣ ، ١٦٨ ، ٢٠٥ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ .

البشة : ١٥٣ ، ٢٩٢ .

البشنية : ١٥٣ .

البحر الأبيض المتوسط : ٣١ ،

٨١ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ .

البحر الأحمر : ١١ ، ٣٣ ، ٧٣ ،

الأغاني الشعبية : ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٩٢ .

أفرايم : ٢٩٩ ، ٣٠٥ .

البريت ، و . ف : ١٠٨ ، ١١١ ،

١١٢ .

إله الصبيات : ١٨٤ .

الياب : ١٧٣ .

أليان : ٢٠٣ .

أم الياب : ١١٣ ، ١٧١ .

أم صمدة : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٩٢ ، ١٨٢ .

أم لحم : ١٧١ ، ١٩٩ ، ٣٠٢ .

أم مناحي : ٢١١ .

الامبراطورية الفارسية : ٤٤ ،

٤٧ .

الأمثال : ٢٨٣ .

الأمرة : ٢٦٢ .

الأمويون : ٥٢ ، ٢٦٢ .

انطاكية : ٤٧ .

أهل كتاب : ١٥٢ .

أوان : ١٧٢ .

الأوجاريتيون : ٢٣٧ .

أورشليم : ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ،

١٢٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ،

٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ،

٢١٥ ، ١٤٢ .	١٣٢ ، ٩٤ ، ٨١ ، ٧٥
بكة : ١٨ ، ١٥ .	٢٥١ ، ٢٤٥٨ ، ٢٠٩
بلاد النوبة : ٨١ .	٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٣ .
البلادي ، عاتق بن غيث : ١٣ .	البحر الميت : ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٥ ،
بلجرشي : ١٧٣ .	١١١ ، ١١٢ ، ١٣٨ ،
بلحمر : ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٨ ،	١٤٧ ، ٢٦٤ .
١٨٧ ، ١٩١ ،	بحيرة طبرية : ٢٦٤ .
٣٠٣ .	براء : ١١٨ .
بلسم مكة : ٢٧٤ .	برد : ٦٤ .
بلسمر : ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٨٨ ،	برزلاي الجلعادي : ١٦٩ .
٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ،	البرصة : ١٦٩ .
٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،	البرقان : ١١٨ .
٢٩١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،	برقوس : ١٦٤ .
٣٠٥ .	برمة : ٢٤١ .
البلعاء : ٢٠٥ .	بران : ٢١٣ .
البلقاء : ١٥٣ .	البرك : ٧٥ ، ١٦٩ ، ٢٥٢ ،
بلقرن - سراة بلقرن : ١٨٧ .	٣٠٢ .
البلهاء : ٣٠٠ .	البركة : ١٢٧ ، ١٢٨ .
بلهة (جارية راحيل) : ٢٩٩ ،	البرمة : ٢١٣ .
٣٠٠ .	برية زين : ٢٦٥ .
البناية : ١٣٠ .	البرمية : ٢١٥ .
بنت أورشليم : ٤٠ ، ٥٥ .	البزة : ١٦٧ .
بنت صهيون : ٤٠ ، ٥٥ .	بسام : ٢٩٢ .
بنو إسرائيل : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ،	بسل (وادي) : ٢٦٠ .
٢٧ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ،	البشامة : ٢٩٢ .
٤٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٣ ،	بصلوت : ١٦٤ .
١١١ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ،	بصوة : ١٦٧ .
١٥٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،	بضا : ١٦٧ .
١٨١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،	البطيطة : ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٩٩ .
٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،	بعلبك : ٦٠ .
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،	بقران (وادي) : ١٣٧ ، ١٣٨ ،

البوابون: ١٦٧ .
 بويط: ١٧٢ .
 بيت أيل: ١٤٣ ، ١٦٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
 بيت تَفُوح: ٢١٤ .
 بيت دجن: ٣٤ .
 بيت الصديق: ٢٢٥ .
 بيت صور: ٢٠٢ .
 بيت عزموت: ١٦٨ .
 بيت عمري: ١١٢ .
 بيت لحم: ٣٥ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٣٠٢ .
 بيت المقدس: ٤٨ .
 بير بيرين: ٩٠ .
 بشر رحوبوت: ٨٢ .
 بشر سبع: ١٨ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٨٥ ،
 ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ،
 ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٩٢ .
 بشر شبعة: ٨٢ .
 بشر عسق: ٨٢ .
 بشر لحي رُئي: ٦٤ .
 بشر سطنة: ٨٢ .
 بيروت: ٣٣ ، ٦٠ .
 بيساي: ١٦٣ .
 بيشة (وادي): ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٦ ،
 ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٦ ،
 ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ،
 ٢١٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ .

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ .
 بنو جدّة (قبيلة): ٣٠٣ .
 بنو هُلب: ٢٤٩ .
 بنو مُرة (قبيلة): ٢٦٢ .
 بنوي: ١٧٣ .
 البني: ١٧٣ .
 بني شهر: ١١٨ ، ١٤٧ ، ١٧١ ،
 ١٧٣ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٥١ ،
 ٢٦١ ، ٣٠٥ .
 بني عبد شحب: ٢٣٣ ، ٢٣٩ .
 بني عمر الأشاعيب (وادي):
 ١٩١ .
 بني عمرو: ١٨٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
 ٢٢٦ .
 - سراة بني عمرو: ٢٣١ ، ٢٨٠ .
 بني الغازي: ١٥٣ ، ٢٨٨ ،
 ٢٩٢ .
 بني قيس: ٢٠٣ .
 بني مالك: ٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ،
 ٢٦٧ ، ٢٨٥ .
 بنيامين: ٢٩٩ ، ٣٠٤ .
 بنيامين (قبيلة): ٣٠٥ .
 النبياء: ١٧٣ .
 بواء: ١٧٣ ، ٢١٨ .

تهامة : ٧٣ ، ٧٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ،
 ١٣٢ ، ١٥٥ ، ٢٥٣ ،
 ٢٤٩ ، ٢٧٢ .

تهامة بني شهر : ٢٥٧ .

تهامة الحجاز : ١٢٦ ، ٢١٩ ،
 ٣٠٠ ، ٣٠١ .

تهامة الرية : ١٣٠ .

تهامة زهران : ١٧٣ ، ١٩١ ،

١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ،

٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٣٠٢ .

تهامة عسير : ١٢٦ .

تهامة غامد : ٢١٤ ، ٢٦١ .

تهامة اليمن : ١٢٦ .

تهوم : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٣٠ .

التوراة : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،

١٧ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ ،

٦٩ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٧ ،

١٠٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٩٠ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ،

٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٥ ،

٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ،

٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٥ .

توفة : ١٩١ .

٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٤ .

بيصاي : ١٦٧ .

بين : ١٨٨ .

بثيروت : ١٧١ .

- ت -

تامح : ١٦٤ .

تبالة (وادي) : ١١٦ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ .

تثليت (وادي) : ٢٦٧ .

ترصة : ٢٨٨ ، ٢٩٣ .

تدمر : ١٢٤ .

ترامبول ؛ هـ . س . : ٩٠ .

تربة : ٢١٨ .

ترصة : ٢٠٣ ، ٢٠٠ .

تغلب : ١٢٤ .

تل الدوير : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،
 ٢٠٣ .

تل الغلف : ١٣٧ .

تل القلف : ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٤٢ .

تل ملح : ١٦٨ .

تمحة : ٢٥٤ .

التميم : ١٧٠ .

تندحة (وادي) : ٢٧٥ .

تنوخ : ١٢٤ .

تنومة : ١٠١ ، ١٢٠ ، ١٧٦ ،

١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢٧٦ ، ٢٩١ .

تَيْة (وادي): ٢٤٥ .

- ث -

التدئين: ١٢٧ ، ١٢٩ .

ثعابة: ١٦١ .

ثفن: ٢٤ .

ثقاله: ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

ثفن: ٢٤ ، ٢٦٧ .

الثوابية: ١٦١ .

- ج -

جاد: ٢٩٩ ، ٣٠٣ .

الجادة (وادي): ٣٠٣ .

الجادية: ٣٠٣ .

الجاسر، حمد: ١٣ .

الجامعة: ٢٨٣ .

الجاهلية: ٢٨٩ .

الجائزة (وادي): ١٧٢ ، ١٧٣ ،

٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٩ .

جَبَّار: ١٧٠ .

جيجب: ١٦٣ .

جبرين: ٩٢ .

جبتون: ٢٠٠ .

جبع: ١٧٢ .

جبعون: ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٥ ،

٢٠٣ ، ٢١١ .

جبل أبوهمدان: ١٣٤ .

جبل بني مالك: ٩٩ ، ١٠١ ،

١٠٣ ، ١٤٦ ، ٢٨٨ .

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

جبل تهوى: ٢٣٠ .

جبل جحفان: ٢٨٧ .

جبل جرزيم: ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

جبل جلعجل: ١٤٠ .

جبل الحشر: ١٦٨ ، ١٨١ .

جبل حطاب: ١٥٢ .

جبل سوقة: ١٣٦ .

جبل شتان: ١٣٦ ، ١٣٧ .

جبل شدا الأعلى: ٢٠٦ .

جبل شهدان: ٩٩ .

جبل صهيون: ٤١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ .

جبل ضيرم: ٢٩١ .

جبل عكوة: ٩٩ .

جبل العلماء: ١٧٣ .

جبل عوراء: ١٨١ .

جبل عيبال (عيبال): ٢٠٥ ،

٢٠٦ .

جبل عيسان: ١٣٥ .

جبل فيفا: ١٠٣ ، ١٥٣ ، ٢١٣ ،

٢٤٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ،

٢٩٢ .

جبل القارعة: ١٣١ .

جبل كُرميل: ١١٨ .

جبل لبنان: ٢٨١ .

جبل هادي: ٧٠ .

جبل هُروب: ١٠٠ ، ١٠١ ،

١١٦ ، ١١٩ ، ١٣١ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،

١٥٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

- جبل هور: ٢٦٦ .
 جبيل: ١٧ ، ٣٤ .
 جت: ٢٠٢ ، ٢٥٣ .
 جدة: ١١٨ ، ٣٠٣ .
 الجدة: ١٦٩ .
 جدعون: ٢٢٦ .
 الجدُل: ١٦٢ ، ١٦٦ .
 جدور: ١٠٣ .
 الجدية: ٣٠٣ .
 جَدِيل: ١٦٢ ، ١٦٦ .
 جرابلس: ٣٧ .
 الجديين: ٢٨٤ ، ٣١٣ .
 الجرابيع: ٢٦٦ .
 جرار: ٨٥ ، ٨٦ .
 جرف سلع: ٢٨٥ .
 الجرعان: ٢٥٣ .
 الجزيرة العربية: ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٢٦٥ .
 جزيرة كريت: ٢٤٥ .
 الجعافر: ١٧٠ .
 الجعد: ٣١ ، ١٦٩ ، ٢٥٠ .
 الجعدة: ٢٨٥ .
 جغرافيا التوراة: ١١ ، ١٦ ، ١٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٩٥ .
 الجغرافيون العرب: ١٣ ، ١٨ ، ١٥١ ، ٢٩٦ .
 جلجل: ١٤٠ ، ١٤٢ .
 الجليل: ٣٦ ، ٤٨ ، ٢٠١ .
 الجمعة: ١١٨ .
 جمعية التوراة الأميركية: ١٢٦ .
 جمعية التوراة البريطانية والأجنبية:
 ١٢٦ .
 جناة: ١١٨ ، ٢٨٨ .
 جناة بني غازي: ٢٨٩ .
 الجنادل: ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
 جنة عدن: ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
 الجنوب: ١١٩ ، ٢٦٦ .
 جنوب الجزيرة العربية: ٣١ .
 الجنينة: ٢٧١ ، ٢٧٨ .
 الجوّ: ١٨٨ .
 الجوّة: ٢٥٦ .
 جوحان (وادي): ٢٧٥ .
 الجية: ١٨٨ .
 جيحون: ٢٧٢ ، ٢٧٤ .
 جيدة: ٣٠٣ .
 جيزان: ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٢
، ١٣٠ ، ١٢٤ ، ١١٧
، ١٤٢ ، ١٣٦ ، ١٢٤
، ١٧٠ ، ١٥٦ ، ١٤٩
، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٧٤
، ٢١٨ ، ٢٠٩ ، ٢٠١
، ٢٥٢ ، ٢٤٨ ، ٢٣٠
، ٢٦٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣
، ٢٩٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦١
، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١
. ٣٠٥ ، ٣٠٤

حُجر: ١٦٢ .
- وادي حجر: ٣٠٤ .
الحجر الموابي: ١١١ ، ١١٢ ،
. ١١٤ ، ١١٣
الحجفة: ١٦٣ .
حداد: ١٧٠ .
حدّاق: ٢٧٢ ، ٢٧٥ .
الحديثة: ١٩٠ .
حديقة الرحمن: ٢٧٩ .
حديقة الموت: ٢٧٩ .
حديد (وادي): ١٧١ .
حذيذ: ١٧٠ .
حَرَّة البُقوم: ٢١٨ ، ٢٦٧ .
الحَرث: ١٦٨ ، ٢٣٤ ، ٢٨٦
. ٢٩٢ ، ٢٩٠ ، ٢٨٧
حرحور: ١٦٣ .
حَرَسا: ١٦٨ .
الحَرْشَف: ١٥٩ .
الحَرْف: ١٦٨ .

، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
، ٢٦٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦١
، ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٠
، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤
، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٨
. ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠١

- جبال جيزان: ٢٨٣ .

- ح -

حاجب بني الشرفات: ٢٥٠ .
حاديد: ١٧٠ .
حاران: ٢٣٩ .
حارب: ٧٠ .
حاريف: ١٦٨ .
حاريم: ١٦٧ .
حام ابن نوح: ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
حبايا: ١٦٩ .
حبرون: ١٧٥ ، ١٨٤ ، ٢٠٣ ،
. ٢٤٠
الحبشة: ٦٧ ، ٨١ ، ٩١ .
الحبشيون: ٨٦ ، ٩١ .
الحَبْوة: ١٦٩ .
حبونا (وادي): ٨٠ ، ١٥٩ .
حبوى: ١٦٩ .
الختوة: ٢٦١ .
حتي (وادي): ٢٦١ .
الختيون: ٢٦١ .
الحجاب: ١٦٢ .
الحجاز: ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ،
٢٧ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٥ ،
٧٨ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٤ .

- حرمون: ٢٨٦، ٣٦.
 حروب الردة: ٢٧٩.
 حزقيا: ١٠٧.
 الحسكان: ٢٥٠.
 حشبون: ٢٩٠.
 الحشمونيين: ٤٨، ٤٧.
 حصن ريدان: ١٣٤.
 حصن صهيون: ١٧٥، ١٧٧،
 ١٨٣، ١٧٨.
 حضرموت: ٢٣٥، ٢٣٦.
 حطيفا: ١٦٥.
 حطيل: ١٦٦.
 الحفر: ٢١٠.
 الحقلّة: ١٣٠، ١٣١.
 الحقو: ١٣١.
 جلة مصوى: ١٨٨.
 حلي: ١٣٠، ٢١١، ٢١٢،
 ٢٥٦.
 وادي حلي: ١٧٢.
 الحم: ٢١٣، ٢٤٧.
 الحمّاطة: ٢٦٧.
 الحمراية: ١١٦.
 حمزة، فؤاد: ١٤، ٢٧١.
 حملة شيشانق: ٢٠٧، ٢٠٨.
 حميدة: ١٦٤.
 الحميرة: ٢٥٥.
 حميل: ١٦٨.
 حنانة: ٢١٦.
 حنينة: ١٦٢.

- خ -

- خاراف (وادي): ٢٧٦.
 خاط (وادي): ١٨٤.
 الخبوا: ١٦٩.
 الخبية: ١٦٩.
 الخبيرة: ٢١٥.
 الختان الجماعي: ١٣٦، ١٤٢.
 خربان: ١٧٥، ١٨٤، ٢٠٣،
 ٢٤٠، ٢٤١.
 الخرش: ١٦٤.
 خرفا: ١٦٨.
 خريم: ١٦٧.
 الخرمة: ٩٦.
 الخريزات: ١٨٩.
 خزاعة: ١١٦، ١١٩.
 الخشقة: ١٣١.
 خطفا: ١٦٥.
 خطم طاوي: ٢٤٧.
 الخليج العربي: ٨١.

- الخليق : ١١٦ .
الخليل : ٣٥ ، ٢٩٢ .
خران : ٢٨٦ .
خيس مشيط : ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١١٨ ، ١٤٨ ،
١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ،
٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٤٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،
٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ .
خيران : ٢١١ ، ٢٣٩ .
الخيرة : ١٦٤ .
- د -
- داجون : ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
الدارين : ٢٠٣ ، ٢١٨ .
داريوس الأول : ٤١ .
دامس (وادي) : ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٤٦ ، ١٤٧ .
دان : ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٩٩ ،
٣٠٢ .
دان (عشيرة، قبيلة) : ٢٥٤ ،
٣٠٢ .
داود : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ،
١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
١٨١ ، ١٨١ ، ١٨٣ ،
١٩٢ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ .
الدبش : ٢٥٦ .
الدثنة : ٢٤٣ .
- دَرْقون : ١٦٦ .
الدعالة : ٢٠٢ .
دغما : ٢٥٢ .
دغونة : ٢٥٢ .
الدَّقرة : ٢١٣ .
الدقم : ٢٥٢ .
دليلة : ٢٥٧ .
الدبحان : ٢٦١ .
دمشق : ٢٩٠ .
الدنادنة : ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٥٤ ،
٣٠٢ .
النددن (قبيلة) : ٣٠٢ .
الدواسر (وادي) : ٣٠٤ .
الدوانية (قبيلة) : ٣٠٢ .
الدولة الآشورية : ١٩٧ ، ١٩٨ .
الدولة الحثية : ١٩٧ .
الدومة : ٢١٤ .
دومة : ٢١٤ .
دي غوري ، جيراالد : ١٠٤ .
الديش : ٢١١ .
الدينوي (قبيلة) : ٣٠٢ .
- ذ -
- ذا الحميرة : ٢٥٥ .
ذا الرامة : ١٧٢ ، ٢٥٥ .
ذات الدماغ : ١٨٦ .
ذات يومين : ١٨٥ .
ذبيان : ١١٣ .
ذروة آل دغمة : ٢١١ ، ٢٥٢ .
الذهب - وادي الذهب : ٢٧٤ .
ذوي شاري (قبيلة) : ٣٠٣ .

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١	ذوي ظبي : ٢١٤ .
١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥	ذي غلف : ١٣٧ ، ١٤٢ .
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٥	
٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩	- ر -
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢	
٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩	رايغ : ٢١٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠	راين : ٣٠١ .
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٥	راحيل بنت لابان : ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
٢٩٠ ، ٣٠٢ .	الرازنة : ١٦٢ .
رَحْ : ١٦٧ .	الرازي ، الفخر : ١٥٢ .
الرحبة : ٢١٠ .	الرَّامة : ١٧٢ .
رجعام بن سليمان : ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ .	رامة لحية : ٢٥٥ .
الرحم : ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٢١٥ .	رأوين : ٢٩٩ ، ٣٠١ .
رحوبوت : ٨٦ ، ١٠٤ .	راية : ١٦٢ .
رحية : ٩٠ .	الرَّباط : ٢٠٩ .
الرخية : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ .	رشة : ١٧١ .
١٧٣ ، ٢٠٥ .	الربع الخالي : ٨٠ ، ١١٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
الرخيلة : ٣٠٠ .	الربقة : ٢٩٩ .
الرداعي ، احمد بن عيسى : ١٨٦ .	الربكة : ٣٠٠ .
الرُّزنة : ١٣٩ ، ١٤٠ .	ربوان : ٣٠١ .
رسائل العمارة : ١١٧ ، ١٢١ ، ٢٠٨ ، ٢٣٧ .	الرَّبيان : ٣٠١ .
رصفة : ١٦٥ .	الربضة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ .
رصين : ١٦٢ .	رجال ألمع : ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ .
الرفاتيون : ٢٦٢ .	١٤٣ ، ١٦١ ، ١٦٢ .
الرفة : ٢٦٢ .	١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ .
رفع : ٩٠ .	١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٩١ .
الرفداء : ١٦٦ .	١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
الرفقات : ٢٥٠ .	١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .
رفقه بنت تبويل : ٢٩٩ .	

- رفية: ٢٦٢ .
 رفيع، محمد: ١٤ .
 ركة: ١٢٧ .
 الرمان: ١٢٠ .
 رمت لحي: ٢٥٥ .
 الروابين (قبيلة): ٣٠١ .
 الرواحان: ٢١١ .
 الروسان: ١٩٠ .
 الروشن: ١٩٠، ٢٧٤، ٢٧٦ .
 ٢٧٨ .
 رولاندز، ر: ٩٠ .
 الرون: ٤٨ .
 الرومان: ٢١٢ .
 الريام: ١٧١ .
 الريامة: ١٧١ .
 الريث: ٢٨٧ .
 ريسان: ١٣٤، ١٤٣، ١٤٤ .
 ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩ .
 ١٥٣، ١٥٤ .
 ريده: ١٢٤ .
 ريشان: ١٩٠ .
 الريمان: ١٢٠ .
 رنية (وادي): ٧٨، ٧٩، ٢١٨ .
 - ز -
 زارح الحبشي: ٨٦ .
 زارح الكوشي: ٨٦، ٩١، ٩٧ .
 الزاوية: ١٦٧ .
 الزباله (قبيلة): ٣٠٤ .
 زيولون: ٢٩٩، ٣٠٤ .
 زتو: ١٦٧ .
 الزرعة: ٢٠٣، ٢٥٤، ٢٥٥ .
 زكاي: ١٧٣ .
 زكريا: ٤١، ١٥٢، ١٥٣ .
 زلفة جارية ليثة: ٢٩٩، ٣٠٠ .
 زهران (بلاد زهران): ٧٥، ٧٨ .
 ١١٤، ١٣٥، ١٤٨ .
 ١٦٤، ١٧٢، ١٧٤ .
 ١٨٤، ١٨٧، ١٩١ .
 ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣ .
 ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥ .
 ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤ .
 ٣٠١ .
 - سرة زهران: ٢٠٠، ٢٠٥ .
 ٢١٠، ٢١٨، ٢٦٣ .
 ٢٦٦، ٢٩٩، ٣٠٠ .
 ٣٠٢، ٣٠٥ .
 الزير: ٢٠٠ .
 زيف: ٢٠٢ .
 - س -
 ساحل أبي غلوط: ١٦٦ .
 الساق: ٢٠٢ .
 سالييم: ١٨٣ .
 سام بن نوح: ٢٣٥ .
 السامرة: ٣٥، ٣٩، ١٠٧ .
 ١٠٨، ١١٥، ١١٦ .
 ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣ .
 ٢٠٤ .
 السامريون: ٢٠٤، ٢٠٥ .
 سامطة: ٢٦٠ .
 ساية (وادي): ٣٠٤ .

السلوكي الزهراني، علي بن	سايغونز: ٩٢، ١٩٢.
صالح: ١٣، ١٤، ٢٠٦.	سبسطية: ٢٠٤.
سليمان: ٣٩، ٤٨، ٥٤، ٦٦،	السداد: ٢٥٢.
١٠٦، ١٥٥، ١٨٤،	السدود: ١١٦، ٢٥٢.
١٨٥، ١٩٢، ١٩٣،	سدوم: ٦٥، ٦٦، ٩٩، ١١٤،
١٩٩، ٢٨١، ٢٨٩،	١٤٤، ١٤٦، ١٤٧.
٢٩٢، ٢٩٢، ٢٩٣.	السر: ١٨٩.
السماعة (قبيلة): ٣٠١.	السرة: ١١، ١٢، ١٨، ٧٣،
السمامين: ١٢٧، ١٢٨.	٧٥، ٧٦، ٨١، ١٠٠،
السمر: ١٨٨.	١٠١، ١٣٤، ١٤٦،
السن: ٢٩١.	١٤٩، ١٥٥، ١٥٦،
سهل جلجل: ١٤٠.	١٦٩، ١٧٦، ١٨٤،
السودة: ٢١١.	١٨٦، ١٩٥، ١٩٧،
سورق (وادي): ٢٥٥.	٢١٥، ٢١٦، ٢٢١،
سورية: ٣٣، ٥٢، ٢٤٨.	٢٢٦، ٢٤١، ٢٥١،
السوسية: ١٨٧.	٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٢،
سوطاي: ١٦٥.	٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٠،
السوقة: ٢٠٢.	٢٨١، ٢٩١، ٢٩٢،
سوكو: ٢٠٢.	٢٩٧.
السويس: ٩٠، ٩١، ٩٣.	سرجون الثاني: ٣٩، ١١٥،
سيعها: ١٦١.	١١٦، ١١٧، ٢٠٨.
سيلك: ٢١٤.	السري: ١٩٦.
سيكة: ٢٠٢.	السرية: ١٩٦.
سيناء: ٥٣، ٧٠، ٩٠، ٩٣.	سُرْيُوبِل: ١٩٦.
	سطنة: ٨٦، ١٠٤.
- ش -	السعي: ١٦٢.
الشارقة: ٢٥٥.	سُقامة: ١٩٩، ٢٠٦.
الشافية: ١٧٦.	سلمان: ٢٨٩.
الشاقة: ٢٠٩، ٢٥٠، ٢٥٤.	السلمة: ٢٨٤.
الشاقة اليمانية: ٢١٥.	سلمى: ٢٨٩، ٢٩٠.
	سلوان: ١٠٧.

٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ١٩٧
 ٢٧٤ ، ٢٧١ ، ٢٦٥
 ٢٩٦ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
 ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ .

- غرب شبه الجزيرة العربية :

٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣
 ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤
 ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩

٧١ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٧

١٠١ ، ١١١ ، ١١٥

١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩

١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥

١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠

١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧

١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٧

١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٦

١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨

٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨

٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤

٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥١

٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ .

شحب : ٢٩٠ .

الشحوط (وادي) : ٢١٦ .

شاليم : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ .

الشام : ١١ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ،

٥١ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

١١٥ ، ١١٧ ، ١٥١ ،

١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٩ ،

٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٩ ،

٢٩٦ .

شاول : ٣٨ ، ٥٤ .

شاليم : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ .

الشام : ١١ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ،

٥١ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

١١٥ ، ١١٧ ، ١٥١ ،

١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٩ ،

٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٩ ،

٢٩٦ .

شاول : ٣٨ ، ٥٤ .

شبا : ٢٣٥ .

الشبابة : ١٨ ، ٢٤ ، ١٩٢ .

شبعة : ٨٦ .

شبه الجزيرة العربية : ١١ ، ١٢ ،

١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨٩ ، ٤٦ ،

٦٧ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ ،

٨٩ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ١٢٣ ،

١٣٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

- الشخيت: ١٤٦ .
 الشدنة: ٢١٦ .
 شرا (وادي): ٢١٨ .
 شرانة (وادي): ٢٨٤ .
 الشرق الأدنى: ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٨٣ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ .
 شرق الأردن: ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٨ .
 الشرك: ٢٥٥ .
 شروج: ٢٥٥ .
 شريان: ١١٤ ، ٢١٠ .
 شريانة: ٢٨٦ .
 شريعة موسى: ٢٠٤ .
 الشطفة: ٢١٥ .
 الشطيفية: ١٦٦ .
 شعب البرام: ٢٤١ ، ٢٩٠ .
 شعبة الفرات: ٢٦٠ .
 الشعر الجاهلي: ١٥ .
 الشعراء: ١٢٠ .
 الشعنون: ٣٠١ .
 شعيب المقددة: ١٢٧ ، ٢١٢ .
 شعية: ١٧١ .
 الشفا: ٢١٦ .
 شقان (وادي): ٢٧٤ .
 شفتيا: ١٦٦ .
 الشفوة: ١٨٦ .
 شقلة: ١٨٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
 الشقيق: ٧٦ .
 الشكرة (قبيلة): ٣٠٤ .
 شكيم: ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ .
 شلفى: ٢٥١ .
 شلمانصر: ١١٥ .
 الشماع: ٣٠١ .
 شمر: ٢٠١ .
 شمران: ٢٤ ، ٢٠٤ .
 شمران (قبيلة): ٢٠١ .
 شمشون: ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ .
 شمع: ٣٠١ .
 شمعون: ٢٩٩ ، ٣٠١ .
 شمعون (قبيلة): ٣٠١ .
 الشمال: ٢٨٩ .
 الشمول: ١٦٠ .
 السنو: ٢٩١ .
 الشنية: ٢١٦ .
 شور: ٦٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٣ .
 شوع: ١٠٤ ، ٢١١ .
 شوليت: ٢٨٩ ، ٢٨١ .
 شيشانق الأول ملك مصر: ٣٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
 شون: ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ .

- ص -

- الصابر: ١٥٣ .
 الصار: ٢٠٢ .
 الصافح: ١٦٣ .
 صويم: ٤٤ .
 صبيا: ٤٤ ، ١٠٠ ، ١٦٦ ،
 ٢٨٤ ، ٣٠٥ .
 وادي صيا: ٨٠ ، ٩٩ ، ١٥٤٣ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ .
 الصبيات: ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ .
 صبح (وادي): ١٩١ .
 صُخيف: ١٨١ .
 الصخية: ١٦١ .
 الصداق: ٢٢٥ .
 صداقة: ٢٢٨ .
 الصورة: ١٩٩ .
 صدقة: ٢٢٥ .
 صِدَيقَة: ٢٢٥ .
 الصّران: ١٨١ ، ١٨٢ .
 الصرحة: ١٤٢ .
 صرحة الرخية: ١٤٢ .
 صردة: ١٩٩ .
 صرعة: ٢٠٣ .
 الصرّمين: ١١٦ .
 صروم: ١٨٨ .
 الصعراء: ١٤٦ .
 صفانة (وادي): ٨٧ ، ٩٢ .
 الصفارين: ٢٦١ .
 صفتة: ١٠٤ .
 صلبية: ١٦٤ .
 الصّمد: ١٧٨ .

- ض -

- ضروان: ١٥٢ .
 ضمد (وادي): ٨٠ ، ٢٨٨ .
 الضيق: ١٧٣ .
 الضيقة: ١٧٣ .

- ط -

- الطارفة: ٢٧٦ .
 الطائف: ١١ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٩ ،
 ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
 ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
 ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ،
 ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ .

٢٣٩، ٢٥١.

العبلاء: ٢٠٥.

العيلة: ٢٠٥.

عبيد سليمان: ١٦٧.

عبيدة - سراة عبيدة: ١١٨،

٢٣١، ٢٦١، ٢٦٣،

٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥.

عَسُود (وادي): ٩٩، ١٠١،

٢٥٣، ٢٩٢.

العثايبات: ١٦١.

عثة: ١٦١.

عثمان: ٦٩.

عجرفة: ١٧٠.

العجلات: ٢٥٧.

عجلان: ٢٠٣.

عجلون: ٢٠٣.

عدلام: ٢٠٢.

عدن: ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦،

٢٧٩.

العدنة: ٢٧٨.

عدينة: ١٦٩.

العَدْرَة: ١١٨.

عرار: ١١٨.

العرارة: ١١٨.

العرافجة: ١٧٠.

العراق: ١١، ١٨، ٣١، ٣٩،

٤٣، ٤٤، ٤٩، ٥١، ٥٢،

٨١، ١١٥، ١٩٧، ١٩٨،

٢٧١، ٢٧٥، ٢٩٦.

العرب: ١١، ١٨.

عربات حارم: ١٦٧.

٢١٥، ٢١٩، ٢٤٨،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢،

٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٦،

٢٦٧، ٣٠٠، ٣٠٣.

طباعوت: ١٦١.

الطبري: ١٥٢، ٢٧٩.

الطفراء: ٢٧٦.

الطَوَا: ٧٠.

طوبيا: ١٧٢.

الطوق: ١٨٧.

- ظ -

الظبية: ٤٤، ١٠٠.

الظفيرة: ٢١٦.

الظهرة - ظهران الجنوب: ٨٠،

١١٨، ١٣٤، ٢٣٠،

٢٣١، ٢٣٨، ٢٦٠،

٢٨٠، ٢٦٦.

الظوافرة: ٢٦٢.

- ع -

عابر: ٢٣٥، ٢٣٦.

عادين: ١٦٩.

العارضة: ١١٦، ٢١٤، ٢٨٦،

٢٩٢.

عاريم: ١٧١.

عاليه: ١٦٦.

عاي: ١٦٩، ٢٠٥، ٢٤٠.

العباله: ٢٠٥.

عبدالله بن خميس: ١٣.

العبرانيون: ٥٣، ٢٣٥، ٢٣٦،

١٧٥ ،	١٧٤ ،	١٦١ ،	عربة (وادي): ١٠٦ .
١٨٠ ،	١٧٨ ،	١٧٦ ،	عَرْدَة: ٢١٨ .
١٩٦ ،	١٩٥ ،	١٨٤ ،	العرضية (وادي): ٢١٢ .
٢٠٦ ،	٢٠٢ ،	١٩٨ ،	عرعر لبينان: ١٥٣ ، ١٥٢ .
٢٢٧ ،	٢١٨ ،	٢١٦ ،	عرقا: ٢١٤ .
٢٣٨ ،	٢٣٥ ،	٢٣٠ ،	العرقين: ٢١٤ ، ٢٥٣ .
٢٤٨ ،	٢٤٣ ،	٢٤١ ،	عرن: ٢١٢ .
٢٥٤ ،	٢٥٣ ،	٢٥٢ ،	العريش: ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ .
٢٦٢ ،	٢٥٩ ،	٢٥٧ ،	عرين: ٢١٢ .
٢٩٧ ،	٢٨٣ ،	٢٦٣ ،	عَرَ: ١٦٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ .
٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠١ .			٢٥٧ .
- جرف عسير: ١٩٢ .			عَزَجْد: ١٦٩ .
- سراة عسير: ١٨٣ ، ١٨٥ ،			عَزَا: ١٦٣ .
١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ،			العزة: ١٠٣ ، ١١٨ ، ٢٥٢ .
٢٧٣ .			٢٥٥ .
العُصْمِيَّات: ١٦٨ .			عزقة: ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٠٣ .
عصيون جابر: ١٠٦ .			عزموت: ١٦٨ .
العضرة: ٢٢٦ .			عزيزة: ١٣٢ .
العضية: ٢١٥ .			عزيفة: ٢٠٣ .
العفراء: ١١٨ ، ٢٢٦ .			عسق: ٨٦ ، ١٠٣ .
عقاب (وادي): ١١٦ .			عسقلان: ٣٤ .
العقب: ٣٠٠ .			عسير: ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ،
العقبة: ١٧٢ .			٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٨ ،
العقبة (الميناء المعروف): ١٠٦ .			٤٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
عقبة بقران: ١٤٠ .			٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ،
عقبة عقرييم: ٢٦٦٥ .			٩٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ ،
عقرون: ٢٥٣ .			١٠٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ،
عقوب: ١٦٢ ، ٣٠٠ .			١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ،
عقيب: ١٦١ ، ٣٠٠ .			١٣١ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ،
العقية: ١٦٢ ، ٣٠٠ .			١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
العقيلي، محمد: ١٣ ، ٢٨٤ .			١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ،

- عكا: ١١٧ .
 عُكوة: ١١٨ .
 علامة: ١٦٩ .
 عُليب (وادي): ٢٠٥ .
 عمري (ملك اسرائيل): ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ .
 عمورة: ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
 عمق (وادي): ٢١٦ .
 عناتوت: ١٦٨ .
 عناميم: ٢٤٩ .
 عنطوطة: ١٦٨ .
 عوياء: ٢٠٥ .
 عياء (وادي): ١١٧ .
 عيسو: ٢٣٦ .
 عيطام: ٢٠٢ .
 عيلام: ١٦٩ .
 عيلام الآخر: ١٧٣ .
 العين: ١٨٦ .
 عين جدي: ٢٨٤ .
 عين قديس: ٩١ ، ٩٣ .
 عينين: ٢٦٧ .
 العيينات: ١٣٢ .
 - غ -
 الغاط: ٢٥٣ .
 غالوس ، آيلوس: ٩٤ .
 غامد: ٧٥ ، ٧٨ ، ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٩٣ .
 - ف -
 الفاتح: ١٧١ ، ٢١٤ .

- الفاتية: ٢٤٨ .
فادون: ١٦٢ .
فارس: ٤٣، ٣٩، ٣١ .
فاسيح: ١٦٣ .
فاطمة (وادي): ٣٠٣ .
فالج بن عابر: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨ .
فتروسيم: ٢٥٠ .
فحث مؤاب: ١٧١ .
الفُدنة: ١٦٢ .
الفرات السفلى: ٢٦٠ .
فرت: ١٩٩، ٣٠٢ .
الفردة: ١٦٦ .
الفرزيون: ٢٦١ .
الفرس: ٤٢ .
الفرسات: ٢٦٢ .
الفرسات (قبيلة): ٢٥٠ .
الفرصة: ٢٥٨ .
فرضة: ٢٦١ .
فرعة آل شهدا: ٣١ .
فرعوش: ١٧٠ .
فرعون: ٢٤٠ .
فرودا: ١٦٥ .
فصلة: ٢٥١ .
الفصيلة: ٢٤٦، ٢٥١ .
القطاحين (قبيلة): ٢٥٠ .
الفقرة: ١٦٦ .
الفقيه: ٢١٦ .
الفلسة: ٢٤٦، ٢٥٠ .
الفلسطينيون: ٣٤، ٦٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١ .
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥ .
٢٥٧، ٢٥٨، ٣٠٢؛ انظر
أيضاً: الفلسطينيون .
فلسطين: ١١، ١٣، ١٥، ٢٧،
٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٣٥،
٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٣،
٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢،
٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٠،
٦١، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٨٥،
٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١،
٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٠٧،
١٠٨، ١١١، ١١٢،
١١٤، ١١٥، ١١٧،
١١٩، ١٢١، ١٣٤،
١٣٨، ١٤٣، ١٤٤،
١٤٥، ١٤٧، ١٧٤،
١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤،
٢٠٨، ٢٢٤، ٢٤٤،
٢٤٥، ٢٦٤، ٢٨١،
٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧ .
الفلسطينيون: ٤٥، ٤٦، ٥٢،
٥٩، ٨٧، ٩٨؛ انظر أيضاً
الفلسطينيون .
فلشة: ١٠٣ .
فلشتيم: ٢٥٠ .
الفنيقا: ٢٤٩ .
فنوئيل: ٢٠٠ .
الفوايط: ٢٤٨ .
فوخرة الظباء: ١٦٦ .
فوط: ٢٤٨ .
الفيران (قبيلة): ٣٠٥ .

فيشون: ٢٧٤، ٢٧٢، ٦٥.

فيلبي، ج. ب: ١٤، ٩٦،
٢٨٣، ٢٧١.

فينيقيا: ٣٣، ٢٤٨.

الفيثقيون: ٢٤٨.

فيكول: ٢٥١.

ق -

قادش: ٦٤، ٨٦، ٨٩، ٩٠،
٩٣، ٩٧، ١٠٣، ١٠٤،
٢٦٥.

القاسم: ٢٠٠.

القاني: ٢٦٠.

قايين: ٢٧٢، ٢٧٨.

قُبْلَه: ١١٩.

القحمة: ٧٣، ٧٥.

قُدران: ١٩١.

القدس: ٤٨، ١٠٧، ١٨٥،
٢٢٥، ٢٩٧.

القدمان: ٢٦١.

القدمونيون: ٢٦١.

القر: ٣٧، ١١٤.

القرآن الكريم: ١٥، ١٨، ٦٩،
٧١، ١٠٤، ١٥٢.

القرى: ٢٥٥.

القرارة: ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١٠١،
١٠٣.

القرَّبان: ٢٧٨.

قرح (قبيلة): ٢٩٣.

القرحان: ٢٩٢.

القرية: ١٧٠.

قَرْنَات: ٢٦٤.

قرية أربع: ٢٤٠.

قرية آل سيلان: ٢٤٠.

قرية الشياح: ٢٤٠.

قرية عاصية: ٢٤٠.

قرية عامر: ١٧١، ٢٤٠.

قُسَيْمَة: ٩٠.

القصبيات: ٢٨٦.

القضية: ١٤٢.

القصيم: ٢٤٩.

قضاة: ٣٠٣.

القطف: ٢٦٤.

القطن: ٢٣٦.

قطورة: ٢٣٦.

القطيط: ٢٠٢، ٢١٤.

القطيطة: ٢٠٢.

القعوة: ٢٠٢.

قعوة آل ناطف: ١٦٨.

قعوة الصيان: ١٧٨، ١٧٩.

١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

١٨٣، ٢٢٥.

القفرة: ١٧١.

القلعة: ١٨٠.

قماشة: ٣٧، ١١٤.

القن: ٢٦٠.

قنا والبحر: ١١٩، ١٢٠.

١٣٠، ١٦١، ١٦٣.

١٦٦، ١٦٩، ١٧٠.

١٨٨، ١٨٩، ٢١٣.

٢١٤، ٢٤٧، ٢٥٧.

- ك -

- الكتاب المقدس: ١٥، ١٢٦ .
- العهد الجديد: ١١ .
- العهد القديم: ١١، ٢٨ .
- كتب:
- أيام اليهود القديمة: ٥٠ .
- صفة جزيرة العرب: ١٣، ١٥٢، ١٨٦، ٢٣١، ٢٧٨ .
- في بلاد عسير: ١٤، ٢٧١، ٢٩٢ .
- في ربوع عسير: ذكريات وتاريخ: ١٤ .
- معجم البلدان: ١٣ .
- معجم قبائل الحجاز: ١٣ .
- معجم قبائل المملكة العربية السعودية: ١٤ .
- الكداري: ٢٨٤ .
- كديسة: ٢١٥ .
- الكراث: ٢٤٦ .
- الكرباس: ١٦٤ .
- الكرية: ١٧٠ .
- الكربوس: ١٦٤ .
- الكرك (الأردن): ١١٢ .
- كركرة: ٢٠٨ .
- كركميش: ٣٧، ٢٠٨ .
- الكرمل: ٣٥، ٢٩٠، ٢٩١ .
- الكرنك: ٢٠٩، ٢١٨ .
- كروب: ١٧٠ .
- كريث (وادي): ٢٤٥ .

٢٦٠، ٢٦٢ .

- القنازير: ٢٦١ .
- قناع: ١٠١ .
- القنة: ٢٦٠ .
- القنزيون: ٢٦١ .
- القنعان: ٢٤٨ .
- القنعان (قبيلة): ٢٦٢ .
- القنفذة: ٧٥، ٩٧، ١١٩، ١٢٠، ١٦١، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٥ .
- قنن: ٢٦٠ .
- قنوة: ٢٦٠ .
- القنية: ٢٦١ .
- القنيصات (قبيلة): ٢٦١ .
- القوادة: ٢٦١ .
- القواينة (قبيلة): ٢٦٠ .
- القوزية: ٢٦٥ .
- القوقاء: ٢١٥ .
- القوين: ٢٣١ .
- قياسة: ٢٠٣ .
- قروس: ١٦١ .
- القينيون: ٢٦٠ .

- كربيلينغ: ٧٠، ٨٩، ٩١، ١٣٨، ١٧٦.
- كسلوحيم: ٢٥٠.
- الكشفة: ١١٨.
- الكشمة: ٢٤٢، ٢٣٩.
- كفتوريم: ٢٥٠.
- كفيرة: ١٧١.
- كليدات: ٩٠.
- كنعان: ٢٤٨.
- الكنعانيون: ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٥٢، ٦٩، ٨٥، ٨٧، ٩٩، ١٠٣، ١٨١، ٢٤٨، ٢٦٢.
- الكوثة: ٢٤، ٩٤، ٩٧، ٢٤٧، ٢٧٥.
- الكوس: ٢١٤.
- كوش: ٩٤، ١٠٣، ٢٤٧، ٢٧٢.
- الكوشيون: ٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٩٧.
- الكوثة: ٢٥٧.
- كيسة: ٢١٤.
- ل -
- لابان الآرامي: ٢٩٩، ٣٠٠.
- لاخيش: ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.
- اللاوات: ٣٠١.
- لاوة: ٣٠٢.
- لاوي: ٢٩٩، ٣٠٢.
- لاوي (قبيلة): ٣٠٢.
- اللاويون: ١٦٧.
- اللبان: ٣٠٠.
- اللبانة: ١٦٢.
- لين: ٣٠٠.
- لبنان: ٣٤، ٨٧، ١٠١، ١٥٠، ١٥١، ٢١٤، ٢٨٦، ٢٩٠.
- لبنان الحجاز: ١٥٢، ١٥٤، ٢٨٦، ٢٩٠.
- لبنان الشام: ١٥٢.
- لبنان: ١٥٢، ١٥٣، ١٥٣٤، ٢٨٦، ٢٩٠.
- اللبني - جبال اللبني: ٢٨٦.
- لحي: ٢٥٤.
- لحية: ٢٥٥، ٣٠٢.
- لخيش: ٢٠٣.
- اللذ: ١٧٣، ٢٤٩.
- لدان: ٢٤٩.
- اللعباء: ٢٠٥.
- اللغات السامية: ١٦، ١٧، ١٨، ٤٥، ٥٨، ٦٢.
- الأبجدية السامية: ٦٢.
- اللغة الآرامية: ١٧، ١٨، ٢٩، ٤٣، ٤٤، ٥٨.
- اللغة الأوجاريتية: ٢٤٤.
- اللغة العبرية: ٢١، ٢٩، ٤٥، ٤٦، ٥٩، ٦٨، ٢٤٤.
- اللغة العربية: ١٧، ٢١، ٤٤، ٤٦.
- اللغة الفينيقية: ٢٤٤.
- اللغة الكنعانية: ١٧، ١٨، ٤٣.
- اللحيان: ٢٤٩.

المتعة : ٢٠٩ .	لهابيم : ٢٤٩ .
متوق : ٢٥٦ .	اللهييون : ٢٤٩ .
مثن (وادي) : ٢١٩ .	لود : ١٧٣ .
المتقة : ٢٥٧ .	لوديم : ٢٤٩ .
المثنة : ٢٥٤ .	لودان : ٢٤٩ .
المجاردة : ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٨٤ ،	لورنس : ٩٠ .
١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،	لوط : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ،	١٤٥ ، ١٤٧ .
٢٦٠ ، ٢٦١ .	اللوهابي : ٢٤٩ .
مجدو : ٢٠٣ .	لؤي (قبيلة) : ٣٠١ .
محايل : ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢١٢ ،	اللوي : ٣٠٢ .
٢١٢ ، ٢٦٠ ، ٢٩١ .	اللوية : ٣٠٢ .
الحرث : ١١٤ .	لئة (وادي) : ٣٠٠ .
المحرق : ٢١٦ .	الليث : ٧٥ ، ١١٨ ، ١٢٧ ،
المحظي : ١١٩ .	١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ،
محنابيم : ٢١١ .	١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،
مخماس : ١٧٢ .	١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٩ ،
المحيط الهندي : ٨١ .	٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ،
المجلد : ١١٩ .	٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،
المُدْرَجَة : ٢٨٥ .	٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
مدركة (وادي) : ١٣٠ ، ١٧٢ .	٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ،
مدينة داود : ١٨٠ ، ١٨٢ ،	٣٠٣ ، ٣٠٠ .
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،	ليثة بنت لابان : ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
١٩٢ .	

- م -

المراكة : ٢١٢ .	ما بين النهرين : ٤٩ ، ٢١٩ .
مُرة (قبيلة) : ٢٦٢ .	مادبا : ١١٣ .
مرج ابن عامر : ٢٠١ .	ماطر : ١٨٧ .
المُرْداء : ٢١١ .	المائين : ١٨٨ .
مرعش : ٩٢ .	مبصر : ٢٥٨ .
المروة : ٢٣٣ ، ٢٣٩ .	متحف اللوفر : ١١١ .
مريشة : ٨٧ ، ١٠٤ ، ٢٠٢ .	

- المزامير: ٢٩٢ .
المسارحة: ٢١٤ ، ٢١٣ .
مُسَقَر: ١١٦ .
المسوريون ١٥ ، ١٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٩ .
المُسُوري: ١٥ ، ١٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،
٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٨٨ .
المسيح: ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٨١ .
المسيحية: ١٢ .
المسيحيون: ١٥ ، ٢٨ ، ٢٢١ ،
٢٣٥ .
مسيلمه الكذاب: ٢٧٩ .
مشاجيب: ١٧٢ .
المشار: ٢٠٢ .
المشاري: ٩٧ ، ٢٠٢ .
المشقا: ١١٩ .
مشنية: ٢١٠ .
مصر: ١١ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤٢ ،
٤٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ،
٥٥ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ،
٩٦ ، ١٤٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٧٩ ،
٢٩٦ .
المصرامة: انظر المصرة .
مصريايم: ٢٤٧ .
المصرم: ٢٦٠ .
المصرمة: ٩٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ .
- نخيل المصرة: ٢٦٦ .
المصريون: ٣٧ ، ٣٨ .
المصفى: ٣١ .
المصلاة: ١٣٠ .
المضايا: ٢١٣ .
مُضبر: ٢٥٨ .
مضروم: ٢٤٧ .
مطيع: ٢٠٩ .
المظيلف: ١٧٦ .
المعاني: ١٦٣ .
المعاين: ١٦٣ ، ٢٨٧ .
معبد آمون: ٢٠٩ ، ٢١٩ .
المعلاة: ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٦٥ .
معيدل: ٢٠٢ .
مغيث: ١٧٢ .
المغدة: ٢١٢ .
المغنون: ١٦٧ .
المفاتيح: ٢٤٩ .
مفتل: ٣٠٢ .
المفتلي: ٣٠٢ .
المقَدَّة: ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
مَقدي: ١١٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٢ .
مَقْدَر: ٢١٤ .
المقصود: ٢٣٩ .
مقفلة: ٢٤٠ ، ٢٤١ .
المُقَل: ٢٧٤ .
مقمص: ١٧٢ .
المكارمة: ٢٣٤ .
مكة المكرمة: ١١٧ ، ١٢٠ ،
١٥١ ، ٢١١ ، ٢٥٢ .
مكفيلة: ٢٤١ .
مكيلة: ٢٥٧ .
الملحة: ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .
ملكي صادق: ٢٢١ ، ٢٢٩ .
الملاحه (وادي): ٣٠٥ .

- الممشاة: ٣٠٥.
 مملكة إسرائيل: ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٧، ١١٢.
 مملكة وكل إسرائيل: ١٩٧، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥٩، ٢٩٣.
 مملكة يهوذا: ٣٩، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤.
 منسى: ٢٩٩، ٣٠٥.
 منسية: ٣٠٥.
 المنشاة: ٣٠٥.
 منشية الفرع: ٣٠٥.
 المنظلة: ١٦٠.
 موآب: ١١٢، ١١٣، ١١٤.
 مَور (وادي): ٢٨٦.
 مورة: ٢٣٣.
 موسى: ١٢، ٧٠، ١٢٦، ١٣٦، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥.
 المومية: ١٨٨.
 الموية: ٢١١.
 مويلح: ٩٠.
 ميسان (وادي): ٢٦٧.
 ميشع: ١١٣.
 - ن -
 نابلس: ١٠٧، ١٠٨، ١٩٨، ٢٠٥.
 ناجد: ١٦٣.
 النامة: ١٩١.
 النباة: ١١٤، ٢١٨.
 النبيث: ٢١٨.
 نبو: ١٧٤.
 نبوخذ نصر: ٤٠.
 نجد: ٧٥، ٢٤٩.
 نجران: ٧٣، ٨٠، ١١٩، ١٣٤، ١٥٢، ١٥٨، ١٥٩، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٧٨.
 - وادي نجران: ٨٠، ١٢٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٥٩، ٢٦٥.
 النجيرة: ٩٤.
 نشيد الإنشاد: ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣.
 النصوص الأوجاريتية: ٢٣٧.
 النصوص السامرية: ٢٣٧.
 نصيح: ١٦٤.
 نصيفان: ١٦٣.
 نطوفة: ١٦٨.
 نفتالي: ٢٩٩، ٣٠٢.
 نفتوحيم: ٢٤٩.
 النفس: ١٣٠.
 النفلة: ٢٠٠.
 النقب: ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٤٣، ٢٣٩، ٢٤٠.
 النقبات: ٢٠٠.
 النقش الموابي: ١١٢.
 نقودا: ١٦٣.
 نقوش لآخيش: ١٠٨.
 النماص: ٧٣، ٧٥، ١٠٠، ١٠١، ١١٨، ١٢٠.

الهدبة: ١١٣، ١١٤.	١٧٦، ١٨٠، ١٨٣
الهرة (قرية): ٢٦٦.	١٨٤، ١٨٥، ١٨٦
هسوفرت: ١٦٥.	١٨٧، ١٨٨، ١٨٩
الخطقة: ١٩١.	١٩٠، ١٩٢، ١٩٦
همدان: ١٥٢.	٢٠٣، ٢١٣، ٢٢٥
الهمداني: ١٣، ١٥٢، ١٨٦،	٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١
٢٣١، ٢٣١، ٢٧٨،	٢٧٤، ٣٠٢.
٣٠٣.	نمره: ٢١٤، ٢٤٠، ٢٤١.
الهند: ٣١.	النمور - جبال النمور: ٢٨٧.
هنوم (وادي): ١٩٠.	النهارين: ٢١٩.
الهورييون: ٥٢.	نهر الأردن: ٤٨، ٥٣، ٢٦٤.
هوشعبي: ١٠٨، ١١٠.	نهر جيحون: ٢٧٤.
الهياج: ١٣١.	نهر حداقل: ٢٧٥.
هياي: ٢٣١.	نهر دجلة: ٢٧٢، ٢٧٥.
هيرودوتس: ٣٣، ٤٨، ٦٩،	نهر فرات: ٢٥٩، ٢٧٦.
٢٤٨.	نهر الفرات: ٢٧، ٣٧، ٤٩،
الهيلينيون: ٢٣٥.	٥٠، ٢١٩، ٢٥٩، ٢٦٠،
	٢٧٢، ٣٠٢.
- و -	نهر فيشون: ٢٧٣.
واحة عين قديس: ٢٦٤.	نهر النيل: ٢٧، ٥٠، ٢٥٩.
واحة الوير: ٢١٨.	النوافل: ٢٣٤.
الوادعة: ١٥٨.	النوافلة: ٢٣٤.
وَبِير: ٢١٤.	نود: ٢٧٢، ٢٧٣.
وتر: ١٦٧.	النودة: ٢٧٨.
الوترة: ١٦٧.	النوف: ٢٠٠.
وترة: ١٦٠.	النيافة: ١٨٦.
الوتيرة: ١٦٧.	
وَد: ١٣٩، ١٤٠.	- ه -
الودانة: ١٦٨.	هابيل: ٢٧٨.
وذرة: ١٣٠.	هادريان: ٤٨.
وَرَاخ: ١٣٥، ١٤٨، ١٧٣.	الهامل: ١٨٠، ١٨١.

- الوراق: ٢١٦ .
 وزراء: ١٣٠ .
 الوسن: ١٦٣ .
 وسيع: ١٥٨ .
 وطن الموفجة: ٢٦٥ .
 الوفرين: ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٣٠٥ .
 وشر: ٣٠٣ .
 وثن: ٢١٨ .
 الوهدة: ٣٠٢ .
 الوهسة: ١١٤ .
 الوهط: ٢١٦ .
 وينة: ١٧٢ .
 اليحور: ١٨٨ .
 يراء: ٢٣٣ .
 يريعام بن ناباط: ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .
 يريدة: ٢١٥ .
 يزريعيل: ٢٠٠ ، ٢٠١ .
 يساكر: ٢٩٩ ، ٣٠٣ .
 اليسر: ١٩٦ .
 يسرة: ١٩٦ .
 اليسرى: ١٩٦ .
 يسير: ١٩٦ ، ٢١٩ .
 اليسيرة: ١٩٦ .
 يشكر (قبيلة): ٣٠٣ .
 يشوع: ٥٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧١ .
 اليعاقب: ٣٠٠ .
 يعقوب بن إسحق: ١٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
 يعلة: ١٦٦ .
 اليقطنانية: ٢٣٦ .
 يقعة: ٢٠٢ .
 يللمم (وادي): ٣٠٣ .
 اليمامة: ٨١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
 يمانى: ٢٨٦ ، ٣٠٤ .
 يمانى المروى: ١٦٧ .
 اليمن: ١١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٦٤ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ .
 يابس (قبيلة): ٢٦٣ .
 ياسينة: ١٨٧ .
 يافا: ٣٤ ، ١١٧ .
 ياقوت الحموي: ١٣ ، ١٥١ .
 اليامية: ١٦٧ .
 ياولش: ١٠٨ ، ١١٠ .
 ييامة: ١٧٦ .
 ييس (قبيلة): ٢٦٣ .
 ييس (وادي): ١٧٦ .
 اليبوسيون: ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٦٣ .
 اليثم (وادي): ١٠٦ .
 يثرب: ١٢٤ .
 يجر (وادي): ١٧٣ .

- ي -

٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٢٥٩	ينبع : ١٢٤ .
٣٠٢	اليهود : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
- قبيلة يهوذا : ١٥٦ .	٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
يسوع : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،	٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ،	١١١ ، ٢٠٤ ، ٢٢١ ،
٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ،	٢٧٩ ، ٢٩٦ .
٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ،	اليهود الفلسطينيون : ٤٧ .
٢٧٩ .	يهود نجران : ٨٠ .
يؤاب : ١٧٣ .	يهود يهوذا : ٢٠٤ .
يوثام (ملك يهوذا) : ١٠٦ .	اليهودية : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٧ ،
يوسف بن يعقوب : ٢٤٢ ،	٢٨ ، ٣١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٥ ،
٢٤٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ .	٨٠ ، ١١١ ، ٢٨٠ .
- قبيلة يوسف الاسرائيلية :	يهوذا : ٧٦ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٦ ،
١٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٢٨ ،	١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ،
١٢٩ .	١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ،
يوسيفوس ، فلافيوس : ٥٠ .	١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،
يوشيا (ملك يهوذا) : ١٩٢ .	١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ،
اليونانيون : ٢٣٥ .	٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،